"لا تناقش ولا تجادل يا أخ على"

رهبة الفهم وانسداد المسالك العقلية للمسلم المعاصر

النرجسية البلهاء والعالم الافتراضى الاسلامى

اعداد

شاكر فضل الله النعمانى

الفهرس

صفحة

مقدمة

الأرانب يمتنعون

"..وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين " الأحزاب ٥٠ .

يقول القرآن فى سورة النجم عن نبى الاسلام " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى" (النجم ٣-٤).
أخى المسلم,
ماذا تظن فى الآية ٥٠ من سورة الأحزاب ؟ هل هى وحى يوحى أم نطق عن الهوى؟

سؤال آخر . فى مرجع نبى الاسلام (المبعوث رحمة للعالمين والذى هو رحمة مهداة) من خيبر تزوج بصفية بنت حيى فى الطريق الى المدينة بعد ن قتل أباها وعمها وأخاها وزوجها . والسؤال هو : اليس زواج محمد من صفية قبل أن تعتد عصيانا لأمر الهه ؟

سؤال ثالث : يقول القرآن فى الآية ١٤ من سورة سبأ " فلما قضينا عليه (سليمان) الموت ,ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته , فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوافى العذاب المهين" .
يقول مفسروا القرآن عن هذه الآية ان سليمان ظل ميتا وهو واقف متكئ على عصاه لمدة عام.
هل انت حقا تصدق هذا الكلام ؟!
سؤال رابع : جاء فى سورة التين " والتين والزيتون وطور سنين" . هل الله يقسم بتوافه مخلوقاته كالتين والزيتون؟ ولماذا غير "سيناء" الى "سنين" لكى توافق القافية ؟!!!!

اذا كانت الأسئلة السابقة قد ازعجتك فهذا هو المطلوب وهذا ايضا دليل على انك تعمل عقلك. ان اعمال العقل ميزة عظمى ولا شك.
أنا أعرف انه تحدى كبير لأن المشايخ لقنوك أن التفكير اثم كبير اذ يقود الى الشك.
تحرر يا أخى من اغلالهم .
الا يقول القرآن " أفلا تتفكرون" و" أفلا يتدبرون" و" أفلا يعقلون" ؟
استمع لكلام ربك ودعك من المشايخ.
انهم لن ينفعوك فى اليوم الأخير .
أحضر مصحفك وافتح الكمبيوتر على مواقع "تفسير القرآن" و"الصحيحين : البخارى ومسلم" واستمر فى القراءة .

أنت تسير في هذه الحياة واثقا وشاكرا وفخورا بأنك صاحب أصح الأديان.

وكيف لا وأنت تؤمن بالإله الواحد الأحد الصمد ولا تشرك به أحدا أو شيئا.

وتؤمن بكتاب تثق بأنه تنزيل العزيز الحكيم وإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وتؤمن بنبي معصوم هو خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين.

وتؤمن أنك في طريقك الى جنة الخلد بشفاعة هذا النبي الصادق الأمين.

هذه هي رواسخك وثوابتك اليقينية التي لا تقبل الجدال.

هذا هو ما استقر في ضميرك منذ الصغر ,وهو فى الحقيقة عالم افتراضى.

الطامة الكبرى هى أن هذه الثوابت الراسخة ترتكز كلية على " روايات" .

نعم مجرد روايات لا أكثر ولا أقل . فالإسلام هو دين الروايات.

عن فلان عن علان عن ترتان عن عثمان أن النبي قال . كلها روايات تناقلها الأعمش والضحاك والأخنس والأسقع والأصلع والأخرم والقعقاع وأبو زمعة وثعلبة وحايس وحنظلة وعكرمة وفاتك ومخنف وغيرهم قرابة قرنين من الزمان قبل أن يكتب الإمام مالك الموطأ وبعده جمع البخارى ومسلم صحيحيهما .

وتدخلت في تناقل هذه الروايات الأهواء والمصالح الشخصية والإختلافات المذهبية والصراعات السياسية هذا غير الخلط والنسيان والمبالغة والتحزب وغيرها.

هذه الروايات هي ما تعارف على تسميته بالأحاديث وهى فى واقع الأمر المصدر الوحيد لسنة نبى الاسلام ولتاريخ صدر الاسلام .

ومنها الضعيف والموضوع والحسن والصحيح بحسب ما جرى العرف على تسميته " علم الرجال" أو علم الجرح والتعديل" الذي فيه يصنف الرجل الى " ثقة " أو " مدلس" أو " متروك الحديث" وغير ذلك.

والواقع إن تسميته " علم" هو إفتراء صارخ على معنى اللفظ. فهو يبعد عن العلم بُعد المشرق عن المغرب إذ يستخدم روايات لتزكية أو تضعيف روايات أخرى.

أضف الى هذا أن الكثيرين من نقلة الأحاديث ربما وثقهم بعض الإئمة وضعفهم البعض الآخر والعكس صحيح.

صحيحي البخاري ومسلم أوضح دليل على ذلك فهناك العشرات من أهل الحديث من ضعفهم البخاري ووثقهم مسلم وعشرات آخرين ضعفهم مسلم ووثقهم البخاري.

هذا هو حال الروايات التي ترتكز عليها يقينياتك الراسخة. وكل ما تؤمن به وتظنه ثوابت مصدره هذه الروايات الواهنة.

فكيفية نزول الوحي وتدوينه وجمعه مصدرها الروايات.

وأسباب نزول الوحي مصدرها الروايات.

وترتيب نزول الآيات وما نسخ منها مصدرهما الروايات.

وتفسير الكثير من آيات القرآن مصدره الروايات.

اذا القرآن نفسه يرتكز على الروايات. عليها يقوم أو يقع.

وكل ما يتعلق برسول الإسلام من ميلاده ونشأته وزيجاته وأسفاره وأخلاقه وغزواته وأقواله وأفعاله ومماته كلها مصدرها الروايات.

أركان الاسلام نفسها تقوم على الروايات.

فكما هو معروف يقوم الاسلام على خمس : الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج لمن استطاع اليه سبيلا . القرآن لا يتحدث بأى تفصيل عن أى من هؤلاء الاركان الخمس الا الصوم. فعدد ركعات الصلوات الخمس مثلا وكيفية الوضوء وقيمة الزكاة ومناسك الحج وغيرها لا توجد فى القرآن ولكن فى الحديث المنقول عبر الروايات .

إذا فالإسلام كله مصدره الروايات ... عليها يقوم وعليها يسقط.

فاذا وقعت الأعمدة انهار البناء كله.

وأعمدة الاسلام الثلاث هى : الله والقرآن ومجمد .

الكتاب الذى بين يديك يقدم الأدلة والبراهين على :

١- ان محمد ليس نبيا للاله الواحد الحق الحقيقى
٢- ان اله الاسلام ليس الاله الواحد الحق الحقيقى
٣- ان القرآن ليس كتاب الاله الواحد الحق الحقيقى

فيما عدا هذا فالاسلام دين عظيم.. عبارة عن مجموعة من الفرائض والشعائر والأوامر والنواهى (افعل ولا تفعل) يؤمن به ويموت من أجله أكثر من مليار ونصف من سكان العالم أنت واحد منهم .. حتى الآن .

أقول" حتى الآن" ثقة منى بانك اذا أعملت عقلك حقا فانك سوف تصل حتما لنفس النتيجة التى وصل اليها ملايين من قبلك .

اذا كنت واثقا من ايمانك فلماذا لا تقبل التحدى **؟!**

والسؤال الآن لك : هل ستجرؤ أم ستجبن ؟

تأسيس

الرواية ووهن حجيتها

في " كتاب الشخصية المحمدية" يتناول الأديب والشاعر العراقي الراحل معروف الرصافي أمر " الرواية" ومدى مصداقيتها ونحن ننقل عنه هنا ما قاله بهذا الصدد.

- **الرواية لا تفيد العلم:**

للرواية أربعة أركان لا تكون إلا بها: المروي عنه والمروي له، وبينها الراوي، والحديث الذي يرويه، وإذا قلنا ان الرواية لا تفيد العلم فإنما نعني بها الرواية التي تكون بدرجة واحدة، وهي التي لا يتوسط فيها بين المروي عنه والمروي له إلا راوٍ واحد، وهذه يشترط فيها لقاء الراوي للمروي عنه والمروي له لكي يسوغ أن ينقل عنه قولا قاله أو فعلا فعله، واذا توسط بين المروي عنه والمروي له أكثر من واحد وكان كل منهم قد لقي المروي عنه وروى عنه رأسا بلا واسطة، كانت الرواية ذات درجة واحدة ايضا، لأن هؤلاء الرواة كلهم يكونون عندئذ بمنزلة راو واحد قد لقى المروي عنه وروى عنه بلا واسطة، ويكون تعددهم مقويا للرواية ومؤيدا لها، وكلما زادوا كثرة زادت الرواية قوة.

- **الرواية ذات الدرجة الواحدة:**

بما تقدم تعلم اننا قد حصل لنا من الرواية ذات الدرجة الواحدة نوعان، أحدهما الرواية التي لا توسط فيها بين المروي عنه والمروي له إلا راوٍ واحد، والثاني التي يتوسط فيها بينهما أكثر من راو واحد كل منهم قد لقي المروي عنه وروى عنه بلا واسطة، وهذه الرواية التي هي النوع الثاني هي الموسومة بالتواتر وهي أقوى من رواية النوع الاول على شرط أن لا يقع فيها بين الرواة اختلاف ما، فإذا اختلف فيها الرواة سقطت ولم تكن أقوى من الأولى بل تكون دونها، أي تكون بمنزلة الروايات ذوات الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة لأنهم عند اختلافهم لا يكونون بحيث يقوي بعضهم بعضا بل بحيث ينقض بعضهم بعضا ويضعفه فتسقط الرواية بذلك عن الدرجة الواحدة الى ما دونها.

أما حكم هذين النوعين من الرواية: فإن النوع الأول يفيد الظن ولا يفيد العلم كما قلنا، والنوع الثاني يفيد العلم على شرط أن لا يقع بين الرواة اختلاف لفظي ولا معنوي ولا زماني ولا مكاني، وعلى شرط أن يكثر عددهم بحيث يكون تواطؤهم على الكذب مستحيلا وذلك نادر الوقوع جدا بل وقوع رواية على هذا النحو يكاد يكون مستحيلا.

- **الرواية ذات الدرجتين أو الدرجات:**

إذا توسط بين المروي عنه والمروي له راويان كانت الرواية ذات درجتين لأن الراوي الثاني لم يلق المروي عنه، وإنما روى عن الراوي الأول الذي لقى المروي عنه، فلهذا السبب كانت الرواية بدرجتين اي بواسطتين، ولا شك ان هذه تكون في القوة دون الرواية ذات الدرجة الواحدة لأن احتمال وقوع التغيير والتبديل والتحريف قد زاد بالراوي الثاني درجة فزاد الرواية ضعفا ووهنا. وقد قلنا ان ذات الدرجة الواحدة تفيد الظن، فذات الدرجتين تفيد الظن ايضا ولكن دون ذات الدرجة الواحدة أي تفيد ظنا أضعف.

واذا توسط بين المروي عنه والمروي له ثلاثة رواة كانت الرواية ذات ثلاث درجات وكانت في الحكم دون ذات الدرجتين، وهكذا يكثر الوسطاء بين المروي عنه والمروي له حتى يجوز أن تكون الرواية ذات عشرين درجة أو أكثر أو أقل كأن يتوسط بين المروي عنه والمروي له عشرون راويا لم يلق المروي عنه منهم إلا الراوي الأول، وأما الراوي الثاني فإنه إنما يروي عن الراوي الأول والثالث عن الثاني والرابع عن الثالث وهكذا الى آخره، وكلما كثر تسلسل الرواة على هذا النحو كانت الرواية في الحكم أضعف، هذا اذا سلمت من رواية أخرى تخالفها أو تعارضها وإلا كانت لا تفيد إلا الشك خصوصا اذا طال الزمان ومات قسم من الرواة كالراوي الأول فإنه عندئذ لا يمكن تصحيح الرواية بالرجوع الى الراوي السابق الذي مات، واذا أضفنا الى طول الزمان وموت قسم من الرواة ما يحدث في طريق الرواية والرواة من الأغراض النفسية والأهواء المذهبية والتحزبات السياسية علمنا جيدا مبلغ هذه الروايات التي نقرأها في الكتب من الصحة.

لا شك ان الخبر اذا تداوله الرواة وطال سيره بينهم من فم الى أذن وطال عليه الأمد في سيره وانتقاله بينهم كان عرضة للتغيير والتبديل بسبب ما يكون في الرواة من سوء فهم ومن ضعف حفظ ومن ضيق وعي وبسبب ما يعتريهم من ذهول ونسيان.

- **وجوه الوهن الذي يقع في الرواية:**

ان الرواية يأتيها الوهن من وجوه: أحدها رواية الحديث بالمعنى، وذلك ان الراوي يسمع الحديث فتقوم لمعناه صورة في ذهنه فيحفظها ولا يكترث لألفاظ الحديث، فيصير بعد ذلك يرويه بألفاظ من عنده تقوم مقام ألفاظه الأصلية أو بألفاظ قريبة منها فيكون الحديث المروي بهذه الطريقة عرضة للتغيير، وربما خالف معنى الأصل وباعده لأن معاني الكلام إنما توزن بميزان الألفاظ ورب لفظة لا تقوم مقام اخرى وإن كانت بمعناها أو قريبة منها، وقد يتغير الحكم الذي يتضمنه الكلام بتغيير لفظة واحدة منه، ولهذا السبب قالوا " ان المترجم خائن" لأن المترجم وهو الذي ينقل الكلام من لغة الى أخرى إنما ينظر الى المعنى فينقله بألفاظ من عنده من اللغة التي ينقل إليها تاركا الفاظ اللغة التي ينقل منها فتقع في ترجمته الخيانة لا محالة بالنقص أو بالزيادة أو التغيير أو التحريف،

وكما تقع هذه الخيانة في نقل المعنى من لغة الى أخرى كذلك في نقله من ألفاظ الى ألفاظ أخرى في لغة واحدة.

وأحسن مثال نورده لوقوع الوهن والخلل في الحديث بسبب روايته بالمعنى ما وقع من حديث تزوج النبي أم سلمة إحدى نسائه وذلك انه لمّا انقضت عدتها من زوجها الأول أبي سلمة خطبها النبي وكان لها ابن صغير عمره ثلاث سنين وكان اسمه عمر، ولمّا لم يكن أحد من أوليائها حاضرا غير ابن عمها عمر بن الخطاب قالت له قم ياعمر فزوّج رسول الله فتوهم بعض الرواة انها تخاطب ابنها الصغير عمر بقولها قم يا عمر فزوج رسول الله، فغيّر هذا اللفظ ورواه بالمعنى هكذا" فقالت لابنها قم فزوّج رسول الله"(١) وذهل عن تعذر ذلك لصغر سنه، فكانت هذه الرواية بالمعنى على هذا الوجه الذي ذكرناه سببا لاتساع الخرق في الحديث حتى ان بعض الفقهاء رواه هكذا " فقال رسول الله قم يا غلام فزوّج أمك"، فجعل القائل رسول الله لا أم سلمة كما جعل المخاطب ابنها لا عمر بن الخطاب.

ومن هذا القبيل حديث البسملة في الصلاة وذلك ان النبي كان يقرأها في صلاة الجهر خفيا ولا يجهر بها، فورد الحديث بنفي سماعها، غير أن من الرواة من فهم نفي السماع بمعنى نفي القراءة، وروى الحديث بالمعنى فاستعمل في النفي لفظ القراءة بدل السماع فجاء حديثه بنفي قراءتها كما ورد في حديث مسلم عن أنس (٢)، وفاته ان نفي السماع لا يستلزم نفي القراءة لجواز أن تكون القراءة خفية غير مجهور بها فوقع الخطأ في الحديث بسبب روايته بالمعنى، وذكر الحافظ السيوطي ان مثل هذا وقع في الصحيحين في روايات كثيرة.

ومنها أي من وجوه الوهن الذي يقع في الرواية سوء الحفظ والنسيان المؤدي الى وقوع زيادة أو نقص في الكلام، أو الى تقديم وتأخير فيه، وذلك قد يؤول الى فساد المعنى وانقلابه الى ضده كما جاء في حديث أبي هريرة عن وضع اليدين والركبتين عند السجود في الصلاة، فإن الثابت المشهور عن النبي أنه كان إذا خر ساجدا في صلاته وضع أولا ركبتيه على الأرض ثم يديه ثم جبهته وأنفه كما رواه شريك عن عاصم بك كليب عن أبيه عن وائل بن حجر، وكما رواه أيضا غير واحد من الرواة، ولكن جاء في الرواة من روى عن أبي
هريرة عن النبي انه قال إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه (٣). وهذا لا يصح
في لمعنى لأن قوله فلا يبرك كما يبرك البعير يناقض قوله وليضع يديه قبل ركبتيه وذلك لأنه إذا وضع يديه قبل ركبتيه فقد برك كما يبرك البعير إذ لا شك ان البعير، إذا برك فإنه يضع يديه أولا وتبقى رجلاه قائمتين، وإذا نهض فإنه ينهض برجليه أولا وتبقى يداه على الأرض، وهذا هو الذي نهى عنه بقوله فلا يبرك كما يبرك البعير، ثم أمره بأن يفعله بقوله وليضع يديه قبل ركبتيه. وقال: ابن القيم في زاد المعاد وكان يقع لي أن حديث أبي هريرة هذا مما انقلب على بعض الرواة متنه، يريد بقوله انقلب على بعض الرواة متنه انه وقع في بعض كلماته تقديم وتأخير فبدل أن يقول " وليضع ركبتيه قبل يديه" قال " وليضع يديه

قبل ركبتيه" قال ابن القيم وهذا كما انقلب على بعضهم حديث ابن عمر " ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم"(٤) فانقلب على الراوي اذ قال " ان ابن أم مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال" ويؤيد ما قاله ابن القيم من ان متنه انقلب على بعض الرواة روايته على الوجه الصحيح عن ابي هريرة ايضا عن طريق آخر، فقد روى ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن سعيد عن جده عن أبي هريرة عن النبي قال: إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك كبروك الفحل، ورواه الأثرم في سننه أيضا عن أبي بكر كذلك.

ومما ينتجه سوء الحفظ غلط الرواة وتبديلهم كلاما بكلام آخر كما وقع في حديث رفع اليدين في الصلاة عند الهوي الى السجود، فإن المعلوم من هدي النبي في ذلك انه بعد الركوع كان يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه، ولكن قد روي ايضا انه كان يرفعهما، وصحح هذه الرواية بعض الحافظ كأبي محمد بن حزم قال ابن القيم في زاد المعاد وهو وهم فلا يصح ذلك عنه البتة، قال والذي غره ان الراوي غلط من قوله " كان يكبر في كل خفض ورفع"(٥) ثم قال وهو (يعني أبا محمد بن حزم) ثقة ولكنه لم يفطن لسبب غلط الراوي ووهمه فصحح حديثه.

ومن نتائج سوء الحفظ وقوع الوهم من الراوي في تبديل مكان بمكان وزمان بزمان فمن ذلك ما ذكره الرواة من أن النبي لمّا رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة خرج الناس لتلقيه، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدرُ علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

غير أن بعض الرواة قد روى ذلك عند مقدمه المدينة من مكة لا من تبوك وهو غلط من الراوي في الزمان والمكان، ومن البلادة ما ذكره صاحب السيرة الحلبية إذ قال ولا مانع من تعدد الحادثة (٦) ووقوعها في كلا الزمانين والمكانين فإن قول الولائد:" من ثنيات الوداع" دليل قاطع على ان ذلك كان عند مقدمه من تبوك لا من مكة لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام ولا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه الى الشام كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد (٧).

ومن هذا القبيل خبر نوم النبي حتى طلعت الشمس وفاتته صلاة الصبح وذلك انه في غزوة تبوك نام رسول الله ذات ليلة فلم يستيقظ حتى علت الشمس قيد رمح، وكان النبي قد قال لبلال أكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه، قال ألم أقل لك يا بلال أكلأ لنا الفجر، وفي رواية ان بلالا قال لهم ناموا وأنا أوقظكم، فاضطجعوا فقال له رسول الله يا بلال أين ما قلت، قال يا رسول الله ، ذهب بي مثل الذي ذهب بك، وفي رواية أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، وقال النبي للصديق: ان الشيطان صار يهدئ بلالا للنوم كما يُهدَّأ الصبي حتى ينام، ثم دعا رسول الله بلالا وسأله عن سبب نومه، فأخبر النبي بما أخبر به النبي الصديق، فقال الصديق للنبي: أشهد انك رسول الله، ثم انتقل رسول الله من منزله غير بعيد

ثم صلى (٨)، هذه القصة بعينها رويت في مرجع النبي من تبوك ورويت في مرجعه من الحديبية، ورويت في مرجعه من حنين، ورويت في مرجعه من وادي القرى، ولا شك ان إحدى هذه الروايات صحيحة والروايات الاخرى ليست إلا من غلط الرواة في الزمان والمكان. قال في الإمتاع وهذا يصح لأن الآثار الصحاح على خلافه أي دالة على ان ذلك كان في مرجعه من وادي القرى (٩) وأما قول صاحب السيرة الحلبية " وقد يقال لا مانع من التعدد" فكلام فارغ إذ من البعيد جدا أن تتكرر هذه الحادثة أربع مرات بشكل واحد.
ومن وجوه الوهن الذي يقع في الرواية هرم الراوي وخرفه، فمن ذلك ما روي من حديث على الجنازة في المسجد، فإن النبي كان الغالب في هدية وسنته أن يصلي على الجنازة خارج المسجد، وربما كان يصلي أحيانا على الميت في المسجد، كما صلى على سهيل بن بيضاء وأخيه في المسجد، ولكن لم يكن ذلك سنته وعادته، خلاصة القول في هذه المسألة هي ان الصلاة على الميت في المسجد جائزة ولكن الصلاة عليه خارج المسجد أفضل، غير انه ورد حديث يدل ظاهره على ان الصلاة عليه في المسجد لا تجوز وهذا الحديث رواه أبو داوود في سننه (١٠) ، ومن حديث صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله: " من صلى على جنازة في المسجد فلا شئ له"(١١) وقد روى هذا الحديث ايضا عن طريق اخر " فلا شئ عليه" (١٢) بدل " فلا شئ له" والفرق بين العبارتين ظاهر فإن فيهما تعارضا بينا، فقال الإمام أحمد (١٣) ان هذا الحديث مما تفرد به صالح مولى التوأمة، وقال ابن القيم في زاد المعاد وصالح ثقة في نفسه كما قال عباس عن ابن معين هو ثقة في نفسه، وقال ابن أبي مريم ويحيى هو ثقة حجة، فقلت له ان مالكا تركه، فقال ان مالكا أدركه بعد أن خرف، والثوري إنما أدركه بعد أن خرف فسمع منه لكن ابن أبي ذؤيب سمع منه قبل أن يخرف. وقال علي ابن المديني هو أي صالح ثقة إلا انه خرف وكبر فسمع منه الثوري بعد ان خرف. وسماع ابن أبي ذؤيب منه قبل ذلك، وقال ابن حبان ان صالحا تغير في سنة خمس وعشرين ومائة وجعل يأتي بما يشبه الموضوعات عن الثقات فاختلط حديثه القديم ولم يتميز فاستحق الترك (١٤) والنتيجة هي ان هذه الرواية انما وقع فهيا الوهن والضعف لهرم راويها وخرفه وهو صالح مولى التوأمة.(١٥)

ومن وجوه الوهن الذي يقع في الرواية سبق اللسان، وذلك بان يسبق لسان الراوي الى أن يقول خلاف ما سمع عن غير قصد منه، وهذا عجيب جدا وقد وقع فعلا في حياة النبي يوم فتح مكة، وذلك ان رسول الله أمر خالد بن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وقال له:" لا تقاتلوا إلا من قاتلكم"، وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا اناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا، فلما لقيهم خالد بن الوليد منعوه الدخول ورموه بالنبل وقالوا له لا تدخلها عنوة، فصاح خالد في أصحابه فقتل منهم من قتل وانهزم منهم من لم يقتل، واستمر يدفعهم الى ان وصل الحزورة الى باب المسجد، وصعدت طائفة منهم الجبل، فتبعهم المسلمون، وكان النبي على العقبة فلما رأى بارقة السيوف قال: ما هذا! وقد نهيت عن القتال، فقيل له لعل خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل

من يقاتله، وما كان يا رسول الله ليخالف أمرك، فقال رسول الله لرجل من الأنصار عنده: يا فلان، قال: لبيك يا رسول الله، قال: أئت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله يأمرك ان لا تقتل بمكة أحدا، فجاء الأنصاري فقال: يا خالد ان رسول الله يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس، فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة، فجاء الى النبي رجل من قريش فقال: يا رسول الله هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم، قال: ولم، قال: هذا خالد بن الوليد لا يلقى أحدا من الناس إلا قتله، قال: ادع لي خالدا، فدعاه فقال له: يا خالد، ألم ارسل اليك ان لا تقتل أحدا، قال: بل أرسلت أن أقتل من قدرت عليه، فقال رسول الله: ادع لي الأنصاري، فدعاه له، فقال: أما أمرتك أن تأمر خالدا ان لا يقتل أحدا، قال: بلى ولكنك أردت أمرا وأراد الله غيره، فسكت رسول الله ولم يقل للأنصاري شيئا، وقال لخالد: كف عن الطلب، قال: فعلت، فقال رسول الله: قضى الله أمرا (١٦).

ان هذا الأنصاري صادق في اعتذاره للنبي بقوله" ولكنك أردت أمرا وأراد الله غيره"، ومعنى اعتذاره هذا هو انني لم أقل خلاف ما سمعت عن قصد وإنما أجراه الله على لساني بلا اختيار مني، واذا علمت ان الراوي قد يبلغ به الخطأ الى هذا الحد، علمت ما هي قيمة الرواية في إفادة العلم، وعلمت ما هو مكانها من جواز الاعتماد عليها في الامور المهمة، ولهذا نرى قواد الجيوش في هذا العصر لا يعتمدون في تنفيذ الاوامر الحربية وفي تبليغها الا على الكتب دون الرواية حذرا من وقوعهم في مثل هذا من الاخطاء.

ومنها أي من وجوه الوهن الذي يقع في الرواية وهم الراوي في توجيه معنى الحديث، فمن ذلك ما روي في العقيقة من حديث عائشة عن النبي قال: " كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى" (١٧) وقد جاء هذا الحديث في رواية همام عن قتادة وفيه بدل" ويسمى" " ويدمى" (١٨) وسبب ذلك ان العقيقة كانت معمولا بها في الجاهلية فانهم كانوا اذا ولد لهم غلام ذبحوا شاة ولطخوا رأسه بدمها، فتوهم الراوي ان الصحيح "يدمى"، لأن المتعرف في العقيقة هو التدمية، فقال في الحديث لما رواه "ويدمى" بدل أن يقول " ويسمى" قال همام وسئل قتادة عن قوله ويدمى كيف يصنع بالدم فقال له اذا ذبحت العقيقة أخذت منها صوفة واستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتي تسيل على رأسه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق. وبهذا أي بحكاية همام عن قتادة صفة التدمية يرد قول من قال ان هماما كان ألثغ، وانه قال يدمى بدل يسمى لمكان لثغته اذ لو كان هذا التبديل بسبب لثغته لما ذكر له قتادة صفة التدمية عند السؤاله، بل ان هذا التبديل إنما كان سببه الوهم من قتادة كما قلناه، ثم ان مالكا والشافعي وأحمد واسحق كلهم قالوا (يدمي) غلط وإنما هو يسمى، قالوا وهذا كان من عمل الجاهلية فأبطله الإسلام بدليل ما رواه أبو داود (١٩) عن بريدة بن الحصيب قال كنا في الجاهلية إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطخ رأسه بدمها، فما جاء الله بالإسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران، قالوا ومعلوم أن النبي عق عن الحسن والحسين بكبش ولم يدمهما ولا كان ذلك من هديه ولا من هدي أصحابه، قالوا وكيف يكون من سنته تنجيس رأس المولود وإنما يليق هذا بأهل الجاهلية.

ومن الروايات التي أصابها الوهن فحصل فيها اختلاف كثير بسبب وهم الرواة حديث تحريم المتعة، فقد اختلفوا في الوقت الذي حرمت فيه، فقيل انها حرمت في يوم فتح مكة، وقيل في يوم خيبر، ومنشأ هذا الاختلاف هو الوهم وسوء الفهم لا غير وإليك بيان ذلك.

ورد في الصحيحين (٢٠) من حديث علي بن ابي طالب " ان رسول الله نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الأنسية"، وهذا الحديث قد صحت روايته بلفظين أحدهما هذا والثاني هكذا " نهى النبي عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر"، فأنت ترى في الروايتين ان الظرف أي قوله" يوم خيبر" متقدم في الرواية الأولى مذكور بعد متعة النساء ومتأخر في الرواية الثانية مذكور بعد لحوم الحمر الأهلية في آخر العبارة. والصحيح هو الرواية الثانية، وهي رواية ابن عيينة عن الزهري، وما الرواية الاولى إلا الناشئة من توهم بعض الرواة، وذلك ان قوله في الحديث "يوم خيبر" في الرواية الثانية إنما هو ظرف لتحريم لحوم الحمر الأهلية فقط دون المتعة، ولكن بعض الرواة توهم انه ظرف لتحريم كلا الأمرين، فتصرف في الحديث بأن قدم الظرف فجاء الحديث هكذا "ان رسول الله" نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الأنسية فصار ظاهر الكلام انه ظرف لتحريم كلا الأمرين ، ولم يقف التغيير عند هذا الحد بل جاء بعض الرواة فاقتصر على رواية بعض الحديث فقال هكذا: "حرم رسول الله المتعة زمن خيبر " فزاد الطين بلة وجاء بالغلط البين، فصار بذلك "يوم خيبر" ظرفا لتحريم المتعة فقط بعد ان كان ظرفا لتحريم لحوم الحمر الأهلية فقط.

فأن قيل اذا كان قوله يوم خيبر ظرفا لتحريم لحوم الحمر الأهلية فقط كما تقول، فأي فائدة في الجمع بين التحريمين إذا لم يكونا قد وقعا في وقت واحد، وأين المتعة من تحريم الحمر، قلنا اننا إذا أوضحنا كيف ولماذا روى علي ابن ابي طالب هذا الحديث زال هذا الاعتراض من نفسه ووضح الصبح حينئذ لذي عينين.

ذلك ان عبد الله بن عباس كان يبيح المتعة ولحوم الحمر، وكان علي لا يبيحهما، فناظر يوما ابن عمه في المسألتين، وروى له التحريمين، وقيد تحريم الحمر بزمن خيبر، وأطلق تحريم المتعة، ومما جاء في مناظرته لابن عباس انه قال له انك امرؤ تائه، ان رسول الله حرم المتعة وحرم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر (٢١) فترى انه روى الأمرين محتجا عليه بهما لا مقيدا لهما بيوم خيبر.

قال بعضهم وههنا نظر آخر وهو انه هل حرمها تحريم الفواحش التي لا تباح بحال، او حرمها عند الاستغناء عنها وأباحها للمضطر؟ فهذا هو الذي نظر فيه ابن عباس حتى لقد قال أنا أبحتها للمضطر كالميتة والدم، فلما توسع فيها من توسع ولم يقف عند الضرورة أمسك ابن عباس عن الإفتاء بحلها ورجع عنه.

فقد تبين لك ان القول بتحريم المتعة يوم خيبر ناشئ من وهم بعض الرواة، وان الصحيح هو تحريمها عام فتح مكة كما جاء في صحيح مسلم (٢٢) انهم استمتعوا عام الفتح مع النبي فإذن منه ولو كان التحريم زمن خيبر لزم النسخ مرتين، وهذا لا عهد بمثله في الشريعة البتة ولا يقع مثله فيها، وايضا فإن خيبر لم يكن فيها

مسلمات وإنما كن يهوديات وإباحة نساء أهل الكتاب لم تكن اذ ذاك تثبت بعد، وانما أبحن بعد ذلك في سورة المائدة، وقد جاء في بعض الروايات ان المتعة حرمت عام حجة الوداع، أي في السنة العاشرة للهجرة لا في السنة الثامنة التي هي عام فتح مكة، قال ابن القيم في زاد المعاد وهو وهم من بعض الرواة سافر فيه وهمه من فتح مكة الى حجة الوداع، قال وسفر الوهم من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ومن واقعة الى واقعة كثيرا ما يعرض للحفاظ فمن دونهم (٢٣)

وأيضا قد جاء في بعض الروايات انها حرمت في خلافة عمر بن الخطاب وانه هو الذي حرمها بدليل ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وابي بكر حتى نهى عنهاعمر انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهي عنهما متعة النساء ومتعة الحج(٢٤). فإن صحت هذه الرواية كان على ما تقدم من غيرها من الروايات باطلا، ولكن من البعيد أن تكون هذه الرواية صحيحة لأن التحريم والتحليل من الأمور الخاصة برسول الله بل بالله وحده كما تدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فليس لرسول الله ولا لغيره أن يحل حراما أو يحرم حلالا إلا لرسول الله بوحي من الله، فكيف سنح لعمر أن يحرم ما كان حلالا في عهد رسول الله، فلكون هذه الرواية تصادم هذه الحقيقة المعلومة من دين الإسلام يجب الجزم بأنها موضوعة مختلقة لا أصل لها.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب (١) السيرة الحلبية ٣٢٣/٢- ٣٢٤، سيرة ابن هشام،٦٤٤/٤- ٦٤٥. القراءة.
(٣) سنن ابن داود، كتاب الصلاة، الحديث رقم: ٧١٤؛ مسند أحمد، الحديث رقم:٨٥٩٨.
.(٥) المصدر نفسه، ٢٧١/١ (٤) زاد المعاد، صفة صلاة النبي، ٢٦٠/١.

(٧) زاد المعاد، غزوة تبوك. (٦) السيرة الحلبية، ١٤٤/٣- ١٤٥.

(٩) السيرة الحلبية، ١٣٨/٣- ١٣٩. (٨) السيرة الحلبية، ١٣٧/٣.
(١١) مسند احمد، رقم: (١٠) سنن أبي داود كتاب الجنائز، الحديث رقم ٢٧٧٤ ، ٢٧٧٥ ورقم ٢٧٧٦. ٩٤٨٧، ١٠١٥٧، ١٥١١٣.
(١٣) مسند احمد، رقم: الآحاديث: ٩٤٨٧، (١٢) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، الحديث رقم: ٢٧٧٦. ١٠١٥٧، ١٥١١٣.
(١٤) زاد المعاد، الصلاة الجنائز: وانظر كتب الجرح والتعديل، الجامع في الجرح والتعديل، ٣٩٢/١.
(١٦) السيرة الحلبية، ٨٤/٣. (١٥) هو صالح بن نبهان، وهو صالح بن ابي صالح.

(١٧) سنن النسائي، كتاب العقيقة، الحديث رقم:٤١٤٩.
(١٨) سنن ابي داود، كتاب الضحايا، رقم: ٢٤٥٤؛ مسند احمد، رقم:١٩٢٢٥، ١٩٣٣٠، ١٩٣٨٢؛ سنن الداري، كتاب الأضاحي، الحديث رقم:١٨٨٧.
(١٩) سنن ابي داود، كتاب الضحايا الحديث رقم: ٢٤٦٠.
(٢٠) صحيح البخاري، ٢١/٧، باب نهي النبى(ص) عن نكاح المتعة؛ صحيح مسلم، ٥٣٥/١؛ مسند احمد ٤٣٦/٤ موطأ مالك، باب المتعة؛ تفسير الرازي، ٣٠٠/٣. انظر صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب نهي النبي (ص) عن نكاح المتعة، الحديث ٤٧٢٣، وكتاب الذبائح والصيد، الحديث رقم: ٥٠٩٨؛ صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، الأحاديث:٢٤٩٥، ٢٤٩٦، ٢٤٩٩، ٢٥٠٠، ٢٥٠٣، ٢٥٠٥، ٢٥٠٧، ٢٥٠٨، ٢٥٠٩، ٢٥١١؛ سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم نكاح المتعة، الحديثان ١٠٤٠- ١٠٤١، سنن النسائي، كتاب النكاح، تحريم المتعة، الأحاديث: ٣٣٢١، ٣٣١٥، ٤٢٦٠؛ سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، الحديث رقم: ١٨٠٥؛ سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب النهي عن نكاح المتعة، الحديث رقم: ١٩٥٣؛ مسند احمد، الأحاديث: ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٤٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٥٥٨، ٧١٧، ٧٧١، ٥٤٣٦، ٥٥٤٦، ١٤٥٤٢، ١٤٨٠٢، ١٤٧٩٧، ١٤٨٠٥، ١٤٨٠٦، ١٤٨٠٨ ، ١٤٨٠٩، ١٩٠٦٠، موطأ مالك، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة: الحديث رقم ٩٩٥؛ سنن الدارمي، الحديث رقم ١٧٤٤، ١٨٤٢، ٢٠٩٩، ٢١٠٠.
(٢١) ابو جعفر النحاس؛ الناسخ والمنسوخ، صفحة ١٠٤.
(٢٢) صحيح مسلم، ٥٣٥/١.
(٢٤) صحيح مسلم، ٥٣٥/١. (٢٣) زاد المعاد ١٦٠/٢- ١٦٥.

الباب الأول

محمد ليس نبيا للاله الواحد الحق الحقيقى

نبى بلا معجزة

ليس هذا رأيا شخصيا ولكنه رأى صاحب القرآن نفسه كما هو واضح من آيات عديدة وصريحة . منها :
"وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه , قل ان الله قادر على أن ينزل آية , ولكن أكثرهم لا يعلمون" الأنعام ٣٧ .
"ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه , فقل انما الغيب لله , فانتظروا انى معكم من المنتظرين" يونس ٢٠ .
"وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه , قل انما الآيات عند الله , وانما أنا نذير مبين" العنكبوت ٤٩ .
" ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه , انما أنت منذر , ولكل قوم هاد " الرعد ٧ .
" وان كان كبر عليك اعراضهم , فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية , ولو شاء الله لجمعهم على الهدى , فلا تكن من الجاهلين " الأنعام ٣٥ .
"فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك , انما أنت نذير , والله على كل شىء وكيل " هود ١٢ .
"فانت كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك , لقد جائك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين"
يونس ٩٤ – ٩٥ .
"وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية" البقرة ١١٨ .
"وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها" الأنعام ١٠٩ .
"قالوا لولا يأتينا بآية من ربه " طه ١٣٣ .
"فليأتينا بآية كما أرسل الأولون " الأنبياء ٥ .
"وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه " العنكبوت ٥٠ .
" لولا...يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها " الفرقان ٨ .
" وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه , قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا " الاسراء ٩٠ – ٩٣ .

"قل انما الآيات عند الله" الأنعام ١٠٩ .
"قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين " العنكبوت ٥٠ .
"وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله " الرعد ٣٨ .
"قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى" الكهف ١١٠ و فصلت ٦ .

شق القمر ليس معجزة

المعجزة الكبرى الذي يدعي البعض أن القرآن ينسبها لمحمد هي معجزة شق القمر.
وسوف نناقشها في هذا الفصل لنرى مدى صحة هذا الإدعاء.

جاء في سورة القمر: (القمر: ١ـ ٦)

إقتربت الساعة وانشق القمر* وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر* وكذبوا واتبعوا أهواءهم ولك أمر مستقر* ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر* حكمة بالغة فما ثغن النذر* فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر*.

١ـ واضح من الآية أن انشقاق القمر مرتبط بيوم القيامة كما قال المفسرون:

ابن كثير:

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى" أتى أمر الله فلا تستعجلوه" قال " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون".

الجلالان:

" اقتربت الساعة " قربت القيامة: وانشق القمر " انفلق فلقتين على أبي قبيس وقيقعان آية له (ص) وقد سُئلها فقال " اشهدوا" رواه الشيخان.

الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى: {إقتربت الساعة} يعني تعالى ذكره بقوله { اقتربت الساعة}: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله {إقتربت} افتعلت من القرب. وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة. وقرب فناء الدنيا. وأمر لهم بالإستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون.

القرطبي:

وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر: أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر: وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور. وقال: لأنهُ إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه , لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية. وقيل:" وانشق القمر" أي وضح الأمر وظهر؛ والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح؛ قال: أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى حي سواكم لأميل فقد حمت الحاجات والليل

مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقا؛ لإنفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة: فلما أدبروا ولهم ذوي دعانا عند شق الصبح داع.

والدليل القاطع عن أن الكلام عن يوم الحساب هو الآية ٦ من السورة. وهاك تفسير المفسرون لها:

ابن كثير:

يقول تعال فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم" يوم يدع الداع الى شيء نكر " أي الى شيء منكر فطيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والزلازل والأهوال.

الجلالين:

" فتولى عنهم" هو فائدة ما قبله وثم به الكلام " يوم يدع الداعي" هو إسرافيل وناصب يوم يحرجون بعد " إلى شيء نكر" بضم الكاف وسكونها أي مُنكر تنكره النفوس وهو الحساب.

الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى:{ فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر} يعني تعالى ذكره بقوله:{ فتول عنهم}: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مُستمر، فإنهم يوم يدعو داعي الله الى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النكر.

القرطبي:

فتول عنهم فإن لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تول عنهم يا محمد فقد أقمت الحُجة وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل: أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنهم يدعون " الى شيء نكر" وينالهم عذاب شديد. وهو كما نقول: لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي وكل أمر مُستقر يوم يدعو الداعي. قرأ ابن كثير" نكر" بإسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر وعُسر وشغل وشُغل، ومعناه الأمر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة. والداعي هو إسرافيل عليه السلام.

٢- القول بأن شق القمر كان تلبية لطلب مشركي مكة الذين طلبوا آية من محمد يناقض القرآن الذي يصرح بأن الله لم يؤيد محمد بالآيات رغم إلحاح أهل قريش عليه كما نرى في الآيات التالية:

الأنبياء ٥: بل قالوا أضغاثُ أحلام بل افتراه بل هو شاعر فيأتنا بآية كما أرسل الأولون.

البقرة ١١٨و١١٩: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآياتِ لقوم يوقنون. إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم.

الرعد ٧: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد.

الرعد٢٧: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب.

الإسراء ٩٠- ٩٢: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا؛ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا؛ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كيسقا - قطعا - أو تأتي باللهِ والملائكة قبيلا.

الإسراء ٥٩: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأتينا ثمود الناقة مُبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا.

أحاديث شق القمر:

١١٥٧٤٩ - انشق القمر على عهد رسول الله (ص) شقين، فقال النبي: (اشهدوا).
الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: البخاري - المصدر: الجامع الصحيح - الصفحة أو الرقم:٣٦٣٦.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

١١٧٤١١ - عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.
الراوي: قتادة المحدث: البخاري - المصدر: الجامع الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٤٨٦٨.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

١١٨٢٥٠ - انشق القمر في زمان النبي (ص).
الراوي: عبد الله بن عباس المحدث: البخاري - المصدر: الجامع الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٤٨٦٦.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

١٧٦١١٨- انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فلقتين. فستر الجبل فلقة. وكات فلقة فوق الجبل. فقال
رسول الله " اللهم! اشهد". وفي رواية:" اشهدوا. اشهدوا".
الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: مسلم - المصدر: المسند الصحيح - الصفحة أو الرقم:٢٨٠٠.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

١٧٦١٢٢- عن أنس قال: انشق القمر فرقتين. وفي حديث أبي داود: انشق القمر على عهد رسول الله.
الراوي: قتادة المحدث: مسلم - المصدر: المسند الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٢٨٠٢.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

شق القمر في شعر امرئ القيس:

امرؤ القيس هو أحد شعراء الجاهلية المتوفى سنة ٥٤٠م (أي قبل ميلاد محمد بثلاثين سنة) كانت له قصيدة مشهورة اقتبس القرآن كثيرا من فقراتها:

عـن غـزال صـاد قلبي ونفـر	دنـت الساعـة وانشـق القمـر
ناعـس الطـرف بعينيـه حـور	أحـور قـد جـرت في أوصافـه
فـرمـانـي فتعـاطـى فعقـر	مـر يـوم العيـد بـي فـي زينـة
فـر عني كهشيم المحتظـر	بسهـام مـن لحـاظ فاتـك
كانـت الساعـة أدهـى وأمـر	وإذا مـا غـاب عنـي ساعـة
بسحيق المسك سطرا مختصر	كتـب الحُسـن على وجنتـه
فـرأيتُ الليـل يسـري بالقمـر	عادة الأقمار تسري في الدجى
فرقه ذا النور كـم شيء زهـر	بالضحـى والليـل مـن طـرتـه
دنـت الساعـة وانشـق القمـر	قلـت إذ شـق العـذار خـده

فورد الشطر الأول من البيت الأول في القمر ٥٤:١ اقتربت الساعة وانشق القمر.

وورد الشر الثاني من البيت الثالث في القمر ٥٤:٢٩ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعثر.
وورد الشطر الثاني من البيت الرابع في القمر٥٤:٣١ فكانوا كهشيم المحتضر.
وورد الشطر الأول من البيت الثامن في الضحى ٩٣:١و٢ والضحى والليل إذا سجى.

وقال امرؤ القيس أيضا:

كـأنهم مـن كـل حـدب ينسلون	أقبـل والعشـاق من خلفـه
لمثـل ذا فليعمـل العـاملـون	وجـاء يـوم العيـد فـي زينتـه

فورد الشطر الثاني من البيت الأول في سورة الأنبياء ٢١:٩٦ حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون.
وورد الشطر الثاني من البيت الثاني في الصافات ٣٧:٦١ لمثل هذا فليعمل العاملون.

لقد ناقش هذا الموضوع نقاشا حياديا الشيخ الجليل محمد الغزالي (وليس أبي حامد الغزالي). مستخدما في ذلك عقله وبحثه الدؤب لإظهار الحقيقة وأنكر مسألة إنشقاق القمر ليس إنكارا للقرآن ولكنه إنكارا للتفاسير التي أخذت الأمر على علاته ولم تجهد نفسها في إخضاع النقل للعقل وأخذت فكر القبوريين كمصدر وحيد لتفسير القرآن وأخذوا العنعنة منهاجا ولبسوا عقولهم في أرجلهم وظنوا بذلك أنهم حماة الرسالة وملوكها.

لذا فإني أرجو ممن يعرض أي قضية للنقاش ألا يأخذ آراء متجمدي الفكر من أهلها لينعق به في بوق يسمع به الدهماء.

أما عن فكر هذا الرجل الجليل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في هذه المسألة فيقول:ـ
لنفترض جدلا بأن مسألة إنشقاق القمر قد حدثت فعلا إذا فهى معجزة إلاهية وليست سحرا وحاشا لله أن يلجأ الى السحر.

ولأنها معجزة إلاهية فلا بد أن يراها كل سكان الأرض ولا تكون حكرا على ابن عباس وزمرة معه من آل مكة.

ويستطرد الشيخ الجليل فيقول:-

وحيث أني قد بحثت في تاريخ كل الحضارات ولم أجد ذكرا لهذا الحدث الكوني العظيم حتى في الحضارات القريبة من الجزيرة العربية (المصرية، العراقية، السورية، اليمنية، الحبشية). فهل من المعقول أن تقتصر رؤية هذا الحدث المعجزة على بن عباس ورفاقه فقط.

ثم إن كان هذه قد حدث فهل يعقل أن الله يصنع لهم هذه المعجزة العظيمة ويكون ردهم عليها " لقد سحرنا محمد" ثم يعودون الى ديارهم دون أن ذكر لعذاب يقع عليهم نتيجة تكذيبهم هذا.

أما عن مسألة ذكر هذا في القرآن بلغة الماضي " اقتربت الساعة وانشق القمر"، ألم يذكر الله في كتابه العزيز " جفت الأقلام ورفعت الصحف" فهل الأقلام جفت وصحفنا رفعت الى الله، إذا فالعقل لا بد أن يبحث عن سر حديث الله بلغة الماضي في كثير من الآيات القرآنية.

وهنا أقول أن لغة البشر لها ماض وحاضر ومستقبل، فأما عن الماضي فقد وقع لا محالة وأما الحاضر فهو واقع نعيشة.

أما المستقبل فهو غيب عند الإنسان قد لا يحدث أما عند الله فهو ليس بغيب أي أنه عند الله واجب الحدوث.

وعندما يؤكد الله على أحداث واجبة الحدوث واجبة تختص بفعل الله سبحانه وتعالى فإنه يستخدم الماضي للتأكيد على وجوبية حدوثه، فلا عجب إذن أن يقول سبحانه وتعالى " جفت الأقلام ورفعت الصحف" و" اقتربت الساعة وانشق القمر" أى أن هذا الحدث العظيم لا بد أن يحدث عند اقتراب الساعة ليكون علامة على اقتراب الساعة.

حقيقة شقوق القمر:

شقوق القمر أو Lunar Rilles تم اكتشافها منذ ما يزيد عن مائتي عام وهي تنقسم الى ثلاثة أنواع:

sinuous rilles

arcuate rilles

straight rilles

وما يهمنا هي الآخيرة ومعناها الشقوق المستقيمة لأنه تنتمي إليها Ariadaeus Rille التي صورتها سفينة الفضاء ابوللو عشرة:

وهي أكبر وأطول شقوق القمر وأكثرها استقامة وربما هي السبب وراء الفرية العلمية التي افتراها بعضهم ... والحقيقة إن هذا الشق لا يأخذ القمر بأكمله ولا هو غائر الى عمق القمر حتى !!! بل هو مجرد شق سطحي يستمر طوله الى ثلاثمائة كيلو متر فقط أي من القاهرة الى الإسكندرية !!! وعرض هذا الشق يتراوح بين ثلاثة وخمسة كيلومترات ولا

يزيد عمقه في أعمق مناطقه عن ثمانمائة متر ... وتفسير تكون هذه الشقوق هو على على سطح القمر Lavaحسب أنواعها ... فبعضها نتج عن تدفق الحمم البركانية أو اللافا في بداية تكونه مما كون أخاديد ووديان ومرتفعات ونوع آخر نتج عن ما يسمى بأنابيب اللافا حيث كانت اللافا تتدفق في انفاق أذابتها اللافا في الصخور القديمة تحت سطح التربة ثم جفت تلك الأنابيب مما سبب هبوط وإنهيار سطح تربة القمر فوق تلك الأنابيب التي اتخذت شكلها الحالي ... أما النوع الثالث فناتج عن فوالق وصدوع في قشرة القمر لا تختلف عن الفوالق والصدوع الزلزالية على الكرة الأرضية أو هي ناتجة عن الحركة التكتونية أو بالأصح الأيزو ستاتيكية لقشرة القمر لأن القمر ليست له طبقات تكتونية كالأرض...

وبالمناسبة يوجد في الغرب أيضا من المخرفين والمدلسين اللذين ادعوا بأن تلك الشقوق ما هي إلا طرق أنشأها سكان الفضاء على القمر لتسهل انتقالهم على سطحه ... بل ويقولون أنهم شاهدوا أبراجا بناها سكان الفضاء على سطح القمر ايروس وبالمناسبة أيضا توجد شقوق مماثلة على سطح المريخ !!! برغم أنه لم ترد أي روايات عن انشقاق المريخ!

وما يهم علماء الفضاء الأن في هذه الشقوق هو امكانية تبطينها واعدادها لبناء مختبرات ومباني لإستخدام البشر فوق سطح القمر لأنه ثبت أن داخل تلك الشقوق هو آمن مكان للبشر من الأشعة الكونية والوهج الشمسي والأشعة فوق البنفسجية وما يسمى بقصف النيازك صغيرة الحجم micrometeorite . bombardment

الدكتور فاروق الباز وشق القمر:

منذ عام ١٩٦٧ عمل الدكتور فاروق الباز بمعامل بلل بواشنطن كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر.

وفي خلال هذه السنوات، اشترك في تقييم برنامج الوكالة الوطنية للطيران والفضاء " ناسا" للرحلات المدارية للقمر بالإضافة الى عضويته في المجموعات العلمية التدعمية لإعداد مهمات رحلات أبوللو على سطح القمر.

شغل منصب سكرتير لجنة اختيار موقع هبوط سفن برنامج أبوللو على سطح القمر.

كما كان رئيسا لفريق تدريبات رواد الفضاء في العلوم عامة وتصوير القمر خاصة.

كتب د. الباز ١٢ كتابا، منها أبوللو فوق القمر، الصحراء والأراضي الجافة، حرب الخليج والبيئة، أطلس لصور الأقمار الصناعية للكويت، ويشارك في المجلس الإستشاري لعدة مجلات علمية عالمية. كتب مقالات عديدة، وتمت لقاءات كثيرة عن قصة حياته وصلت الى الأربعين، منها " النجوم المصرية في السماء"، " من الأهرام الى القمر"، " الفتى الفلاح فوق القمر"، وغيرها. تبلغ أوراق د. الباز العلمية المنشورة الى ما يقرب من ٥٤٠ ورقة علمية، سواء قام بها وحيدا أو بمشاركة آخرين، ويشرف على العديد من رسائل الدكتوراة.

جال د. فاروق العالم شرقا وغربا، وحاضر في العديد من المراكز البحثية والجامعات.
في كل هذا الكم من المحاضرات والكتب التي كتبها والأوراق العلمية التي قدمها؛ وهو رجل مسلم ... لا يتعرض من قريب أو من بعيد عن معجزة شق القمر ... لأنه رجل يخاف أن يفقد منصبه العلمي لو أنه تكلم عن خرافة لا دليل علمي له عنها ...

http://www.arabiancreativity.com/albaz.htm

كما أن هنا مقابلة تمت مع الباز؛ والمحاور كان مسلما؛ وقد تم طرح ١١ سؤالا عليه؛ والغريب أن المحاور لم يتجرأ؛ أن يقترب إطلاقا من موضوع شق القمر؛ بالرغم من أنه متخصص في سطح القمر ...   مسلم ويناقش رجل مسلم

http://www.arabiancreativity.com/albaz.htm

لماذا لا يتكلم هذا المتخصص في سطح القمر؛ وهو مسلم؛ عن شق القمر ...؟!!!
والجواب طبعا واضح : لأن إنشقاق القمر بالطريقة الإسلامية لم يحدث إطلاقا ...

الاسراء والمعراج من مخيلة الرواة

المعجزة الأخرى التى يدعيها البعض لنبى الاسلام هى "الاسراء والمعراج" . فهل هى معجزة فعلا؟ لنرى .

أولا: الإسراء في كتاب سنة الأولين لإبن قرناس.

ماذا يقول القرآن الكريم عن الإسراء

السورة كان اسمها في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل، ولا زال هذا اسمها في تفسير سفيان الثوري وابن عباس، ولكن عندما جاء مفسرو القرون اللاحقة مثل القرطبي والطبري وابن كثير سموها سورة الإسراء، لأن قصة الإسراء كانت قد انتشرت بين الناس. وقد أورد البخاري حديثا برقم (٤٨٧٤) يؤكد اسمها الأول، وهذا نصه: حدثنا آدمُ حدثنا شُعبةُ عن أبي إسحاق قال: سمعتُ عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهنُ من العتاق الأول، وهُن من تِلادي.

والسورة سميت ببني إسرائيل لأن الآيات الأولى منها تستعرض تاريخ بني إسرائيل بصورة إجمالية وسريعة:

بسم الله الرحمن الرحيم. سُبحَانَ الذي أَسرَى بِعَبدِهِ لَيلاً منَ المَسجِدِ الحَرام الى المَسجِدِ الأقصَى الذي بَاركنَا حَولهُ لنُريهُ من آياتِنَا إنَّهُ هُو السمِيعُ البَصيرُ. وآتينَا مُوسى الكِتابَ وجعلنَلهُ هُدى لبنِي إسرائيل ألاَّ تَتخِذُوا مِن دُونني وكِيلا. ذُريَّة من حَمَلنَا مَعَ نُوح إنهُ كان عبدا شَكُورا. وقَضينَا الى بني إسرائيل في الكِتاب لتفسِدُن في الأرضَ مَرتَين ولَتَعلُن عُلُوا كبيرا. فإذا جَاء وعدُ أولاهُما بَعثنَا عَليكُم عِبادا لنا أولي بأس شديد فَجَاسُوا خِلال الديار وكَان وعدا مفعُولا. ثُمَّ رددنَا لكُمُ الكرة عَليهِم وأمددناكُم بأموال وبنينَ وجَعلناكُم أكثرَ نَفيرا. إن أحسنتُمُ أحسَنتُمْ لأنفسكُم وإن أسأتُمْ فَلهَا فَإذا جَاء وَعْدُ الآخِرةِ لِيَسُوؤُوا وُجُهَكم وليَدْخُلوا المَسجِدَ كَمَا دَخلوهُ أولَ مَرةٍ وليُتبرُوا ما عَلوا تَتبيرا. عَسى ربكُمْ أن يَرحَمكُمْ وإن عُدتم عُدنا وَجَعلنَا جَهْنمَ للكافِرينَ حصيرا (بني إسرائيل: ١ـ ٨).

ويقول بعض المفسرين أنها سورة مكية، بينما يستثني القرطبي والشوكاني وغيرهم، الآيات: ٦٠، ٧٦، ٨٠، ١٠٧ على أنها نزلت في المدينة.

وبطبيعة الحال هناك سور نزلت بالكامل في مكة وأخرى نزلت بالكامل في المدينة، وهناك آيات من سورة نزلت في مكة وأخرى من السورة نفسها نزلت في المدينة، ولكن لا يوجد ضوابط محددة اتفق عليها المفسرون والمحدثون والفقهاء يركن لها لتحديد الآيات التي نزلت في مكة والآيات التي نزلت في المدينة. وليس هناك سجل مكتوب في عهد الرسول، يسجل متى وأين نزلت الآيات، وكل ما يقوله رجال الدين عن مكان نزول الآيات هو اجتهادات شخصية محضة.

وبعيدا عن اجتهادات المفسرين، يمكن ملاحظة بعض الخصائص الملازمة للآيات المكية وأخرى ملازمة للآيات المدنية، ومن ذلك أن السور المكية تذكر الأمم السابقة وما حل بها، وتدعو الى وحدانية الله والتفكر في مخلوقاته الدالة على تلك الوحدانية وعلى قدرته سبحانه على إعادة الخلق وإمكانية البعث.

كما أن الآيات المكية تؤكد على الصبر على الشدائد، وتدعو الرسول الى الصبر والإكثار من تسبيح الله والصلاة.

وكل آية فيها وعيد لشخص من قريش ولو لم يذكر بالإسم فهي مكية.

وكل الآيات التي ذكر فيها الحور العين والتي تصور ملذات الجنة بصور مماثلة لما في الدنيا كالخمر فهي مكية. إضافة الى خصائص أخرى.

أما الآيات المدنية فمن خصائصها أنها تتحدث عن بني إسرائيل وتخاطبهم، كما تخاطب من قالوا بأنهم نصارى. وكل الآيات التي تتحدث عن عيسى ابن مريم وأمه فهي مدنية.

وكل الآيات التي تتحدث عن المنافقين، ومثلها آيات الحدود، والآيات التي فيها تشريع أو ذكر فيها الصيام والحج والجهاد.

وهناك مواضيع ذكرت في آيات مكية، ومن ذلك الصلاة والزكاة (الإنفاق).

والآيات الثماني الأولى من سورة بني إسرائيل تتحدث عن بني إسرائيل ولذلك فهذه الآيات مدنية، كما أن السورة تعود في آخرها الى الحديث عن بني إسرائيل كما بدأت، وذلك في الآيات (١٠١ـ ١٠٤) فتكون تلك الآيات مدنية أيضا.

ولكن هل الآية الأولى مدنية؟ أم أن السورة بدأت بآية واحدة نزلت في مكة ثم نزلت الآيات السبع التالية في المدينة؟

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يلاحظ أنه لا توجد سورة واحدة من سوره المائة والأربع عشرة تبدأ بالحديث عن موضوع في الآية الأولى ثم تنتقل في الآية رقم اثنين الى موضوع آخر، على الإطلاق، إلا ما يكون من أمر الحروف الانفرادية التي تبدأ بها بعض السور، مثل: ألم، طسم، الر... ونحوها، أو تلك السور التي تبدأ بقسم، وكل هذه البدايات لا تتحدث عن موضوع بل هي افتتاح للسورة، ومن ذلك افتتاح سورة الحجر والتي تبدأ بقوله تعالى: الرَ تِلكَ آياتُ الكِتاب وقُرآن مُبين (الحجر:١) قبل أن تتبع بالآيات التالية: رُّبَمَا يَودُّ الذينَ كَفَروا لو كانُوا مُسلمينَ. ذَرهُم يأكُلوا ويَتَمتعُوا ويُلهِهِمُ الأمل فَسوفَ يَعلمُون (الحجر: ٢ـ ٣).

فهل سورة بني إسرائيل هي السورة الوحيدة في القرآن الكري التي تبدأ بالحديث عن موضوع هام جدا وغير اعتيادي، كالإسراء، وبشكل مقتضب جدا، ثم تنتقل الآية الثانية وما بعدها الى موضوع آخر ولا تعود الى الحديث عن الموضوع الذي بدأته في الآية الأولى أبدا، بل إن جميع آيات القرآن الكريم والبالغ عددها (٦٢٣٦ آية) لا تتحدث عنه أبدا، في الوقت الذي نزلت فيه الآيات القرآنية للحديث بالتفصيل عن مواضيع أقل شأنا من الإسراء بكثير، وفي مواضع متعددة.

هذا لو افترضنا أن الآية الأولى منفصلة عن الآيات السبع التي تليها، كما يزعم المفسرون، وهذا ما يتعارض مع كل الشواهد التي أوردناها في نقاشاتنا السابقة.

ويتبقى احتمال أن تكون الآية الأولى في السورة تتحدث عن الموضوع نفسه الذي تتحدث عنه الآيات التي تليها مثلها في ذلك مثل بقية سور القرآن العظيم بلا استثناء. وهذا ما يعطينا الحق بمناقشة هذا الإحتمال؟

ولو فعلنا فسنجد أن الآية تنص على أنه كان هناك إسراء لعبد من عبيد الله، وتم الإسراء من المسجد الحرام الذي لا يوجد مسجد حرام غيره والذي هو في مكة، وأن الإسراء، وهو السير في جنح ظلام الليل، قد تم الى المسجد الأقصى الذي بورك حوله، وكان الهدف من الإسراء هو أن يري الله سبحانه ذلك العبد بعضا من الآيات، أو المعجزات الحسية، يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. سُبحانَ الذي أسرَى بِعبدهِ ليلا منَ المسجِدِ الأقصى الذي باركنِا حَولهُ لنُريهُ من آياتِنا إنهُ هُو السَّميعُ البَصيرُ (بني إسرائيل: ١).

بينما تتحدث الآيات السبع التالية عن موسى ورسالته ثم عن بني إسرائيل وما تعرضوا له خلال تاريخهم بإختصار شديد، وكأنه إجمال لكل ما ذكر بالتفصيل عنهم في العديد من سور القرآن، والذي ذكرنا جانبا منه في باب موقف بني إسرائيل من الدين. يقول تعالى: وَآتينَا مًوسى الكِتابَ وَجَعلنَاهُ هُدى لِبنِي إسرائيل ألاَّ تتَّخِذُوا من دُوني وَكيلا. ذُرية مَنْ حَمَلنَا مَعَ نُوح إنَّهُ كَانَ عَبدا شَكُورا. وَقَضينَا الى بَنِي إسرائيل في الكِتاب لَتُفسِدُنَّ في الأرض مَرتيْنِ وَلتَعْلُن عُلوا كَبيرا. فَإذَا جَاء وعْدُ أولاهُمَا بَعثنَا عَليْكُمْ عِباداً لنَا أولي بَأس شَديد فَجَاسُوا خِلال الدَّيَار وكَان وعْدا مَّفْعُولا. ثُم رَددنَا لكُمُ الكرةَ عَليهِمُ وأمددناكُم بأمْوال وَبَنين وَجَعلنَاكم أكثرَ نَفِيرا. إنْ أحسنتُمْ أحْسنتُمْ لأنفسكم وإن أسَأتمْ فَلهَا فَإذَا جَاء وَعد الآخِرة لِيسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وليدْخُلوا المَسجِد كَمَا دَخَلوهُ أول مرةٍ وليُتَبَّرُوا مَا عَلوا تتبِيرا. عَسَى رَبكُمْ أن يَرحَمكُم وإن عُدتم عُدنا وَجَعَلنَا جَهَنمَ للكَافِرين حَصِيرا (بني إسرائيل: ٢ـ ٨).

وموسى عليه الصلاة والسلام ولد في بلد يحكمها فرعون، واسمها مصر. فإذا لم تكن مصر اسما لبلاد النيل أو جزء من تلك البلاد، في عصر الفراعنة وإذا كان الفراعنة لم يذكروا في كتاباتهم ذلك الفرعون الذي غرق ولا بني إسرائيل الذين هربوا مع موسى من البلاد، وهذه حقيقة ثابته، أفلا تكون مصر التي وردت في القرآن الكريم " مصرايم" كما وردت في كتب اليهود، مستعمرة لبلاد النيل، ويحكمها فرعون، أو حاكم من قبل حكام مصر الفراعنة، كما يؤكد ذلك العديد من علماء الآثار، ومنهم كمال الصليبي في كتبه التي سبق ذكرها، والتي يقول فيها بأن تلك المستعمرة تقع في جنوب غرب جزيرة العرب. ويكون يوسف قد وجد في بئر في البلاد التي سكنها إبراهيم والتي سبق وقلنا بأنها تقع الى الشرق من القنفذة، وقد باعه من وجده في المستعمرة الفرعونية "مصر" وهناك نشأ والتحق به والده وإخوانه، وتناسلوا، ومن أحفادهم ولد موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن الشواهد القرآنية أن يوسف كان في جنوب غرب جزيرة العرب وليس في بلاد النيل، قصة تفسير يوسف للحلم الذي رآه الملك، ومنه قوله تعالى: قَالَ تزْرَعُونَ سبع سِنينَ دأبا فَمَا حصَدتُم فَذَرُوهُ في سُنبلِهِ إلا قليلا ممَّا تأكُلونَ. ثُم يَأتي من بَعد ذلك عَامٌ فِيهِ يُغاثُ الناسُ وفيهِ يَعْصِرُونَ (يوسف:٤٧ـ ٤٩).

فأرض مصر لا تعتمد على المطر، ولكنها تعتمد على جريان نهر النيل في زراعتها، ولذلك فلا ينتظر الناس الغيث لكي يزرعون وليس لديهم ما يعرف بالزراعة البعلية المشهورة حتى في جنوب غرب جزيرة العرب والتي تعتمد على مياه المطر، فإن أغيث الناس بالمطر وزرعوا وعصروا زيوتهم، وإن احتبس المطر فلا زراعة ولا عصر.

ومن الشواهد أيضا أن الأرض التي عاش فيها يوسف كانت تعتمد على الرعي وليس على الزراعة، وبلاد النيل تعتمد على الزراعة وتربية الحيواتات تتم فيها اعتمادا على زراعة الأعلاف. ويوسف ألقي في بئر، أي مورد ماء يرده المسافرون، وأرض مصر تعتمد على النيل للتزود بالماء وليس هناك آبار، كموارد للمياه، يردها المسافرون، ولو كان يوسف وإخوته يعيشون في بلاد النيل لتم التخلص منه بطريقة تتواءم مع بيئة بلاد النيل وليس مع ما يتواءم وبيئة بدوية تناسب تهامة عسير أو شرق جبال عسير.

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: وَأوْحينا الى أم مُوسى أنْ أرْضِعِيهِ فَإذَا خِفتِ عَليهِ فَألقِيهِ في اليَم وَلا تَخَفي وَلا تَحزنِي إنَّا رَادُّوهُ إليكِ وَجَاعِلوهُ مِن المُرسلينَ (القصص: ٧).

وأليم يعني البحر، وأهل مصر الى اليوم يسمون النيل بحرا، لأنه متسع، وكذلك يسمي العراقيون نهر دجلة والفرات بالبحر. لأنه يمكن إطلاق أليم تجاوزا على وادي المياه المتسع، وهذا ينطبق على بعض أودية جنوب غرب جزيرة العرب والتي تنحدر باتجاه الشرق، ومنها وادي بيشة الذي يزيد اتساعه عن اتساع نهر النيل في بعض أجزائه، والذي كانت مصرابيم تقع على جانبه، كما يؤكد الدكتور كمال الصليبي في كتابيه: التوراة جاءت من جزيرة العرب وخفايا التوراة. ووادي بيشة كانت المياه تجري فيه طوال العام، بل لازالت بعض المجاري الصغيرة تجري فيه اليوم، والتي تسمى محليا (غيل، وعيول).

وعندما هرب موسى من فرعون لقتله رجلا من عدوه، لجأ الى مدين القريبة. ولو كان قد هرب من قرب الأهرامات الى اتجاه شبه جزيرة سيناء، فسيكون خياره، بعد اجتيازها، الذهاب الى فلسطين حيث وفرة المياه والزراعة والحياة المستقرة المشابهة للحياة التي اعتادها في بلاد النيل، ولن يتجه الى داخل فيافي جزيرة العرب الموحشة والمقفرة والمعدومة المياه، حيث مدين، الإسم الحديث الذي يطلق على منظقة غرب تبوك الحالية، والتي كانت مقفرة حتى على أيام موسى، ومرتعا للسلب والنهب الذي يمارسه البدو على من يعبر تلك المناطق، ولم تكن مدين التي ذكرت في القرآن على أنها بلد قوم شعيب، لأن القرآن الكريم يؤكد أن قوم شعيب كانوا مستقرين في قرية: قَالَ المَلا الذِينَ استكبروا من قَومِهِ لنُخرجَنكَ يا شُعيبُ والذين آمَنُوا مَعَك من قريتنا أو لتَعُودُن في مِلتِنَا قال أولو كنا كارهِين (الأعراف:٨٨).

بينما لا يوجد أي شواهد أثرية لحياة مستقرة في المنطقة التي تسمى الآن بمدين، والواقعة شمال غرب جزيرة العرب.

ويكون موسى قد خرج من مصرابيم، تلك البلدة التي بحكمها فرعون في وادي بيشة، خائفا، ولم يكن يحمل متاعا وزادا لسفر طويل: فَخَرجَ مِنها خَائفا يترَقبُ قالَ ربّ نَجْني من القَوم الظالِمِينَ (القصص:٢١).

وسلك دربا يوصل الى بئر في بلاد مدين القريبة: وَلما توجهَ تِبقَاء مَديَنَ قال عَسىَ رَبي أن يَهدِيني سَواء السبيل (القصص:٢٢).

وقد وصلها موسى دون إبطاء، ووجد أن الرعاة يسقون دوابهم، حيث سقى لفتاتين لم تستطيعا مزاحمة الرجال، ثم استظل بظل شجرة قريبة من البئر ليستريح ويفكر في مستقبله وأين يذهب: وَلمَّا وَرد ماء مَدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دُونهم امرأتين تذودان قال ما خطبُكُما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاه وأبُونا شيخٌ كبير. فسقى لهُما ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير(القصص:٢٣ـ ٢٤).

عندما عادت إليه إحدى الفتاتين تطلب منه أن يلحق بها الى بيتها لأن والدها وافق على استضافته، وعادة أن تستضيف المرأة رجلا عابرا، معروفة الى عهد قريب في جنوب غرب جزيرة العرب ولا زالت في بلاد اليمن: فَجاءتْهُ إحداهما تمشِي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءهُ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (القصص:٢٥).

وقد وافق موسى للعمل لدى الشيخ الطاعن في السن (١) لعدد من السنين مقابل أن يتزوج بإحدى بناته: قالتْ إحداهُما يا أبتِ استأجرهُ إن خير من استأجرت القويُّ الأمين. قال إني أريد أن أنكحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجُرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريدُ أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (القصص:٢٦ـ ٢٧).

وبعد انقضاء المدة غادر تلك الأرض ومعه زوجته، ولم تكن وجهته موطنه الأصلي الذي هرب منه، لأنه لا يستطيع الذهاب الى هناك خوفا من العقاب الذي ينتظره، فاتجه الى مكان آخر.

أفلا يكون موسى عندما غادر بئر مدين مع زوجه، قد ذهب لأداء الحج في مكة وزيارة بيت الله الحرام، ومن ثم خرج من هناك باتجاه موطن جده إبراهيم وخاصة مسجده، الذي اتخذه ليصلي فيه، والي يمكن أن يكون هو مصلى إبراهيم الذي في جبل إبراهيم الذي أشرنا إليه. ولا بد أن مسيرة من مكة كان عبر تهامة، وهو ما سيتضح في الأسطر المقبلة.

وفي إحدى الليالي قرر مواصلة المسير في الليل، بإلهام خفي من الله سبحانه وتعالى، عندما شاهد نارا فترك زوجته وذهب باتجاه النار: فلما قَضى مُوسى الأجَل وسَارَ بأهلهِ آنس من جَانِب الطور نارا قال لأهلهِ امكُثوا إني آنستُ نارا العلي آتيكُم منها بخبر أو جَذوة من النار لعلكُم تصطلون (القصص: ٢٩).

وكانت النار أسفل الطور، أو الجبل المشجر، كما يقول صاحب لسان العرب. وهو وصف لجبال جنوب غرب جزيرة العرب، خاصة في جهتها الغربية من ناحية تهامة، أكثر منه للجبال الجرداء في شمال غرب الجزيرة حيث مدين الحالية.

فلما أتاها نُودى من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا مُوسى إني أنا اللهُ رب العالمين (القصص:٣٠).

فمناداة الله جل وعلا لموسى حدثت بالقرب من شجرة على حافة أحد الأودية المنحدرة من الطور، وقد يكون ذلك الوادي تجري فيه المياه، مثل الكثير من أودية عسير، والتي

تجري فيها المياه لشهور عدة في السنة حتى في هذا العصر الأقل مطرا، مما كان عليه قبل أربعة آلاف سنة.

وهناك تلقى موسى آيات (معجزات) ربه: وأن ألق عَصاكَ فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مُدبرا ولم يُعقب يا مُوسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين. اسلك يدك في جيبك تخرجُ بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانِك برهانان من ربك الى فرعون وملئهِ إنهم كانوا قوما فاسقين (القصص: ٣١-٣٢).

ويكون موسى قادما من تهامة باتجاه جبال السروات (الطور) التي تقف بانحدار شديد، في طريقه لمصلى إبراهيم الواقع في الجبال التي أمامه، عندما شاهد النار. وتهامة قليلة السكان وأهلها رحل، ولذلك كانت رؤية النار شيء ملفت للإنتباه، كما أنه استطاع رؤيتها من بعيد، لأن الأرض ليست معقدة التضاريس. ولو كان موسى قد قدم من مكة الى مصلى إبراهيم عبر الطرق الجبلية، لكان الطريق يمر بمجمعات المزارعين، لأن المنطقة زراعية وأهلها مستقرون ولن يلفت نظره رؤية نيرانهم الواحدة تلو الأخرى.

ويكون الله سبحانة وتعالى قد أسرى بموسى في ليلة من الليالي عندما كان في طريقه من المسجد الحرام الى المسجد الذي اتخذه إبراهيم في حياته مصلى له في جبل إبراهيم الحالي، وهو مسجد قصي بالنسبة الى مكة، لأن الوصول إليه يحتاج الى عدة أيام. وفي تلك الليلة قرر موسى السير ليلا (يقال أسريت وسريت إذا سرت ليلا) (٢) عندما رأى النار بالقرب من سفح الجبل الكثير الشجر حيث كلمه الله سبحانه وتعالى وأراه من آياته.

وتكون سورة بني إسرائيل بدأت بالحديث عن موسى وما حدث له في ليلة من الليالي وهو في طريقه من مكة الى موطن جده إبراهيم: سُبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنهُ هو السميع البصيرُ (بني إسرائيل: ١).

ثم تكمل الآيات التالية الحديث عن موسى وبني إسرائيل: وآتينا مُوسى الكتاب وجعلناهُ هُدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا. ذرية من حملنا مع نوح إنهُ كان عبدا شكورا. وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن عُلوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهُما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دهلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (بني إسرائيل: ٢- ٨).

وختاما نشير الى أن الرواة اعتمدوا على الآية الأولى في سورة بني إسرائيل للحديث ليس فقط عن الإسراء ولكن أيضا عن المعراج، على الرغم من أن الآية لم يأت فيها ذكر للمعراج، الذي استرسل المفسرون في الحديث عنه أكثر مما تحدثوا عن الإسراء.

وهناك موضعان في القرآن يستدل بهما، بتردد، على المعراج، لأن معناهما الحقيقي لا يدل على ذلك، وهما: الآية الستون من سورة بني إسرائيل: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط

بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا.

ووجه الاستدلال يحدثنا به القرطبي في تفسيره للآية فيقول: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، سُئل عن قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: هي رؤيا عين رآها النبي(ص) ليلة أسرى به. أي أن الآية تشير الى ما رآه الرسول في السماوات.

والإستدلال الثاني هو في الواقع بثلاث آيات من سورة النجم، وهي قوله تعالى: ثُم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى الى عبدِهِ ما أوحى (النجم:٨ ـ ١٠).

ووجه الإستدلال يحدثنا به القرطبي أيضا فيقول: حدثنا يحيى بن الأموي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس ثم دنا فتدلى قال: دنا ربه فتدلى.

حدثنا الربيع، قال: ثنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله (ص) أنه عرج جبرائيل برسول الله الى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما شاء، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، وذكر الحديث. انتهى.

ولو سلمنا بهذا التجديف على الله تبارك وتعالى فسنتصور كيف أن الله جل جلاله قد تدلى بشكل بهلواني ليقترب من محمد ويتحدث معه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا). والآية الستين من سورة بني إسرائيل لا يمكن الاستدلال بها على تلك القصص الخيالية عن رحلة مزعومة لمحمد، لم يعلم بها في حياته ولم يحدث بها.

ويبقى الخيار بين أن نصدق أن الله ليس كمثله شيء وأنه أعظم من أن يراه بشر أو يحادثه أو يصل الى مكانه، وأن الوحي وصل الى محمد بالطريقة نفسها التي وصل بها الى كل الرسل قبله، وبواسطة أحد الملائكة الذي لديه القدرة على نسخ الوحي في ذاكرة الرسول على شكل نصوص بلغة الرسول، دون أن تكون هناك حاجة أن ننظر الى الرسول على أن لديه قدرات فوق بشرية على الإطلاق، لأن الله يؤكد أن الرسول ما هو إلا بشر عادي تماما، لا يستطيع الرقي للسماء:" أو يكُون لك بيتٌ من زُخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرُقيك حتى تُنزل علينا كتابا نقرؤهُ قُل سبحان ربي هل كُنت إلا بشرا رسولا" (بني إسرائيل: ٩٣).

وهذه الآية التي تنفي أن يكون الرسول محمد قد عرج به الى السماء نزلت بعد الآية الأولى في السورة والتي يزعم المفسرون أنها تفيد الإسراء والمعراج بمحمد، ولم يكلف أحد من المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين نفسه عناء التوقف والتفكير في أنه لو كان الرسول قد أسرى وعرج به للسماء فكيف تأتي هذه الآية لتنفي ذلك نفيا قاطعا لا مرية فيه.

أما الخيار الثاني فهو أن نتعامى عن كل ما سبق وتصدق ما نسجته مخيلة الرواة الذين نقل عنهم المفسرون والمحدثون وظن الناس أنه من عند الله " ومَا هُو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" (آل عمران:٧٨).

ثانيا: الإسراء في كتاب محمد حسين هيكل "حياة محمد"

لن نكتفي بما كتبه ابن قرناس في كتابه "سنة الأولين" ولكننا ننقل هنا أيضا ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل بخصوص هذا الأمر:

الإسراء سنة (٦٢١م):

في هذه الفترة كان الإسراء والمعراج. وكان محمد ليلة الإسراء في بيت ابنة عمه هند ابنة أبي طالب، وكنيتها أم هانيء. وقد كانت هند تقول:" إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا. فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانيء، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئتُ بيت المقدس فصليت فيه، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين فقلت له: يا نبي الله لا تحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك. قال: والله لأحدثنهموه.

الإسراء بالروح أم بالجسد:

يستند الذين يقولون بأن الإسراء والمعراج إنما كان بروح محمد الى حديث أم هانيء هذا، والى ما كانت تقوله عائشة: ما فُقد جسد رسول الله ولكن الله أسرى بروحه. وكان معاوية ابن أبي سفيان إذا سئل عن مسرى الرسول قال: كانت رؤيا من الله صادقة، وهم يستشهدون الى جانب ذلك كله بقوله تعالى:{ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} (٣).

وفي رآى آخرين أن الإسراء من مكة الى بيت المقدس كان بالجسد، مستدلين على ذلك بما ذكر محمد أنه شاهد في البادية أثناء مسراه مما سيأتي خبره، وأن المعراج الى السماء كان بالروح ويذهب غير هؤلاء وأولئك الى أن الإسراء والمعراج كان جميعا بالجسد. وقد كثرت مناقشات المتكلمين في هذا الخلاف حتى كتبت فيه ألوف الصحف. ولنا في حكمة الإسراء رأي نُبديه. يجب أن نروي قصة الإسراء والمعراج على نحو ما جاءت به كتب السيرة.

تصوير الإسراء في كتب السيرة:

سرد المستشرق دِرمنجم هذه القصة مستخلصة من مختلف كتب السيرة في عبارة طلية رائعة، هذه ترجمتها:" في منتصف ليلة بلغ السكون فيها غاية جلاله، وصمتت فيه طيور الليل وسكتت الضواري، وانقطع خرير الغدران وصفير الرياح، استيقظ محمد على صوت يصيح به: أيها النائم قم. وقام فإذا أمامه الملك جبريل وضاء الجبين أبيض الوجه كبياض الثلج مُرسلا شعره الأشقر، واقفا في ثيابه المزركشة بالدر والذهب، ومن حوله أجنحة من كل الألوان ترعش، وفي يده دابة عجيبة هي البراق، ولها أجنحة كأجنحة النسر انحنت أمام الرسول، فاعتلاها وانطلقت به انطلاق السهم فوق جبال مكة ورمال الصحراء متجهة صوب الشمال. وصحبه الملك في هذه الرحلة، ثم وقف به عند جبل سيناء حيث كلم الله موسى، ثم وقف به مرة أخرى في بيت لحم حيثُ ولد عيسى، وانطلق بعد ذلك في الهواء

في حين حاولت أصوات خفية أن تستوقف النبي الذي رأى في إخلاصه لرسالته أن ليس لغير الله أن يستوقف حيث شاء دابته. وبلغ بيت المقدس، فقيد محمد دابته وصلى على أطلال هيكل سليمان ومعه إبراهيم وموسى وعيسى، ثم أتى بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب وعليه صعد محمد سراعا الى السموات، وكانت السماء الأولى من فضة خالصة علقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب، وقد قام على كل منها ملك يحرسها حتى لا تعرج الشياطين الى علو عليها أو يستمع الجن منها الى أسرار السماء. في هذه السماء ألقى محمد التحية على آدم، وفيها كانت صور الخلق جميعا تسبح بحمد ربها. ولقى محمد في السموات الست الأخرى نوحا وهارون وموسى وإبراهيم وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى. ورأى فيها ملك الموت عزرائيل، بلغ من ضخامته أن كان ما بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم، ومن سلطانه أن كان تحت إمرته مائة ألف فرقة، وكان يسجل في كتاب ضخم أسماء من يُولدون ومن يموتون. ورأى ملك الدمع يبكي من خطايا الناس، وملك النقمة ذا الوجه النحاسي المنصرف في عنصر النار والجالس على عرش من لهب. وقد رأى كذلك ملكا ضخما نصفه من نار ونصفه من ثلج وحوله من الملائكة فرقة لا تفتر عن ذكر الله قائلة: اللهم قد جمعت الثلج والنار، وجمعت كل عبادك في طاعة سنتك. وكان في السماء السابعة مقر أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها، له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يتكلم كل لسان سبعين ألف لغة، من كل لغة سبعين ألف لهجة، وكلها تسبح بحمد الله وتقدس له.

" وبينما هو يتأمل هذا الخلق الغريب إذا به ارتفع الى قمة سدرة المنتهى، تقوم الى يمين العرش وتظل ملايين الملايين من الأرواح الملائكية. وبعد أن تخطى في أقل من لمح البصر بحارا شاسعة ومناطق ضياء يُعشى وظلمة قاتمة وملايين الحجب من ظلمات ونار وماء وهواء وفضاء. يفصل بين كل واحد منها وما بعده مسيرة خمسمائة عام، تخطى حُجُب الجمال والكمال والسر والجلال والوحدة، قامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سُجدا لا يتحركون ولا يؤذن لهم فينطقون. ثم أحس بنفسه يرتفع الى حيث المولى جل شأنه، فأخذه الدهش وإذا الأرض والسماء يجتمعتان لا يكاد يراهما، وكأنما ابتلعهما الفناء فلم ير منهما إلا حجم سمسمة في مزرعة واسعة. وكذلك يجب أن يكون الإنسان في حضرة ملك العالم.

" ثم كان في حضرة العرش وكان منه قاب قوسين أو أدنى، يشهد الله بعين بصيرته، ويرى أشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها وتفوق كل ما يحيط به فهم الإنسان. ومد العلي العظيم يدا على صدر محمد والأخرى على كتفه فأحس النبي كأنه أثلج الى فقاره، ثم بسكينة راضية وفناء في الله مستطاب.

" وبعد حديث لم تحترم كتب الأثر المدققة قدسيته أمر اله عبده أن يصلي كل مسلم خمسين صلاة في كل يوم. فلما عاد محمد يهبط السماء لقي موسى؛ فقال ابن عمران له:

" كيف ترجو أن يقوم أتباعك بخمسين صلاة في كل يوم؟! لقد بلوت الناس قبلك، وحاولت مع بني إسرائيل كل ما يدخل في الطوق محاولته؛ فصدقني وعد الى ربنا واطلب إليه أن ينقص الصلوات.

" وعاد محمد فنقص عدد الصلوات الى أربعين وجدها موسى فوق الطاقة، وجعل يردُ خليفته في النبوة الى الله مرات عدة حتى انتهت الصلوات الى خمس.

" وذهب جبريل بالنبي فزار الجنة التى أعِدت للمتقين بعد البعث. ثم عاد محمد على المعراج الى الأرض، ففك البُراق وامتطاه وعاد من بيت المقدس الى مكة على الدابة المجنحة".

رواية ابن هشام عن الإسراء:

هذه رواية المستشرق درمنجم عن قصة الإسراء والمعراج. وأنت تقع على ما قصه منثورا في كثير من كتب السيرة، وإن كنت تجد فيها جميعا خلافا بزيادة أو نقص في بعض نواحيها. من ذلك مثلا ما روى ابن هشام على لسان النبي عليه السلام بعد أن لقى آدم في السماء الأولى أنه قال:" ثم رأيتُ رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار كالأنهار (٤)، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة مال اليتامى ظلما، ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أرى مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة (٥) حين يعرضون على النار يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا عن مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحمٌ سمين طيب الى جانبه غث منتن، يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب. قلت من هؤلاء يا جبريل: قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن. ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم ... ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء، فسألتها لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ـ فقالت: لزيد بن حارثة. فبشر بها رسول الله (ص) زيد بن حارثة.

وأنت واجد في غير ابن هشام من كتب السيرة وفي كتب التفسير أمورا أخرى غير هذه. ومن حق المؤرخ أن يسائل عن مبلغ التدقيق والتمحيص في أمر ذلك كله، وما يمكن أن يُسند منه الى النبي بسند صحيح؛ وما يمكن أن يكون من خيال المتصوفة وغيرهم. وإذا لم يكن المجال هاهنا متسعا للحكم في ذلك أو لاستقصائه، وإذا لم يكن ها هنا مجال القول في المعراج أو الإسراء أكانا بالجسم، أم كان المعراج بالروح والإسراء بالجسد، أم كان المعراج والإسراء جميعا بالروح، فما لا شك فيه أن لكل رأي من هذه الآراء سندا عند المتكلمين، وأنه لا جناح على من يقول بواحد دون غيره من هذه الآراء. فمن شاء أن يرى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فله من السند ما قدمنا وما تكرر في القرآن وعلى لسان الرسول:{ إنما أنا بشر مثلكم يُوحى الى أنما إلهكم إله واحد} (٦)، وأن كتاب الله وحده معجزة محمد و { إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دُون ذلك لمن يشاء} (٧).

ولصاحب هذا الرأي أكثر من غيره أن يسأل عن حكمة الإسراء والمعراج ما هي؟ وهنا موضع الرأي الذي نريد أن نبديه ولا ندري أسبقنا إليه أم لم تُسبق.

الإسراء ووحدة الوجود:

ففي الإسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو. معنى أكبر من هذا الذي يصورون، والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمة الخصب حظ غير قليل. فهذا

الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبيا محدودا بحدود قوانا المُحسة والمدبرة، والعاقلة تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد، واجتمع الكون كله في روحه، فوعاه منذ أزله الى أيده، وصوره في تطور والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة.

وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية. فإذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا من عجز عن متابعته في سمو فكرته وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال؛ فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه. والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات. وبلوغُنا الحقيقة معرض دائما لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تخطيها. وإذا كان من القياس مع القارق أن نذكر لمناسبة ما نحن الآن بصدده، قصة أولئك المكفوفين الذين أرادوا أن يعرفوا الفيل ما هو، فقال أحدهم: إنه حبل طويل لأنه صادف ذنبه، وقال الآخر: إنه غليظ كالشجرة لأنه صادف رجله، وقال ثالث: إنه مدبب كالرمح لأنه صادف سنه، وقال رابع: إنه مستدير مُلتو كثير الحرحكة لأنه صادف خرطومه - فإن هذا المثل، مقرونا الى الصورة التي تتكون لدى المبصر من الفيل لأول ما يراه، يسمح لنا بالموازنة بين إدراك محمد (ص) - كنه وحدة الكون والوجود وتصويره في الإسراء والمعراج حيث يتصل بأول الزمن من قبل آدم الى آخره يوم البعث، وحيث تنعدم نهائية المكان، إذ يُطل بعين البصيرة من لدن سدرة المنتهى الى هذا الكون يصبح أمامه سديما، وبين ما يستطيع الكثيرون إدراكه من حكمة هذا الإسراء والمعراج؛ إذ يقفون عند تفاصيل ليست من وحدة الكون وحياته إلا كذرات الجسم، بل كالذرات العالقة به من غير أن يتأثر بها نظامه. أين الواحدة من هذه الذرات من حياة هذا الجسم ومن نبض قلبه وإشراق روحه وضياء ذهنه وامتلائه بالحياة التي لا تعرف حدا، لأنها تتصل من الوجود بكل حياة الوجود؟

والإسراء بالروح هو في معناه كالإسراء والمعراج بالروح جميعا سموا وجمالا وجلالا. فهو تصوير قوي للوحدة الروحية من أزل الوجود الى أبده فهذا التعريج على جبل سيناء حيث كلم الله موسى تكليما، وعلى بيت لحم حيث ولد عيسى، وهذا الإجتماع الروحي ضمت الصلاة فيه محمدا وعيسى وموسى وإبراهيم، مظهر قوي لوحدة الحياة الدينية على أنها من قوام وحد الكون في موره الدائم الى الكمال.

الإسراء والعلم الحديث:

والعلم في عصرنا الحاضر يُقر هذا الإسراء بالروح ويقر المعراج بالروح، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة؛ كما أن تقابل قوى الكون في صورة معينة قد طوع " لماركوني"؛ إذ سلط تيارا كهربيا خاصا من سفينته التي كانت راسية بالبدقية، أن يضيء بقوة الأثير مدينة سدني في أستراليا. وفي عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تنطوي عليه، كما يُقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال. وما تزال القوى الكمينة في الكون تتكشف لعلمنا كل يوم عن جديد. فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد (ص)، فأسرى به الله ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك

حوله ليُريه من آياته، كا ذلك مما يُقر العلم، وكانت حكمة ذلك هذه المعاني القوية السامية في جمالها وجلالها، والتي تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون في نفس محمد (ص) تصويرا صريحا، يستطيع الإنسان أن يصل الى إدراكه إذا هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة في الحياة، وحاول الوصول الى كنه الحقيقة ليعرف مكانه ومكان العالم كله منها.

ريبة قريش وارتداد بعض من أسلم:

لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعاني؛ لذلك ما لبثوا حين حدثهم محمد (ص) يأمر إسرائه أن وقفوا عند الصور المادية من أمر هذا الإسراء وإمكانه أو عدم إمكانه، ثم ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم بعض الريب فيما يقوله. وقال كثيرون: هذا والله الأمر البين والله إن العير لتطرد (٨) شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة، أيذهب محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة! وارتد كثير ممن أسمل. وذهب من أخذتهم الريبة في الأمر الى أبي بكر وحدثوه حديث محمد؛ فقال أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. قالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث الناس. قال أبو بكر: والله لئن كان قد قاله لقد صدق، إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه. وجاء أبو بكر الى النبي واستمع إليه يصف بيت المقدس، وكان أبو بكر قد جاءه، فلما أتم النبي صفة المسجد قال له أبو بكر: صدقت يا رسول الله. ومن يومئذ دعا محمد أبا بكر بالصديق.

القول بالإسراء بالجسد:

ويدلل الذين يقولون إن الإسراء بالجسد على رأيهم بأن قريشا لما سمعت بأمر إسرائه سألته وسأله الذين آمنوا به عن آية ذلك، فإنهم لم يسمعوا بشيء من مثله؛ فوصف لهم عيرا مر بها في الطريق، فضلت دابة من العير فدلهم عليها، وأنه شرب من عير أخرى وغطى الإناء بعد أن شرب منه، فسألت قريش في ذلك فصدقت العيران ماروى محمد عنهما.
وأحسبك لو سألت الذين يقولون بالإسراء بالروح في هذا لما رأوا فيه عجبا بعد الذي عرف بالعلم في وقتنا الحاضر من إمكان التنويم المغناطيسي للتحدث عن أشياء واقعة في جهات نائية. ما بالك بروح يجمع الحياة الروحية في الكون كله ويستطيع بما حباه الله من قوة أن يتصل بسر الحياة من أزل الكون الى أبده؟

<u>ثالثا: المعراج من كتاب معراج النبي لإبن عباس:</u>

يصف ابن عباس ما يسمى بحادثة المعراج بالتفصيل في الكتاب المعنون " معراج النبي" ونحن ننقل هنا جزءا من هذا الكتاب ونترك للقارئ الفطن أن يقرر لنفسه إذا كان هذا الكلام يستند الى أي منطق ويستقيم مع أن فكر عقلاني.

<u>بعض من وصف محمد لما رآه في رحلة المعراج وانتقاله من سماء الى آخرى.</u>
ورأيتً رجُلا كهلا طويلا كثير الشعر وعليه مدرعة من صوف أبيض يتوكأ على عصا يكاد شعره يغطي جسده له لحية بيضاء على صدره فقلتُ من هذا يا أخي يا جبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران فضله الله بكلامه وجعله كليما أذن منه وسلم عليه قد دنوت منه وسلمت عليه فلما دنوت منه نظر اليَّ وجعل يقول يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على

الله وهذا أكرم مني على ربه هذا النبي القرشي الهاشمي العربي الأبطحي هذا الحبيب هذا الكريم هذا العظيم هذا محمد ألامين بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قال مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الناصح ثم دعا لي ولأمتي بالخير والبركة واصطفت الملائكة صفوفا وصليت بهم ركعتين على ملة إبراهيم الخليل ثم ارتقينا الى السماء السابعة في أسرع من طرفة عين وبينها وبين السماء السادسة خمسمائة عام وسُمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب فدخلناها فإذا هي سماءٌ من درة بيضاء يُقال لها العجيبة وهي العالية لم اسمع فيها صرير الأقلام ورأيت من ملائكة ربي عز وجل ملائكة يقال لها الروحانيون قال النبي (ص) فالتفت عن يميني فإذا أنا بشيخ حسن الوجه حسن الثياب جالس على كرسي من نور مسند ظهره الى البيت المعمور وهو تلقاء الكعبة شرفها الله تعالى قلتُ يا أخي يا جبريل من هذا قال هذا أبوك آدم صلوات الله عليه أدن منه وسلم عليه فدنوت وسلمت عليه فرد عليّ السلام وهنأني بالكرامة من ربي عز وجل وقال مرحبا بالولد الصالح الناصح أبشر يا محمد فالخير كله فيك وفي أمتك الى يوم القيامة وإنما يرفعك ربك ليجتبيك ويكرمك قال ورأيت البيت المعمور وفيه قناديل من جواهر وأنوار مصطفة حوله بعضها من ياقوت أصفر وبعضها من زبرجد أخضر وبعضها من لؤلؤ رطب وإذا الملائكة يطوفون حوله فهممت وطفت معهم سبعا وقلت للملائكة كم لكم تزورون هذا البيت فقالوا من قبل أن يخلق الله أباك آدم بألفي عام يزورهُ كل يوم ألف ألف وسبعون ألف ألف من الملائكة لا ترجع النوبة الى أولهم الى يوم القيامة. قال النبي ثم تقدمت أمامي فلم أر أخي جبريل معي فقلت يا أخي جبريل في مثل هذا المكان يفارق الخليل خليلهُ والأخ أخاه فلم تركتني وتخلفت عني فنادى جبريل يعز عليّ أن أتخلف عنك والذي بعثك بالحق نبيا ما منا إلا وله مقام معلوم ولو أن أحدا منا تجاوز عن مقامه لاحترق قال فلما قال لي هذا المقال وضعتُ يدي على وجهى وأخذتني الرعدة والخوف فضمني جبريل الى صدره ولفني بجناحيه وقال لا تخف ولا تحزن إنما عرج بك ربك ليجتبيك ويكرمك ويصطفيك ويعطيك فلما قال لي هذا المقال خفف عني كل ما أجدهُ وإذا النداءُ من قبل الله زجوا بحبيبي بالنور فحينئذ أتاني الملائكة برفرف أخضر كمثل المقعد يحمله أربعة من الملائكة فوضعوه بين يدي وقالوا لي إرق يا محمد فأستويت على الرفرف فسار بي كالسهم الذي يخرجُ من القوس حتى انتهى الى بحر من نور أبيض وإذا بملك ذلك البحر لو أن الطير المسرع يطير بين منكبيه لما بلغ في خمسمائة عام ثم زُج بي في بحر من نور أخضر يتلألأ وإذا أنا بملك على ذلك البحر لو أذن الله له أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع في دفعة واحدة لهان عليه ذلك لعظم خلقته ثم خرجتُ من ذلك البحر الى بحر من نور أصفر وإذا بملك على ذلك البحر لو وضع جميع ما خلق الله تعالى في السموات السبع والأرضين السبع في يده لكان كخردلة في أرض فلاةٍ ثم خرجتُ من ذلك البحر الى بحر أسود فلما رأيتهُ هويتُ ساجدا لله تعالى وناديتُ برفيع صوتي: يا غياث المستغيثين ويا إله العالمين ويا مؤنس المستوحشين ويا رب العرش العظيم يا إلهي وسيدي ومولاي أنس وحدتي في هذه الساعة بعبد من عبيدك يكلمني ويؤنسني، وإذا النداءُ من ساحل البحر يا محمد الى أقبل فأقبلت إليه وأذا أنا بملك عظيم الخلقة على ذلك البحر يكيل الماء بمكيال ويزنهُ بميزان فناديت السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا عبد الله فقال وعليك السلام يا حبيب الله فقلت سألتك بالله أخبرني لم سميت ميكائيل ولم سُمي جبرائل ولم سمي إسرافيل ولم سمي عزرائيل قال يا حبيب الله فما الذي

رأيت من العجائب حتى سألتني عن هؤلاء الملائكة في هذا المكان قلت لوجه ربي الحمد والشكر وأنا يا أخي يا ميكائيل أحب إذا رجعت الى الأرض أن لا يسألني أحد عن أخبار السموات إلا أخبرته عن قدرة الله تعالى قال صدقت يا محمد، إعلم يا حبيب الله لم سميت مكائيل لأني موكل بالقطر وبالنبات أكيل الماء بمكيال وأزنهُ بميزان وأرسلهُ الى السحاب الى حيث شاء الله تعالى فعند ذلك قلت له وما الرعد وما البرق قال يا حبيب الله البرق إذا حملت السحاب الماء أرسل الله إليه ملكا يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضربه بسوط فيخرجُ منه النور وهو البرق وإنما سمي جبريل لأنه اعطي الجبروت وهو صاحب الخسف والمسخ والقذف والزلزال والصواعق وبه أهلك الله الأمم الخالية وإنما سمي إسرافيل لأنه ليس في الملائكة أشد منه ولا أكثر منه أجنحة وريشا وهو صاحب الصور وإنما سمي عزرائل لأنه موكل بقبض الأرواح وكلنا نخافه لأنه موكل بقبض كل ذي روح قال فسلمت عليه ومضيت عنه وهو يصلي ويسلم عليّ ويدعو لي ولأمتي بالخير والبركة ولم أزل أخرق صفوفا من الملائكة حتى انتهيت الى أخي إسرافيل عليه السلام وإذا هو قد نشر أجنحتهُ وقد سد بهما الخافقين له ألف ألف جناح وألف ألف رأس في كل رأس ألف ألف وجه وفي كل وجه ألف ألف. فم في كل فم ألف ألف لسان يسبح الله تعالى بألف ألف لغة لا يشبه بعضها بعضا قدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله والصور في فيه له أثقاب بعدد الخلائق ورأيت الصور في فم إسرافيل ملتقمه وقد وضع قدمه اليمنى بين يديه واليسرى الى ورائه وهو منحن ينظر متى يؤمر بالنفخة واللوح المحفوظ معلق بين عينيه وعرض اللوح كما بين المشرق والمغرب ونظرت الى الصور نظرة ثانية فرأيت لو وضعت السموات والأرض وما فيهما فيه لكانوا كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي فناديتُ السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أخي يا إسرافيل فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا حبيب الله فقلت يا أخي يا إسرافيل مالي أراك هاهنا قال هذا مقامي منذ خلقني الله تعالى الى قيام الساعة اسمع كلام الله تعالى قلت يا أخي كيف تسمعُ كلام الله تعالى قال أسمعه أشد من الريح القاصف والبرق الخاطف قلت وما يقول سبحانه وتعالى قال يقول للشيء كن فيكون فما يلحق الكاف النون حتى يكون ما أراده تعالى فقلت يا أخي يا إسرافيل في أي مكان أنا قال يا حبيب الله إرفع رأسك فرفعنت رأسي وإذا أنا بالعرش وجميع ما رأيتهُ في السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي فنظرت فإذا أنا بملك على صورة الديك عنقهُ تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض عرفه أفرق أصفر وأخضر وهو ساجد يقول في سجوده سبحان الله العظيم فإذا سبح ذلك الديك سبحت ديوك الأرض جميعا وأجابوه بما يقول قال ولما تسمعه ديوك الأرض تميل أعناقها وتصغي بآذانها لاستماع ذلك التسبيح من ذلك الديك وتخفق بأجنحتها مجاوبة بالتسبيح والتقديس لله الواحد القهار وإذا سكت سكتت فبينما أنا كذلك إذ أنا بملائكة قياما على أقدامهم فقلتُ يا أخي يا إسرافيل من هؤلاء قال هؤلاء الروحانيون والكروبيون وهم حملة العرش: أدن منهم وسلم عليهم فدنوت منهم وسلمت عليهم فردوا علي السلام وهنئوني بالكرامة من ربي عز وجل فلبينما أنا أخاطب الملائكة وإذا النداء من فوق رأسي: السلام عليك يا محمدُ الصلاة والسلام عليك يا أحمد قال فرفعت رأسي وإذا أنا بملك عظيم الخلقة وهو أشد بياضا من الثلج يقدمهُ سبعون ألف ملك على صورته وشكله فعانقني وقبلني وقال يا حبيب الله ويا أكرم الخلق على الله فسرت مع هؤلاء الملائكة وهم عن يميني وشمالي وبين يدي ومن خلفي وهم بعظمونني ويكرمونني ولم يزالوا يسيرون حتى اخترقنا سبعين

ألف حجاب من در أبيض وسبعين ألف حجاب من زمرد أخضر وسبعين ألف حجاب من الإستبرق وسبعين ألف حجاب من السندس وسبعين ألف حجاب من النور وسبعين ألف حجاب من الظلمة وسبعين ألف حجاب من المسك وسبعين ألف حجاب من العنبر وسبعين ألف حجاب من الملكوت وسبعين ألف حجاب من الجبروت بين كل حجاب وحجاب خمسمائة عام قال فانتهوا بي الى حجاب الدخان ومنه الى حجاب النور ومنه الى حجاب العز ومن الى حجاب الكمال ومنه الى حجاب القهر ومنه الى حجاب الكمال ومنه الى حجاب القهر ومنه الى حجاب العظمة ومنه الى حجاب الوحدانية ومنه الى حجاب الصمدانية ومنه الى حجاب البقاء ومنه الى حجاب العلى ومنه الى حجاب الكبرياء ومنه الى حجاب الحضرة الإلهية قال النبي (ص) فلما وصلت الى حجاب الفردانية نظرت الى الوحدانية فإذا بسبعين ألف صف من الملائكة قياما على أرجلهم وإذا النداء من قبل الله تعالى: إرفعوا الحُجب التي بيني وبين حبيبي محمد فرفعت حُجب لا يعلمها إلا الله تعالى فرأيت مائة ألف صف من الملائكة قياما لا يركعون ومائة ألف صف من الملائكة ركعا لا يسجدون ومائة ألف صف سُجُودا لا يجلسون ولا يرفعون رؤوسهم الى يوم القيامة قال النبي فبينما أنا متفكر أخذتني الهيبة مما رأيت من الجلال والجمال والكمال والبهاء والعظمة وهيبة الله تعالى نوديث يا أحمد أمامك أدنُ مني قال فخطوت خطوة مسيرة خمسمائة عام فقيل لي يا أحمد لا تخف ولا تحزن فسكن قلبي مما كنت أجده فلم يزل ذلك الرفرف يعلو بي حتى قربني من حضرة سيدي ومولاي فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الأوهام ولا تبلغه الخواطر سبحانه وتعالى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت قد دنوت من ربي حتى صرت منه كقاب قوسين أو أدنى قيل هما قوسا الوتر اللذين يربط فيهما الوتر وقيل المُرادُ بهما الجناحان المقرونان الى كالعينين ولا شك أنه (ص) هو الحبيب الأعظم والرسول الأكرم والحبيب قريب من الحبيب البتة قال النبي <u>فوضع سبحانه وتعالى يده بين كتفي ولم تكن يدا محسوسه كيد المخلوقين بل يد قدرة وإرادة فوجدت بردها الى كبدي فذهب عني كل ما رأيته من العجائب وأورثني علم الأولين والآخرين</u> وملئت فرحا وسرورا فأخذني عند ذلك الثبات والسكوت فظننت أن من في السموات والأرض قد ماتوا إلا أنا لا أسمع هناك حسا ولا حسيسا ولا حركة ثم رجع ذهني الي وعقلي علي وتفكرت فيما أنا فيه من الشرف العظيم فنوديت يا أحمد أدنُ مني فقلت إلهي وسيدي ومولاي أنت السلام ومنك السلام فناداني ثانيا: أدن مني فدنوت منه فقال وعليك السلام فسمعت نغمة كنغمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت إلهي وسيدي أمعنا أبو بكر فقال يا محمد أنت في مكان لا يصله أبو بكر ولا غيره ولكن علمت أنه ليس في الناس أحب إليك من أبي بكر فأسمعتك مثل صوته كي لا تخاف ويطمئن لذلك قلبك قال فألهمني ربي عز وجل فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات قال الله تعالي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى وأنا أشهد أن محمدا عبدي ورسولي فمن أحبك فقد إحببته ومن كذبك فقد باء بغضبي وقال سبحانه وتعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكُتُبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالو سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقلت: ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي لا تعاقبنا على النسيان الذي هو السهو وكانوا بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا بذنب عجلت لهم العقوبة بنقص شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب الذي نسوهُ أو أخطأوا به فرفع ذلك عن هذه الأمة

ببركة سيدنا محمد (ص) قال المؤلف رحمه الله تعالى إذا كان هذه النقصان بحسب النسيان فكيف بمن يفعل المنكر بعمده وقصده وفجوره فشومه يعم كل الأنام بقطع الغيث ونقص الثمار والآفات التي تقع من فعلها نسأل الله تعالى العفو واللطف بنا قال النبي ربنا لا تؤاخذنا مثلهم أي الأمم الذين تقدموه قبل أمتي قال الله تعالى يا حبيبي لا نؤاخذكم مثلهم فقلت: ربنا ولا تحمل علينا إصرار يعني عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع حمله فتعذ بنا بنقصه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فجعلت منهم القردة والخنازير ومعنى إصرا يعني لا تشدد علينا فتغلظ الأمر كما شددت على الذين من قبلنا وكان بنو إسرائيل كل من أصاب منهم ذنبا أصبح ذنبه مكتوبا على عتبة داره وقيل يكتب على جبهته. فقلت: ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به قال الله تعالى ورفعت عنك كل مشكل فقلت: واعف عنا قال الله تعالى عفونا وتجاوزنا فقلت واغفر لنا وارحمنا قال الله تعالى غفرنا وسترنا فقلت: أنت مولانا قال صدقت يا محمد أنا مولاكم قلت فانصرنا على القوم الكافرين قال الله تعالى نصرتكم على القوم الكافرين الى يوم القيامة فقال لي سبحانه وتعالى هل تراني بعينك قلت سبحانك لا تدركك الأبصار ولا تحويك الأقطار ولا يغيرك الليل والنهار وأنت الواحد القهار ثم قلت إلهي وسيدي ومولاي عشى بصري نورك وبهاؤك وجلالك لكني أراك بقلبي فقال الله تعالى صفني يا محمد فقلت سبحانك لا يصفك الواصفون ولا يحدك العارفون ولا تحويك الظنون وأنت الحي القيوم قال الله تعالى يا أحمد عظم شأني وعز سلطاني وارتفع مكاني لا إله غيري أنا ملك الملوك وقاضي الحاجات من دعاني أجبته ومن قصدني أعطيته ومن توكل عليّ كفيته ومن قام على بابنا قبلناه ومن الآفات والعاهات نجيناه يا محمد انظر الى الموضع الذي كلمتك فيه فما بيني وبينك رسول ولا ترجمان قال رسول الله (ص) فرفعت رأسي وقلت يا رب أين أنا فقال أنت على بساط الأنس فرجعت وهممت أن أخلع نعلي، فناداني ربي سبحانه وتعالى دُس على بساطنا فقد اصطفيناك وأنت السيد المفضل فالتفت عن يميني وإذا بسيف النقمة يقطر دما وهو معلق بساق العرش فقلت إلهي وسيدي ومولاي ارفع السيف عن أمتي فقال يا محمد سبق حكمي وقضائي لا يفنى أكثر أمتك إلا السيف وفي حديث آخر لا يفنى أكثر أمتك إلا بالطعن والطاعون فقلت إلهي وسيدي ومولاي إني أسألك شيئا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لعد آليتُ على نفسي من قبل أن أخلق آدم بألفي عام أن لا تسألني شيئا إلا اعطينك فقلت إلهي وسيدي ومولاي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك واتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت إدريس مكانا عليا وأعطيت داود زبورا وغفرت له ذنبا عظيما وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الإنس والجن والطير والوحش والريح وخلقت عيسى من كلمتك فيم فضلتني كما فضلت هؤلاء قال الله تعالى يا أحمد إن كنت خلقت آدم بيدي فقد خلقته من طين وقد خلقتك من نور وجهي وإن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا والحبيب أفضل من الخليل وإن كنت كلمت موسى تكليما فقد كلمته من وراء حجاب على طور سيناء وقد كلمتك على بساط القرب بغير حجاب ما ناله موسى ولا غيره وإن كنت رفعت إدريس مكانا عاليا، رفعته الى السماء الرابع فقد رفعتك الى مكان لم يصله أحد غيرك وإن كنت أعطيت سليمان ملكا عظيما فقد جعلت لك الأرض مسجدا والتراب طهورا وإن كنت أعطيت داود زبورا فقد أعطيتك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وأعطيتك سورة الفاتحة وسورة البقرة وسورة ال عمران ما قرأهما أحد من أمتك إلا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وإن كنت خلقت عيسى بكلمتي فقد شققت لك اسما من

أسمائي وجعلت اسمك مع اسمي لا يقول عبد لا إله إلا الله إلا ويقول محمد رسول الله ومن لا يقر برسالتك فلا أقبل منه عمله وهو في الآخرة من الخاسرين قال الله تعالى وأعطيتك الكوثر ونهرا حصباؤه الدر والجوهر وماؤه أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وترابه من المسك الأذفر نباته الزعفران وعرضه سبعون ألف ميل وأعطيتك الحوض المورود والشفاعة الكبرى والدرجة الرفيعة وصيام شهر رمضان وفيه أنزل القرآن عليك وأحللت لك الغنائم ولم أحلها لأحد من قبلك.

بدعة نسج العنكبوت وبيض الحمامتين

تلك معجزة أخرى ينسبها البعض لنبى الاسلام .

مع أن ابن إسحق, كاتب أول سيرة لنبى الاسلام لم يذكر من أمرها شيئا إلا أن برهان الدين الحلبي (بعد أكثر من ألف سنة من موت محمد) تناولها في سيرته فقال: ولما دخل رسول الله وأبو بكر الغار أمر الله شجرة (قيل هي من السمر وقيل من العشر)، فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها، وقد روى بعضهم: كانت أمام الغار بعيدة عنه، وأن رسول الله دعاها فأقبلت حتى وقفت على باب الغار وأنها كانت مثل قامة الإنسان (١).

أقول يفهم من قوله:" فنبتت في وجه الغاز فسترته" أنها صارت له كالباب، وأن فروعها كانت متكاثفة متشابكة بحيث صار الغار لا يرلا نت خلالها، وإلا فكيف سترته، وسيأتي ما يناقض هذا في حديث قريش لما جاؤوا الى جبل ثور للطلب. وإن صح هذا الخبر، وهو بعيدعن الصحة، قلنا: يجوز أن تكون الشجرة نابتة من قبل لا بعد دخول الغار، ولكن الرواة غيروا وبالغوا، كما جاء في الرواية الثانية أنها كانت نابتة من قبل، ولكنها بعيدة عن الغار، وأن رسول الله دعاها فأقبلت حتى وقفت على باب الغار، فصاحب الرواية الأولى بالغ في إنباتها، فقال: نبتت بعد الدخول في الغار، وصاحب الرواية الثانية بالغ في قربها من الغار، فقال: دعاها رسول الله فأقبلت، كما بالغوا في مدة الإختفاء في الغار فجعلوها بضعة عشر يوما، فقد جاء في بعض الروايات في حديث مرسل: قال: مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا ثمر البربر (هو ثمر الأراك).

قال ابن عبد البر وهذا أي القول بأنهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند أهل العلم بالحديث (٢).

قال الحلبي: وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها نسجا متراكما بعضه على بعض كنسيج أربع سنين (٣).

أقول: أما نسج العنكبوت ما بين فروع الشجرة فممكن، لأنها تستطيع أن تنسج في ساعة نسجا كثيرا، وأما أنه متراكم كنسج أربع سنين فمبالغى. ثم إن نسج العنكبوت على غار اختفى فيه رجل لا يعد من خوارق الطبيعة، فقد نسجت العنكبوت على عبد الله بن أنيس لما أرسله محمد ليقتل سفيان بن خالد، فقتله غيلة، وقطع رأسه، وأخذها ودخل في غار في الجبل وكن فيه حتى انقطع عنه الطلب، وقد جاءت العنكبوت فنسجت على الغار الذي هو فيه (٤). قال: وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار ويروى أنهما باضتا وفرختا (٥).

أقول: أما وقوف الحمامتين بفم الغار فممكن، وليس بأمر غريب، ولا من خوارق الطبيعة، وأما أنهما باضتا وفرختا، فمبالغة، لأن مدة ثلاث ليال لا تحتمل ذلك، والى قصة الحمامة والعنكبوت أشار صاحب الهمزية بقوله:

وحمتــه حمامــة ورقـــــاء أخرجوه منها وآواه غـــار

فذكر الحمامة والعنكبوت، ولم يذكر الشجرة، فعلى هذا يكون نسج العنكبوت على فم الغار لا فروع الشجرة كما قالوا. واقتصرعلى ذكر حمامة واحدة لا حمامتين، ولذا لم يذكر أنها باضت وفرخت، والذي نراه هو أن هذه الأخبار من تلفيق الرواة، ولم تذكر عن رواية ابن إسحق في السيرة الهشامية.

ومن المناسب بعد هذا أن نذكر لك ما ذكروه من أمر قريش وخروجهم للطلب لما فقدوا محمد من مكة.

قال صاحب السيرة الحلبية: إن المشركين لما فقدوا رسول الله شق عليهم ذلك، وخافوا ذلك، فطلبوه أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة (أي الذين يقصون الأثر) في كل وجه يقتفون أثره، فوجدوا الذي ذهب الى جبل ثور أثره. قال: وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم، فلما كان فتيان قريش على أربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر في الغار، فلم ير إلا حمامتين وحشيتين مع العنكبوت، فقال: ليس فيه أحد، فسمع النبي ما قاله فعرف أن الله عز وجل قد دارا عنه. وفي رواية: لما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: وما أربكم (أي حاجتكم) الى الغار، إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد. قال: ثم جاء قبالة فم الغار فبال، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنه يرانا، فقال رسول الله: يا أبا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا. وفي بعض الروايات: لو رآنا ما تكشف عن فرجه. وقال أبو جهل: أما والله إني لأحسبنه قريبا يرانا، ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا (٦).

أما ابن إسحاق فلم يذكر من ذلك شيئا سوى ما حدث به عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله وأبو بكر، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشا خبيثا، فلطم خدي لطمة فطرح منها قرطي، قالت ثم انصرفوا (٧).

ملاحظة:

يفهم من قول صاحب السيرة الحلبية:" فلما كان فتيان قرش على أربعين ذراعا من الغار، تعجل بعضهم ينظر في الغار" (٨): أن فتيان قريش قد رأوا الغار من مسافة أربعين ذراعا، وهذا يناقض ما قاله في شأن الشجرة أنها نبتت في وجه الغار فسترته، فإذا كان وجه الغار مستورا بفروع الشجرة المملوءة بنسيج العنكبوت المتراكم بعضه فوق بعض ـ كما قال ـ فكيف رأوه من مسافة أربعين ذراعا.

وأيضا يفهم من قول أمية بن خلف:" إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد" (٩): أن أمية استدل بوجود نسج العنكبوت على أن الغار لم يدخله أحد، إذ لو كان دخله لتمزق النسج، ولذلك قال لهم:" وما أربأكم الى الغار" (١٠). وهذا يناقض الأحاديث التي ذكرناها في الحياة التي قضاها محمد وأبو بكر في مدة الإختفاء في الغار، فقد قلنا إن أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما بطعامهما وشرابهما، ولكي توصل إليهما طعامهما، إما أن تدخل عليهما، وإما أن يخرجا كلاهما أو أحدهما إليها، فمع هذا كيف بقي نسج العنكبوت ولم يتمزق؟

وأيضا: إن عبد الله بن أبي بكر كان يأتيهما بأخبار قريش إذا أمسى، فيبيت عندهما: ثم يغدو الى مكة بغلس، ولا شك أنه كان يبيت معهما في الغار فيدخل ويخرج. وأيضا: عامر بن فهيرة كان إذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا ـ كما مر في رواة ابن إسحاق ـ فكيف كانا يحتلبان ويذبحان إذا لم يخرجا من الغار، وإذا قلنا: إن عامرا هو الذي كان يحتلب ويذبح لهما، فكيف كان يوصل ما يحتلبه إليهما، وهل يكون ذلك إلا بدخوله عليهما أو بخروجه إليهما؟ فالدخول الى الغار والخروج منه، يقع بالنظر الى هذا مرارا في كل يوم، فكيف يبقى نسج العنكبوت سالما غير ممزق بحيث يراه أمية بن خلف فيعرف منه أن الغار لم يدخله أحد قبل ميلاد محمد. إن هذا إلا اختلاق.

والذي نراه هو أن طلب قريش لمحمد ـ إن كان واقعا ـ فإنه لم يقع في جبل ثور بأسفل مكة، وإنما وقع بأعلى مكة. وذلك لأن قريشا تعلم أن محمدا إذا فر، فإنما يريد بفراره المدينة الكائنة في شمالي مكة، والطريق إليها يكون من أعلى مكة لا من أسفها، وجبل ثور واقع خلف مكة في طريق اليمن، أي في جهتها الجنوبية، فمن البعيد أن تطلب قريش محمدا في تلك الجهة، وما اختار محمد جبل ثور إلا لهذه الحكمة.

الهوامش

---

(١) السيرة الحلبية ٣٦/٢.

(٢) السيرة الحلبية ٤٠/٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣٦/٢.

(٤) السيرة الحلبية ٣٦/٢.

(٥) السيرة الحلبية ٣٧/٢.

(٦) السيرة الحلبية ٣٧/٢.

(٧) سيرة ابن هشام ٤٨٧/٢.

(٨) السيرة الحلبية ٣٧/٢.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) سيرة ابن هشام ٤٨٦/٢.

نبى ينتحل له أتباعه المعجزات

مع أن القرآن الذي أتى به محمد ينفي عنه المعجزات في آيات كثيرة صريحة إلا أن هذا لم يمنع لهو الرواة في نسب كل ما طاب لخيالهم من معجزات له. ونحن نورد هنا بعض من هذه المعجزات الوهمية كما جاءت في كتاب " معجزات النبي" لخليل إبراهيم على و" معجزات الرسول" للشيخ محمد متولي الشعراوي.

١ ـ وقوع الأصنام في الكعبة:

كان حول البيت الحرام ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة، فلما دخل رسول الله (ص) المسجد عام الفتح (بعد أن فتح مكة) جعل يشير بقضيب يشبه القوس في يده إليها، ولا يمسها ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل، أن الباطل كان زهوقا).

فما أشار بالقضيب الى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه. حتى ما بقى منها صنم في المسجد الحرام.

٢ ـ كلام الحجر والشجر لرسول الله:

كان رسول الله (ص) اذا خرج لحاجته وأفضى. الى شعاب مكة وبطون أوديتها لا يمر (ص) بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيتلفت رسول الله (ص) حوله. وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة.

ومكث رسول الله (ص) كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث.

روى الترمذي عن الإمام على كرم الله وجهه قال: كنت أمشي مع النبي (ص) بمكة، فخرجنا بعض نواحيها. فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

وعن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله (ص) لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

٣ ـ تسبيح الطعام وتسبيح الحصا:

عن إبن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله (ص) الطعام ونحن نسمع تسبيحه.

ولما مرض النبي أتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي فسبح.

وقال أنس: أخذ النبي كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله (ص) حتى سمعنا التسبيح ثم صب الحصا في يد أبي بكر رضي الله عنه، فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن.

وفي حديث آخر:

لقد صنع لرسول الله (ص) وأبو بكر رضي الله عنه حين قدما الى المدينة يوم الهجرة طعاما يكفيهما وحدهما. فقال (ص): أدع ثلاثين من أشرف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال: أدع ستين، فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال أدع سبعين فأكلوا حتى شبعوا. فلما رأوا هذه المعجزة أسلموا جميعا.

ولقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام بين يدي رسول الله (ص)، ويأكل المئات من قصعة تكفي رجلين أو ثلاثة. وبعد أن ينتهي الجميع من تناول الطعام يتبقى في القصعة طعام أكثر مما كان فيه. وكأن الطعام يمد بمدد من السماء.

٤ ـ النبي يشبع الجموع (تشبها بالمسيح):

رسول الله (ص). كان ذاهبا لزيارة أحد الصحابة وهو أبو طلحة .. عندما سمع أبو طلحة صوت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو قادم إليه .. قال لزوجته أم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ضعيفا فعرفت فيه الجوع .. فهل عندك من شيء نقدمه له؟.. فقالت نعم. وأخرجت أقراصا من شعير ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه .. ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه (أي جعلت بعضه رداء على الرأس).. ثم أرسلني الى رسول الله .. فذهبت به ووجدت رسول الله ومعه الناس.. فقمت عليهم فقال رسول الله (ص) أرسلك أبو طلحة فقلت نعم .. فقال رسول الله قوموا.. فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم، حتى إذا جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم: لقد جاء رسول الله (ص) بالناس.. وليس عندنا ما نطعمهم.. فقالت الله ورسول اعلم.. فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله.. فأقبل رسول الله معه حتى دخل.. وقال رسول الله هلمي ما عندك يا أم سليم.. فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ففعلت.. وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدمته.. ثم قال فيه رسول الله (ص) ما شاء له الله أن يقول.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا فشبعوا.. وهكذا أكل من القوم وشبعوا سبعون أو ثمانون رجلا.

٥ ـ الشاه تدر اللبن:

لقد كانت البركة تلحقه (ص) أينما ذهب. ففي يوم الهجرة مسح رسول الله (ص) على ضرع شاة تملكها إمراءة يقال لها أم معبد، وكانت الشاة لا تدر لبنا. فمسح رسول الله بيده الشريفة على ضرعها. فامتلأ باللبن، فحلب وشرب هو وأبو بكر وملأ الإناء لتشرب منه المرأة!

٦ ـ نبع الماء من بين أصابعه:

روي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية. وكان رسول الله (ص) بين يديه إناء يتوضأ منه فأسرع الناس حوله وقالوا يا رسول الله ليس معنا ماء نتوضأ به أو نشربه إلا ما بين يديك. فوضع رسول الله (ص) يده في الإناء. فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون!! فشربنا وتوضأنا .. قيل لجابر كم كنتم؟ قال كنا خمس عشرة مائة. ولو كنا مائة ألف لكفانا.

٧ ـ أنين جزع النخلة:

روى الأئمة البخاري والترمذي وأحمد والشافي وغيرهم أن النبي (ص) كان يخطب مستندا الى جذع نخلة، فقد كان المسجد مسقوفا بالجريد. وكانت الجذوع له كالأعمدة. فقال تميم الداري: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة، فيسمع الناس خطبتك؟ فقال النبي (ص) : نعم.. فصنعوا له منبرا من ثلاث درجات. ولما كان يوم الجمعة

صعد رسول الله (ص) المنبر فأن الجذع الذي كان يخطب عليه كما يئن من إصابه فقد أو مكروهّ!! فنزل رسول الله لما سمع أنين الجذع فمسحه بيده فسكن ثم رجع الى المنبر.

٨ ـ الشجر يقبل على محمد:

سأل أعرابي النبي (ص) أن يريه آية تدل عل أنه رسول الله.. فقال رسول الله مشيرا الى شجرة قريبة: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك، فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها.. فتقطعت عروقها، ثم جاءت تشق الأرض تجر عروقها بغبرة. حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص)، وقالت السلام عليك يا رسول الله.. فقال الأعرابي لرسول الله: مرها فلترجع الى منبتها.. فرجعت فدلت عروقها فاستوت. فقال الأعرابي: آمنت بالله وبرسوله وأعلن إسلامه.

٩ ـ شفاء الجريح:

ذهب عبد الله بن عتيك مع أربعة رجال من الخزرج الى خيبر لمقتل أبي رافع الأعون سلام بن أبي الحقيق المحرك الأول لأمل خيبر على حرب المسلمين وتوجه الى بيت أبي رافع. واحتال على البواب حتى دخل البيت وقال لمن كانوا معه:

ـ انتظروني حتى أجيء إليكم. ودخل البيت، وصار يفتح الأبواب التي توصل الى أبي رافع وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل. حتى انتهى إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم يمكنه تمييزه. فنادى: يا أبا رافع قال: من؟ فاتجه نحو الصوت وضربه بالسيف عدة مرات حتى قتله.

ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله، فعصبها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال: النجاة!! قتل والله أبو رافع. فذهبوا الى الرسول فحدثوه بما حدث ثم قال لعبد الله: ابسط رجلك، فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتك منها قط وعادت أحسن مما كانت.

١٠ ـ جبل أحد يرتجف:

عن أنس: صعد النبي (ص) ومسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا (١٢) فرجف بهم (١٣) فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

١١ ـ إجابة الضب للمصطفى:

عمر أن رسول الله (ص) كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا (١٤) فقال: من هذا؟

قالوا: نبي الله. فقال الأعرابي: واللات والعزى لا أؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله (ص) فقال النبي (ص) يا ضب فأجابه بلسان واضح يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال النبي: من تعبد؟

قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه. قال النبي: فمن أنا؟. قال رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك.

فأسلم الأعرابي.

١٢ ـ البعير يشتكي لمحمد:

وعن معجزاته (ص) مع عالم الحيوان .. روى لنا الإمام أحمد عن يعلى بن مرة الثقفي رضى الله عنه قال: (بينما نحن نسير مع رسول الله (ص) في سفر مررنا ببعير يسقى أصحابه عليه.. فلما رأى البعير النبي أصدر صوتا عاليا، فوقف النبي (ص) وقال أين صاحب البعير؟.. فجاء صاحبه.. فطلب منه (ص) أن يبيعه له.. فقال صاحب الجمل بل نهبُهُ لك يا رسول الله.. وأنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره (أي يستعينون به في حياتهم).. فقال النبي (ص) أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه).

١٣ـ العصفور يشتكي أيضا لمحمد:

وإذا كنا سنتحدث عن رسول الله (ص) الرحمة للعالمين.. فإننا لا بد أن نذكر تلك الحُمرة (طائر صغير كالعصفور) التي أخذ بعض القوم بيضها من عشها.. فجاءت الى رسول الله (ص) تشكو.. فقال عليه السلام من فجع هذه بفرخيها؟.. قالوا نحن.. قال: ردوهما رحمة بها.

١٤ ـ الظبية تستنجد بمحمد:

وتلك الظبية التي مر بها رسول الله (ص) وهي مربوطة الى خباء أعرابي (مكان إقامته) فقالت يا رسول الله خلي عني حتى أذهب لأرضع خشفى (يعني أولادها والخشف مثل ولد الغزال).. ثم أرجع فتربطني .. فقال رسول الله (ص) أنت صيد قوم وربيطة قوم.. وحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نقضت ما في ضرعها (أي اختفى اللبن الذي كان يملأ الضرع) فربطها رسول الله وذهب الى أصحابه فاستوهبها منهم فوهبوها له فأطلقها.

١٥ ـ تراب محمد يعمي فتية قريش:

نذكر من بينها ساعة خروجه (ص) من بيته مهاجرا.. فقد أحاط ببيته فتية قريش أو أقوى فتيانها يحملون سيوفهم ليقتلوا سيد المرسلين. ولم يكن هناك ـ بأسباب الدنيا ـ نجاة من الخطر. فالرسول داخل بيته، وهؤلاء الفتية يحيطون بالبيت.. ولكن الله سبحانه وتعالى أخذ النور من عيونهم ساعة خروج الرسول (ص) .. فلم تعد عيونهم ترى شيئا ويخرج الرسول ويمسك حفنة من التراب ويلقيها عليهم وهو يقول شاهت الوجوه وهم لا يتحركون.. بل كأنهم قد سلبت منهم الحياة.

١٦ـ فرسة سراقة تسيح في الرمال:

ومن معجزات يوم الهجرة أنه عندما هاجر النبي (ص) هو وأبو بكر الصديق سرا.. جن جنون قريش فأرسلت مناديا ينادي في قبائل البدو أن من يظفر بمحمد وصاحبه ويعود بهما الى مكة سننعطيه مائتين من النوق الحوامل.

وطمع سراقة بن مالك وكان فارسا قويا، في الحصول على هذه الجائزة، فركب فرسه وانطلق يرد اللحاق بالنبي وصاحبه.. وحين رآهما واقترب منهما ساخت فرسه في الرمال

الى ركبتيها (أي غاصت أرجلها في الرمال حتى ركبتيها) فسقط عنها .. وحاول أن ينهضها فساخت مرة آخرى.. فاستغاث سراقة بمن كان يريد قتله (!!) استغاث بالنبي (ص) فنهضت فرسه.

لكن سراقة لم يفارقه طمعه في الثروة بعد النجاة!! فحاول اللحاق بالنبي وصاحبه.. فساخت فرسه مرة أخرى، فاستغاث برسول الله (ص) .. وكرر المحاولة للمرة الثالثة فحدث نفس الشيء!! حينئذ عرف أن الله يحفظ رسوله. فمشى الى رسول الله (ص) وعرض سراقة عليه أن يأخذ من ماله ما شاء .. ولكنه رفض.. فقال يا رسول الله سأرجع من حيث أتيت.. وأريد أن تكتب لي كتاب أمان.. فكتب له رسول الله كتابا ثم قال له: كيف أنت يا سراقة اذا لبست سواري كسرى؟ (أي ما كان يلبسه في يديه).. فقال سراقة كسرى بن هرمز؟.. قال النبي نعم..

ومرت الأيام وجاء عهد عمر بن الخطاب .. وانتصر المسلمون على الفرس، وفر كسرى هاربا.. تاركا كل ما في قصره من كنوز بينها سواري كسرى ..ولما جيء بالغنائم الى عمر بن الخطاب وكان سراقة جالسا عنده فألبسه عمر السوارين.. وعندئذ تذكر سراقة ما قاله رسول الله (ص) ففاضت عيناه بالدموع.

١٧ـ نسيج العنكبوت وبيض الحمامة:

وفي غار حراء والرسول مهاجر الى المدينة.. وصل الكفار الى باب الغار.. وقال قصاص الأثر: إن آثار الأقدامم قد انتهت هنا.. (أي عند مدخل الغار).. وقال أبو بكر رضى الله عنه.. لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لرآنا.. ولكن رسول الله (ص) قال له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهم.

لم يدخل الكفار الى الغار بعدما رأوا نسيج العنكبوت وبيض الحمامة على المدخل. ولأن هذا دليل على عدم دخول وخروج أحد من الغار.

(واضح وضوح الشمس أن هذا هراء لأن أسماء بنت أبي بكر كانت تذهب بالطعام الى محمد وأبيها داخل الغار فكيف يأتي هذا مع نسيج ا

١٨ـ محمد يمسك بالجن في المسجد:

عندما رأى رسول الله (ص) .. وهو ذاهب الى المسجد شيطانا من الجن.. وأمسك به رسول الله .. وكاد يربطه الى سارية المسجد ليتفرج عليه الغلمان.. ولكنه قال تذكرت دعوة أخي سليمان: رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فأطلقته.

وهكذا ترى أدب رسول الله (ص).. وكيف أنه على خلق عظيم.. وكيف أنه احترم دعوة سليمان عليه السلام.

تلك كانت عينة من بعض المعجزات المخترعة والمنتحلة لرفعة شأن نبى الاسلام من قبل اتباعه ومحبيه وهم بفعلتهم النكراء هذه أضروه أكثر مما أفادوه أذ انهم أثبتوا بوضوح كامل خطأ القرآن الصريح بنفى المعجزة عن محمد .

ولرصد "نمو" المعجزات المزعومة لا يحتاج المرء الا لتتبع عددها وفحواها فى كتب السيرة النبوية عبر التاريخ الاسلامى فالكذب الفواح يصرخ من بين سطورها .

لاحظ انه بعد مرور قرنين من الزمان تمت كتابة أول سيرة لرسول الاسلام فى بداية القرن الثالث الهجرى وهى سيرة ابن اسحق التى هذبها واختصرها ابن هشام .

فى تلك السيرة يسرد ابن هشام عشرة معجزات فقط لا غير لنبى الاسلام وهى :

- سلام الحجر والشجر عليه

- اعماء القرشيين برميهم بحفنة تراب

- قتال عكاشة بن محصن بجذع حطب

- رد عين قتادة بن النعمان

- بيض الحمام على باب الغار الذى اختبأ فيه النبى وأبو بكر الصديق

- تفتيت أرض الخندق الصلبة بماء تفل فيه رسول الاسلام

- تكثير التمر

- تكثير الطعام (شاة صغيرة نحيفة لامرأة جابر التى أشبعت كل المشتركين فى وقعة الخندق)

- تحطيم الأصنام (هاتفا : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

- اخراج الماء الغزير من نبع جاف فى مرجعه من تبوك

- دعوة شجرة وارجاعها الى مكانها أمام ركانة بن عبد يزيد بعد قرنين من هذا أى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ارتفع عدد المعجزات المزعومة أربعة أضعاف كما أوردها أبو الحسن الماوردى فى " أعلام النبوة" والبيهقى فى "دلائل النبوة" منها :

- عبور الوادى فى غزوة خيبر (نظير شق البحر لموسى)

- تحويل الماء المالح لزلال بالتفل فيه (نظير معجزة القاء فرع شجرة مرة فى بئر وتحويل مائها لعذب).

- شفاء طفيل العامرى من الجزام (نظير شفاء المسيح للمرضى)

- احياء الموتى (نظير احياء المسيح للموتى)

- تسبيح الحصى

- اضاءة أصابع بعض الصحابة وعصيهم لانارة الطريق

- اقامة زيد بن خارجة من الموت

- كلام الحيوانات كالذئب والحمار والبعير والغنم والضب

- معجزات مرتبطة بتفل الرسول ومجه وبصاقه وماء وضوءه

- شرب أهل الصفة جميعا من قدح اللبن

- تكثير سمن عكة للسمن التى أهدتها أم سليم للرسول

بعد هذا بقرن وفى بداية القرن السادس الهجرى كتب القاضى عياض فى " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " الذى ارتفع فيه عدد المعجزات من اربعين الى مائة وعشرين منها وبقى

هذا العدد كما هو حتى القرن الثامن الهجرى عندما كتب ابن كثير " البداية والنهاية" . من هذه المعجزات :

- عودة شاة امرأة جابر للحياة بعد تجميع عظامها فى معجزة اشباع الجموع

- غزالة تقول : "لا اله الا الله ومحمد رسول الله"

- بعير يسجد للرسول ويشكو اليه

- حوالى مئة نبوة عن أخبار غيوب مستقبلية فى مجال الحياة السياسية للأمة فى زمن الخلافة الراشدة والأموية والعباسية تم استنطاق رسول الاسلام بها لتوظيفها لأغراض سياسية وهى تشمل نبوات مزعومة عن موقعة الجمل وموقعة صفين وموقعة الحرة واغتيال الخلفاء الراشدين ومقتل الحسين فى كربلاء وغيرها.

بعد هذا , وفى القرن الحادى عشر الهجرى يرتفع الحلبى فى " السيرة الحلبية" بعدد المعجزات الى ثلاثة آلاف معجزة ويرتفع بهلاوس معجزات النبى الى آفاق جديدة لم يسبقه اليها أحد من كتاب السيرة السابقين . من هذه المعجزات :

- رؤية عبد المطلب المنامية بأنه سينحر أحد ابناءه (تشبها بابراهيم) ووقوع القرعة على عبد الله ابو الرسول.

-اخبار احبار اليهود وكهان النصارى بقرب مولد الرسول

- تبشير الملاك لآمنة أم الرسول بمولده (تشبها بمريم أم المسيح)

- تنكيس الاصنام عند مولده

- ولادة الرسول مختونا مكحولا

- استراق الشياطين السمع عند مبعثه

- تكلم الرسول عند ولادته (تشبها برواية القرآن عن المسيح) وقوله " الله أكبر كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا

- سقوط النجوم عند ولادته

- تزلزلت الكعبة عند مولده

- معجزات مرتبطة برضاعته وفطامه

- شق القمر

خلاصة هذا الفصل هو أن عدد معجزات نبى الاسلام ارتفع من عشرة فى القرن الثالث الهجرى الى ثلاثة آلاف فى القرن الحادى عشر . ان لم يكن هذا ا كذب وتدليس فانه يجب اعادة تعريفهما فى معاجم اللغة العربية .

الهـوامـش

---

(١) العنكبوت: ٥٠.
(٢) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.
(٣) الإسراء: ٩٣.
(٤) الإسراء: ٥٩.
(٥) القصص: ٤٨.
(٦) القسس: ٤٨.
(٧) السيرة الحلبية، ٢٧٨/٣ ـ ٢٩٦.
(٨) الإعراب: ١٥٨.
(٩) الأنفال: ١٧، الفتح: ١٠.
(١٠) السيرة الحلبية، ١٨٣/٢.
(١١) السيرة الحلبية، ١٨٣/٢.
(١٢) أحدا: جبل أحد.
(١٣) رجف بهم: اضطرب بهم واهتز.
(١٤) ضبا: نوعا من دواب الصحاري.

نبى لا يتنبأ

هذا ليس رأيا شخصيا ولكنه رأى صاحب القرآن كما هو واضح من آيات عديدة صريحة .

"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى " الاسراء ٨٥ .
"يسئلونك عن الساعة أبان مرساها قل انما علمها عند ربى " الأعراف ١٨٧ .
"قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب " الأنعام ٥٠ .
"فقل الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين " يونس ٢٠ .
" قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء " الأعراف ١٨٨ .

رغم أن شهادة القرآن كافية فإننا نسوق هنا شهادة أخرى على عدم معرفة نبى الاسلام للغيب من

" السيرة النبوية" لإبن هشام: **(أمر الشاة المسمومة):** فلما أطمئن رسول الله (ص) أهدت له زينب بنت الحارث، إمرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله (ص) ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله (ص)، تناول الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فإعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله (ص)، ومات بشر من أكلته التي أكل. قال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله (ص) قد قال في مرضه الذي توفى فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر. قال: فأن كان المسلمون ليرون أن رسول الله (ص) مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة. (السيرة النبوية).

<u>سؤال: لو كان محمد يعلم الغيب هل كان يلوك مضغة من الشاة المسمومة؟!</u>

لو كان محمد يعلم الغيب هل كان ينتظر ٣٧ يوم حتى تحيض عائشة ثم يستنزل آيات تبرئها فيما هو مشهور بحادثة الإفك؟!. لو كان محمد يعلم الغيب هل كان يشك في نسب إبنه إبراهيم ويطلب من علي بن أبي طالب أن يقتل القبطي المأبور؟. لقد تناول الدكتور أحمد صبحي منصور أمر عدم معرفة نبي الإسلام للغيب في كتابه عن " عذاب القبر" ونحن ننقل عنه هنا ما جاء بهذا الصدد. في صفحات ٩٥، ٩٦، ٩٧:

الله وحده هو الذي يعلم الغيب:

هذا المعنى تؤكده الآيات الكريمة الآتية { وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو } الأنعام ٥٩. { فقل إنما الغيب لله} يونس ٢٠.{ ولله غيبُ السموات والأرض وإليه يُرجعُ الأمر كله} هود ١٢٣. { ولله غيبُ السموات والأرض} النحل ٧٧. { قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} النمل ٦٥. وكل الآيات الكريمة تؤكد نفس المعنى بأسلوب القصر والحصر، أي لا يعلم الغيب إلا الله، مثل قولك لا إله إلا الله.. لأن العلم بالغيب صفة إلاهية.

الأنبياء والغيب:

يقول تعالى: { ما كان اللهُ ليطلعكم على الغيب ولكن الله يحتبي من رسله من يشاءُ} آل عمران ١٧٩.. {عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا إلا من ارتضى من رسول} الجن ٢٦. وقد أعطى الله بعض أنبياء مثل يوسف وعيسى بعض الغيوب مثل تفسير الأحلام كوسيلة من وسائل إثبات نبوتهم. لكن أنبياء آخرين لم يعطهم الله العلم بشيء من الغيب وقد أعلنوا ذلك صراحة مثل نوح عليه السلام الذي كان يقول لقومه { ولا أقولُ لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب} هود ٣١. وقد أكد القرآن على أن خاتم النبيين لا يعلم الغيب في قوله تعالى: { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى اليَّ} الأنعام ٥٠.

أي أن الله تعالى أمر خاتم النبيين (ص) بأن يعلن أنه لا يملك خزائن الله وأنه لا يعلم الغيب وأنه ليس ملكا من الملائكة، ويزيد على ذلك بتأكيد أنه يتبع الوحي، وأنه لا يمكن أن يتكلم بما يخالف الوحي وأوامر ربه له { إن أتبعُ إلا ما يوحى اليَّ..} والله تعالى يأمر خاتم النبيين (ص) بأن يعلن بأنه لا يعلم موعد الساعة أقريب هو أم بعيد، لأن الله لم يطلع على غيبه إلا من إرتضى من رسله وليس هو منهم { قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول} الجن ٢٥:٢٧. كانوا يسألون النبي عن الساعة وكان النبي يرفض الإجابة ونزل الوحي يقول: { يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها } وقوله تعالى للنبي { فيم أنت من ذكراها} تساؤل ينكر من البداية تزجيه ذلك التساؤل إليه، لأن أمور الساعة من الغيبيات، والنبي لا شأن له بمعرفة الغيبيات. وتكرر السؤال للنبي وجاءت الإجابة بشكل أكثر تفصيلا وأكثر تحديدا، يقول تعالى { **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**} سورة الأعراف: ١٨٧.

والآية بعد أن تؤكد أن علم الساعة هو من عند الله وحده، تؤكد على أن النبي لا يعلم شيئا عنها، ويأتي ذلك بصورة إستنكارية { **يسألونك كأنك حفي عنها**}.. ثم تأتي الآية التالية تؤكد أن النبي لا يعلم الغيب { قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لإستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} الأعراف ١٨٧، ١٨٨. أمره ربه أن يعلن أنه لا يملك لنفسه ـ فضلا عن غيره ـ نفعا ولا ضررا إلا ما شاء الله، وإنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير وما أصابه سوء .. وفعلا لو كان يعلم الغيب ما حدثت له الهزيمة في أحد ولإستكثر من النصر في بدر وغيرها..

ولو كان يعلم الغيب ما وقع ضحية لخداع المنافقين حين كانوا يكذبون عليه فيصدقهم، وفي إحدى المرات أقنعوه بأن اللص ليس لصا بل برئ وطلبوا منه أن يدافع عن ذلك اللص البرئ فدافع عنه النبي مخدوعا بكلامهم، ونزل الوحي يعتب على النبي ويقول له: { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما} أي لا تكن محاميا عن الخائنين، ثم يأمره ربه بالإستغفار { **واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما}** ويأمره ربه بألا يدافع عن الخونة { **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يُحب من كان خوانا أثيما}** النساء ١٠٦، ١٠٧. أولئك كانوا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، وكانوا يتآمرون على خداع النبي، وصدقهم النبي لأنه لا يعلم الغيب، ثم نزل الوحي يخبر بالحقيقة ولو كان النبي يعلم الغيب ما إستطاعوا خداعه ..

وكانوا يدخلون عليه يقدمون له فروض الطاعة ثم يخرجون من عنده يتآمرون عليه، وهو لا يعلم شيئا عن ذلك الغيب الى أن ينزل الوحي يخبره { ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا } النساء ٨١.. لم يكن يعلم الغيب وكان ذلك واضحا في سيرته القرآنية أو غزواته التي حكاها المؤرخون. وبالتالي فقد كان يتصرف في غزواته وفق إمكاناته البشرية.

وكانوا يسألونه عن الغيبيات مثل أمر الساعة فينزل القرآن يستنكر ذلك السؤال ويؤكد على أن النبي لا يعلم الغيب. وهناك آية جامعة محكمة فاصلة في الموضوع { قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين} الأحقاف ٩. أي أمره ربه بأن يعلن أنه ليس متميزا عن الرسل { قل ما كنت بدعا من الرسل}. وأمره أن يعلن أنه لا يدري ولا يعلم ما سيحدث له أو ما سيحدث لغيره في المستقبل سواء في الدنيا أو عند الموت أو في البرزخ، أو عند قيام الساعة أو في الأخرة، وبالتالي فلا يمكن أن يتكلم في أشياء لا يعلمها فقد أمره ربه أن يعلن أنه يتبع ما يوحى إليه فقط أي يطيع أوامر ربه { إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ} ومعناه أن النبي لا يمكن أن يتكلم مثلا عن عذاب القبر لأنه غيب ... والمعنى المستفاد مما سبق أن النبي لم يتكلم أبدا عن الغيبيات، ومن واجب المؤمن تبرئة النبي من ذلك الزيف المنسوب إليه والذي يخالف القرآن.. والآيات السابقة وهي تؤكد على أن النبي لا يعلم الغيب تضع الذين يتمسكون بأحاديث الغيبيات وعذاب القبر والشفاعة في موقف حرج.. فهم إن أمنوا بتلك الأحاديث فقد كفروا بآيات القرآن، وإن أمنوا بالقرآن فقد كفروا بتلك الأحاديث.. ولا يمكن أن يؤمن الإنسان بالشئ ونقيضه.. والمتمسكون بتلك الأحاديث التي تخالف القرآن مضطرون لأن يعلنوا باللسان إيمانهم بالقرآن، ولكن مأزقهم الحقيقي في أنهم يؤمنون فعلا بتلك الأحاديث مهما تناقضت مع القرآن.

نبى لا يشفع

في كتابه الشهير " الشفاعة" ينفي الدكتور مصطفى محمود تماما شفاعة النبي كما تظهر السطور التالية المقتبسة من كتابه:

القرآن يقول:**{ لله الشفاعة جميعا }**.. وهو بذلك يجمع سلطة الشفاعة جمعية واحدة ويجعلها لله وحده. [يونس: ٣]

والسبب طبيعي .. فهو وحده الذي يعلم استحقاقات كل فرد .. وماذا فعل في دنياه من خير وشر .. وما هي أعذاره إن كانت له أعذار .. وهو الوحيد الذي يعلم قلبه وضميره ويعلم سره ويعلم ما هو أخفى من ذلك السر. فماذا سوف تضيف شفاعة أي شفيع لعلم الله؟؟!! **{ أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض}** [يونس: ١٨] .

ومن ذا الذي يجرؤ أن يُعدل حكما حكم به رب العالمين. والقرآن يقول في آية شديدة القطع والوضوح: **{ له غيب السموات والأرض أبصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا}** [الكهف: ٢٦] .

القرآن يقول في قطعية واضحة .. أن الله لا يشرك في حكمه أحدا .. ويقول في قرآنه:
{ وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع}
[الأنعام: ٥١]

وكل هذا نفى صريح للشفاعة يوم الحساب. ثم يتكرر نفس المعنى في آية أخرى في سورة السجدة الآية ٤:

{ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون} فأضاف في هذه الآية حرف "من".. { ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع} وهو نفى قطعي لأي نوع من ولي أو شفيع.

هذه الآيات المحكمات في نفي الشفاعة تجعلنا نعيد النظر بتفهم لأي آية تتكلم عن الشفاعة ونفهمها في حدود " المتشابه" فلا ننساق وراء هذه الأحاديث التي تملأ كتب السيرة وتدعي بأن النبي (ص) سوف يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله " وما أسهل أن نقول وما أهون أن ننطق بالكلام ونحن أكثر الأمم كلاما وأقلها التزاما".

ويوم القيامة يوم عظيم ويوم مجموع له الناس ويوم مشهود ويوم يجعل الولدان شيبا .. ولا يمكن أن يكون محلا لهذا التبسيط ولهذه الخفة في الفهم. **{ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون}** البقرة: ٢٥٤] .

وللأسف الشديد نحن نقرأ كتب السيرة والأحاديث بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل .. ومحفوظ.. والله لم يقل لنا أنه تولى حفظ هذه الكتب .. وهو لم يحفظ إلا القرآن.. وكل ما عدا القرآن من كتب يجب أن تخضع للنقد والفحص مهما عظم شأن أصحابها. وليس غريبا

أن تمتلئ هذه الكتب بالمدسوس من أحاديث الشفاعة فنقرأ في أحدها أن النبي يدخل بشفاعته الى الجنة رجلا لم يفعل في حياته خيرا قط .. ويكون هذا الرجل هو آخر الداخلين الى الجنة.

وما الهدف من أمثال هذه الأحاديث المدسوسة سوى إفساد الدين والتحريض على التسيب والإنحلال وفتح باب الجنة " سبهلله" للكل.. لأن الشفيع سجد عند قدم العرش وقال متوسلا: لا أبرح حتى تدخل كل أمتي الجنة يا رب.

ومرويات كثيرة رواها أصحابها بلا عدد وبلا حصر وأحيانا بحسن نية ظنا منهم أنهم يزيدون بها في تمجيد النبي ويرفعون مقامه عند ربه..وينسون أنهم بكلامهم يفسدون جلال المشهد ويهدمون جدية اللحظة التي تشيب لها الولدان وتزيغ فيها الأبصار وتنعقد الألسن وتتزلزل الأقدام وتذهل كل مرضعة عما أرضعت. هذه اللحظة الهائلة التي يحشد فيها القرآن كل ألوان الأهوال: **{ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الحجيم سعرت}** [التكوير: ١ -١٢].

هل هذه لحظة يساوم فيها النبي ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيرا قط في حياته. إن لم يكن هذا هو الهزل.. فماذا يكون؟ وحاشا لله .. ما كان لرسولنا العظيم أن يفعل هذا .. إن هي إلا تخرصات وأكاذيب.. وأقوال مدسوسة.. القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته من الكفار ومن المسلمين أيضا. **{ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم}** [المائدة: ٣٧].

وقيلت في الكفار: ويقول أهل النار في سورة المؤمنون: **{ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اسأوا فيها ولا تكلمون}** [المؤمنون: ١٠٧- ١٠٨].

وقيلت في الكفار: وعن الكفار أيضا في سورة البقرة: **{ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار }** [البقرة: ١٦٧] .

ولكن القرآن يعود فيقول نفس الكلام عن المسلمين المنافقين: **{ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا}** [النساء: ١٤٥] .

ويقول عن عصاة المسلمين: **{ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين}**[النساء: ١٤] .

ويقول عن الظالمين والظالمون فيهم المسلم الظالم والكافر الظالم: **{ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع}** [غافر: ١٨] .

ويقول عن قاتل النفس ويدخل فيه المسلم وغير المسلم: **{ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما}** [النساء: ٩٣].
ويقول الله لمحمد في سورة الزمر: **{ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار}**

الزمر ١٩ .(والكلام لرسول الله مباشرة في استفهام استنكاري) والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين كما ينكر الخروج من النار على من كتب عليهم بدخولها.. فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها ولا يوجد في القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود في جهنم ولا فكرة " المطهر" التي نقرأها في كتب إخواننا المسيحيين .. يقول ربنا في الآيات ٨٠- ٨١ من سورة البقرة **{ وقالوا لن تمسنا النار إلا إياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته** (وهو كلام عن مسلمين) **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}**. وفي سورة يونس الآيات ٢٦- ٢٧ يتكلم عن الخطائين من المسلمين:**{ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** والمذنبون موضوع الآيات هم الذين أذنبوا ولم يتوبوا وتمادوا وانغمسوا في ذنوبهم حتى أحاطت بهم فهم أهل الإسرار والإستكبار والتفاخر بالذنوب. وهذه الثوابت القرآنية تتناقض تماما مع مرويات الأحاديث النبوية في كتب السيرة عن إخراج الرسول (ص) لمن يشاء من أمته من النار مما يؤكد أن هذه الأحداث موضوعة ولا أساس لها من الصحة ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبي. بل إن درجات النار وأقسامها قد تحددت سلفا في القرآن ومواقع المجرمين قد عُلمت. **{ وإن جهنم لموعدهم أجمعين .. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم}** [الحجر: ٤٣- ٤٤].

فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل في النار واختصت به واختص بها .. وهذا يؤكد أن كل ما ذكر عن إخراج الرسول (ص) بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة مشكوك في صحته. والذين يأكلون الربا من المسلمين وغير المسلمين تتحدث عنهم الآية ٢٧٥ من سورة البقرة: **{ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فإنتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** كيف يشفع الرسول في هؤلاء وكيف يسبق ربنا بالقول في قضايا حسمها الله في القرآن من الأزل. وشفاعة الملائكة للبعض في القرآن لا تأتي أبدا سابقة للحكم الإلهي بالعفو بل تأتي بعده (لا يشفعون إلا لمن إرتضى) فالحكم الإلهي بالعفو يأتي أولا وتكون شفاعة الملائكة أشبه بالبشارة.. حينما تعلم الملائكة أن الله قد ارتضى تبرئة فلان فإنها تبشره فالمقام الإلهي مقام جليل مرهوب.. وفي الحضرة الإلهية لا يملك أحد أن يسبق الله بكلمة أو رأي **{ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}**[الأنبياء: ٢٧] .

وفي سورة النبأ الآية ٣٨ يقول القرآن عن الملائكة. **{ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا}** ويقول أيضا: **{ وكم من ملك في السموات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}** [النجم: ٢٦]

ومعنى ذلك أن شفاعة الملائكة لا تأتي إلا بعد الإذن وبعد العلم بأن الله قد عفا عن فلان .. فهي بشارة وليست شفاعة وهي أقرب الى التهنئة بالنجاة. والقانون العام في ذلك اليوم يوم الدين .. يوم تدان الأنفس بما عملت .. أنه لا شفاعة تجدي ولا شفاعة تقبل.. لأنه لا أحد

يملك هذه الشفاعة.. فلله الشفاعة جميعا.. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار..لا أحد غيره.. ولا كلمة الى جوار كلمته.**{ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله}**[الإنفطار: ١٩] لا تملك أي نفس لأي نفس .. مهما علا مقام هذه النفس التي تشفع ومهما بلغت درجتها.. لا تملك من أمر الله شيئا. ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب في كلمات قليلة. **{ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض}** [الزمر: ٤٤]

فجمعية الأمر والنهي في يده وحده.. هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها في يده فهو وحده صاحب العلم المحيط وهو وحده أرحم الراحمين ولا يستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله أو أعلم بهم منه.. فهو وحده عالم الغيب والشهادة.. وهو وحده الذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيط أي منهم بعلمه إلا بما شاء.. وهو وحده الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. **{ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا}** [النساء: ١٢٣]

والجزاء في هذا اليوم على قدر العمل والعفو والصفح حق لله تعالى وحده فلله الشفاعة جميعا لا يشاركه في هذا الحق مخلوق فهو يعفو إن شاء ولا يُسأل عما يفعل وهو يعاقب بالنار الأبدية إن شاء. وإذا كان الهدف من شفاعة الشفعاء هو إضافة معلومة عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم بظروفه من أي مخلوق .. يقول القرآن: **{ إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم}** [النجم: ٣٢].

(فمن منكم عنده مثل هذا العلم الإحاطى) لينافس رب العالمين في هذا المقام .. لا أحد قطعا.. والله وحده هو الجدير به .. ولهذا تخلص الشفاعة له وحده في جمعية تنفي تدخل أحد .. ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تنطق به المشيئة. وتبقى بعض حالات مفوض أمر أصحابها في الآخرة الى الله عز وجل وحده مثل ما جاء في هذه الآيات: **{ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}** [التوبة: ١٠٢]

{ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم} التوبة: ١٠٦]

ومنهم المستضعفون في الأرض يقال لهم: **{ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا}** النساء:٩٧- ٩٩]

فهو وحده الذي يتكرم بهذه المغفرة وهو وحده المفوض إليه في كل هذه الأمور .. وهذا معنى الآية: **{ لله الشفاعة جميعا}**. ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو؟ ومن يكون الموعود به في القرآن.. ومن كان المخاطب بهذه الآيات من سورة الإسراء. **{ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا. أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن**

الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا.. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}. والمخاطب هو محمد (ص) وحده لا سواه بلا شك.. ولا أحد منا يعلم موجبات هذا المقام المحمود ولا حدوده فهو سر من أسرار الله والجدل فيه هو جدل بغير علم ولا نخوض فيه ونرى أن التفويض فيه أسلم.

ويذكر المفسرون أنه مقام الشفاعة العظمى ولا نخوض معهم التزاما منا بقول القرآن أن " لله الشفاعة جميعا" وأن الله قال ذلك لأن جمعية الشفاعة كلها لله وحده كما ذكر القرآن وكرر في محكم آياته وأنه لا يشرك في حكمه أحدا وأنه لا أحد أعلم بخلقه منه ولا أرحم بهم منه .. فهو أرحم الراحمين وليس لله منافس في هذا ولا يجوز أن يكون له منافس.. ويؤكد ذلك القرآن مكررا في آياته أنه هو الذي أرسل رسوله للعالمين نذيرا وبشيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا.. ولم تذكر كلمة شفيع عن الرسول إطلاقا.. أقول ذلك اجتهادا والله أعلم فالموضوع غيب.. ويوم الدين بأهواله.. وبما سيجري فيه هو غيب الغيب ولا يملك قارئ القرآن إلا أن يحاول الفهم دون المساس بالثوابت القرآنية ..وخصوصية المقام المحمدي من الثوابت التي لا شك فيها .. كما أن " خصوصية الشفاعة لله وحده وأن جمعية الشفاعة ينفرد بها الله وحده" هي ثابت مطلق آخر من ثوابت القرآن لا مرية فيه.

وعلينا أن نفهم الشفاعة في هذه الحدود ولا نخرج عنها. والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أي تحريف وقال في كتابه المحكم: **{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**.. ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة.. وما يقوله البخاري مناقضا للقرآن يُسأل عنه البخاري يوم الحساب ولا نسأل نحن فيه.

نبى ليس من نسل ابراهيم أبو الانبياء

لا يوجد دليل واحد على هذا الإدعاء لأنه لا يوجد سند متصل متفق عليه ومًثبت تاريخيا أن عدنان جد النبي من نسل إسماعيل بل إن الإختلافات تتراوح بين أربعة أجيال الى أربعين جيلا كما يتضح مما يلي:

١- ما جاء فى البداية والنهاية لإبن كثير:

قال الحافظ (ابن كثير) في كتابه (البداية والنهاية) ـ(ج٢):

خبر عدنان جد عرب الحجاز:

لاخلاف أن عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أبا وهو الموجود عند أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعي عن عمته عن أم سلمة عن النبي (ص) أنه قال:" معد بن عدنان أدد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى".

قالت: أم سلمة فـ (زند) هو الهميسع واليرى هو نابت وإعراق الثرى هو إسماعيل لأنه ابن إبراهيم وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى.

قال الدارقطني: لا نعرف زندا إلا في هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر: قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة: مدة ما بين عدنان الى زمن إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة أباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر اثنتي عشرة سنة. وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحي في ذلك الزمان الى أرمياء بن حلقيا أن أذهب الى بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق الى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك إمرأة إسمها معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع الى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم.

ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب الى ما بعد عدنان.

قال السهيلي: وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن إسحاق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك، وقال له من أين له علم ذلك فقيل له فإلى

إسماعيل فأنكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال إبراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه.

قال: وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل، وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروي عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله. وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب الى عدنان، وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الأنباه في معرفة قبائل الرواة: روى ابن لهيعة (١) عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان إلا تخرصا، وقال أبو الأسود: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم يقول ما وجدنا أحد يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم.

قال أبو عمر: وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) قالوا: كذب النسابون.

قال أبو عمر رحمه الله: والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

قال أبو عمر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت (٢) بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في السير.

قال ابن هشام: ويقال عدنان بن أد يعني عدنان بن أد بن أدد (٣) ثم ساق أبو عمر بقية النسب ال آدم.

٢- ما جاء في مروج الذهب للمسعودي - الجزء الثاني:

في ذكر مولد النبي (ص) ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في خلق العالم وأخبار الأنبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفُرس، والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي (ص) الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته؛ وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح عليه السلام من أهل الفترة؛ فلنذكر الآن مولده إذ كان الطاهر المطهر الأغر، الأزهر الذي اتسعت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته، ونطقت الشهادات له قبل مبعثه.

هو (٤) محمد بن عبد الله بن عبد المَطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مًضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن [مقوم بن] ناخور بن تيرح بن يعرُب بن يشجُب بن نابت (٥) بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن أرعو (٦) بن فالغ (٧) بن عابر (٨) بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك

بن متُّوشلخ بن أخنون بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش (٩) بن شين بن آدم عليه السلام؛ هذا ما نسخه ابن هشام في كتاب المغازي والسير عن ابن إسحاق.

[والنسخ مختلفة الأسماء في النسب من نزار وفي نسخة محمد بن زكرياء الغلابي البصري هو [نزار] (١٠) بن معد بن عدنان بن أدد بن سام (كذا) بن يشجُب بن يعرُب بن الهَمَيسَع بن صانوع بن يامد بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناخور بن أرعو بن أسروج بن فالغ بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن متوشلخ بن أخنون بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم؛ وفي رواية ابن الأعرابي عن هشام بن محمد الكلبي هو نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبت بن سلامان بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن تارح بن ناخور بن أرعو بن بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنون بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

وفي التوراة أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة؛ فيجب ـ والله أعلم ـ أن آدم كان عند مولد لمك ـ وهو أبو نوح عليه السلام ـ ابن ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة، وشيت ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة؛ فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة؛ وقد نهى النبي (ص)، على حَسَب ما ذكرنا من نهيه، أن يتجاوز عن معد؛ فقد ثبت أن يُوقف في النسب على معد فقط؛ وقد اختلف أهل النسب على ما ذكرنا، فالواجب التوقف عند أمره عليه الصلاة والسلام، ونهيه.

وقد وجدت نسب معد بن عدنان في السفر الذي أثبته باروخ بن ناريا كاتب إرمياء النبي أنه معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن برز بن متساويل بن أبي العوام بن ناسل بن حرا بن يلدارم بن بدلان بن كالح بن فاجم بن ناخور بن ماحي بن عسقى بن عنف بن عبيد بن الرعا بن حمران بن يسن بن هرى بن بحرى بن يلخى بن أرعو بن عيفاء بن حسان بن عيسى بن افتاد بن ايهام بن مُعصر بن ناجب بن رزاح بن سماي بن مر بن عوس بن عوام بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ وقد كان لإرمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام، وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا؛ وإنما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليُعلم تنازُع الناس في ذلك؛ فلذلك نهى النبي (ص) على تجاوز معد لعلمه من تباعُد الأنساب وكثرة الآراء في طول هذه الأعصار].

٣- وفي كتاب " شقيقات قريش" لفاضل الربيعي تأكيد لهذا المعنى: ص ٥١:

نصُ الشامي

(سُبل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد) لزمام محمد ابن يوسف الصالحي الشامي، ت ٩٤٢ هـ.

" روي ابن سعد أن النبي (ص) كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أد ثم يمسك ثم يقول: كذب النسابون. وقال ابن عباس (رض): لو شاء رسول الله (ص) أن يعلمه لعَلِمُهُ".

ويمضي الأستاذ فاضل الربيعي في بحثه ص ١٢٥ فينسب تاريخ العرب لأبناء إسماعيل.

لدينا، هنا، أربع قوائم تتضمن أسماء أبناء إسماعيل (ابن الأثير: ١:٨٨ ط لايدن الكامل، الأزرقي:١:٨١، الفاكهي: ١:١٣ والتوراة). وهي قوائم نموذجية قمنا بإختيارها من بين قوائم عدة وردت في الموارد العربية والإسلامية؛ لنكشف نمط التصحيف الفظيع الذي طاول هذه الأسماء:

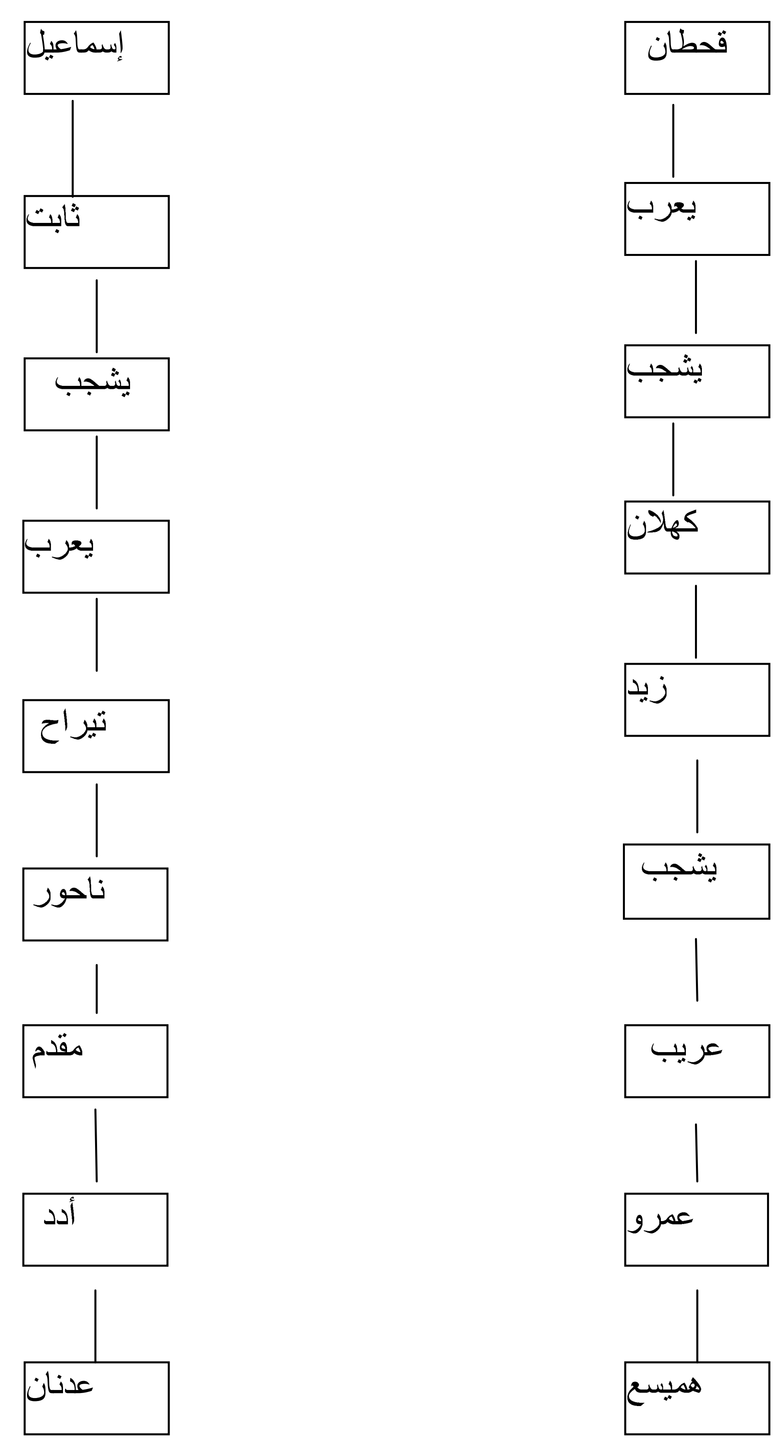
التوراة (تكوين)	الأزرقي (أخبار مكة)	ابن الأثير (الكامل)	الفاكهي (أخبار مكة)
نبايوت	نابت	نابت	نابت
قيدار	قيدار	قيدار	قيدور
أدْبئيل	واصل	أذيل	الذيل
مسا	مياس	ميشا	منَّشا
مشماع	-	مسمع	مسمع
دومة	-	رمّا	دومها
مبسام	-	ماش	ناس
حدّار	آزر	آذر	أُدد
يَطور	يَطور	قطورا	مُصَّور
نافش	نبش	قافس	تيش
قدمة	قيدما	قيدما	قيدم
تيما	طميا	قدمان	-

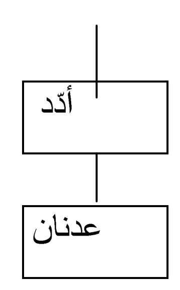
يوضح هذا النموذج نمط الفوضى التي عصفت بأسماء القبائل الإسماعيلية الجديدة من العرب المُستعَربة؛ حيث إنها غدت، في نظر بعض كُتاب التاريخ، كدليل على مُختَلقات الإخباريين العرب.

أيضا في كتاب " شقيقات قريش" نرى التخبط في أسماء أنساب عدنان كما هو واضح في القائمتين التاليتين:

نسب إسماعيل حسب قائمة الأنساب العربية

نسب إسماعيل حسب قائمة الأنساب العربية   نسب عدنان





٤- بحسب أقوال ابن الأثير وابن الكلبي والطبري:

" أوجز ما يقال عن نسب عدنان هو ما أورده " ابن الأثير" في كتابه " الكامل " حيث قال: ولعدنان أخوان يُدعى أحدهما نبتا والآخر عامرا، فنسب النبي (ص) لا يختلف الناسبون فيه الى معد بن عدنان، على ما ذكرت ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين إسماعيل عليه السلام، أربعة آباء ويجعل آخر بينهما أربعين أبا ويختلفون أيضا قي الأسماء أشد من اختلافهم في العدد، فحيث رأيت الأمر كذلك لم أعرج على ذكر شيء منه، ومنهم من يروي عن النبي (ص) نسبه حديثا يصله بإسماعيل، ولا يصح في ذلك الحديث". ٢/٢٣ الكامل لابن الأثير.

وواقع الأمر أن الإختلاف في نسب عدنان أكبر بكثير مما ذكره " ابن الأثير" فقد أفرد " الطبري " وحده في تاريخه ست صفحات لأكثر من عشر روايات زاد عدد الأسماء في بعضها عن الأربعين اسما بكثير وعليه فإن العبارة التي قالها " ابن الأثير!":" ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض " تلخص اللا جدوى من محاولة ربط نسب عدنان بإسماعيل". ٢/٢٣ الكامل لابن الأثير.

ويدعم هذه المقولة ما ورد في صدر كتاب " جمهرة النسب" لابن الكلبي": " أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان الرسول (ص) إذا انتهى في النسب الى معد بن عدنان أمسك ثم قال: كذب النسابون، قال الله جل ثناؤه وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس: لو شاء رسول الله أن يعلمه لعلمه ".

وهذا يعني أن " ابن الكلبي" الذي هو أشهر نسابة على الإطلاق تمسك بما ورد في الحديث، ورفض أن يخوض في غمار نسب عدنان، كما يتضح أن المحاولات لوصل عدنان بإسماعيل جرت في النصف الثاني من القرن الثاني وبطرق واهية، فقد أورد " ابن سعد" في طبقاته ما يلي " قال هشام: وأخبرني مخبر عن أبي ولم أسمعه منه أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع .. الخ" ١/٥٦ ابن سعد.

والإسناد نفسه اعتمده " الطبري " حيث قال: " حدثني الحارث عن محمد بن سعد عن هشام قال أخبرني مخبر ولم أسمعه منه أنه كان ينسب معد .. الخ" ٢/٢٧٢ طبري.

فـ "هشام بن محمد بن السائب الكلبي" لم يسمع النسب من أبيه بل أخبره به مخبر ولم يكشف عن اسمه، والسؤال هو: كيف لم يسمع " هشام بن محمد" من أبيه نسب "عدنان" على ماله من أهمية وهو الذي احتكر النقل عن أبيه وسمعه شخص مجهول؟.

نخرج من هذا كله أن جميع المحاولات لوصل عدنان بإسماعيل مضطربة وواهية، ولا تقوم على أي سند متماسك، فمن هو "عدنان" إذن؟.

كل ما يمكن الإعتماد عليه في نسب عدنان هو اسم أبيه وجده فقط فقد أورد "ابن الكلبي" ما يلي:" ولد أدد بن زيد: عدنان ونبت، ونبت هو الأشعر أبو الأشعريين، وعمرا "والواقع أن معظم الروايات التي أوردت نسبا لعدنان تتقاطع عند هذا الجزء من النسب فقط أي: عدنان بن أدد بن زيد.

وبين كل أعمدة النسب الموجودة بين أيدينا لا نجد إلا شخصا واحدا اسمه " أدد بن زيد" وهو " أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان" " وقد أورد ابن الكلبي أن لـ" عدنان" أخا اسمه نبت وهو الأشعر، وحين نرجع الى نسب " نبت الأشعر" نجد أنه ابن " أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن يزيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان" وعليه فإن عدنان هو ابن أدد المذكور وبما أنه أخو الأشعر فهو بالتالي أخو مرة ومذحج وطيء إخوة الأشعر.

وجدير بالذكر أيضا أن الإسمين " يشجب ويعرب" الواردين في نسب " الأشعر" يتكرران في معظم أعمدة النسب المضطربة التي وضعت كمحاولة لوصل عدنان بإسماعيل.

٥- بحسب ما جاء في السيرة النبوية إبن إسحق/ابن هشام:

أما عمود نسب النبي (ص) فعلى ما ذكره ابن إسحاق في السيرة، وتبعه عليه ابن هشام: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تارح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام ابن تارح (وهو آزر) بن تاخور ابن شارخ (شاروخ) بن أرغو ابن فاغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك ابن متوشلخ بن اخنون وهو إدريس عليه السلام. والإتفاق على هذا النسب الشريف الى عدنان وفيما بعد عدنان الى إسماعيل عليه السلام فيه خلاف كثير يأتي ذكره في الكلام على نسب عدنان في حرف العين المهملة إن شاء الله تعالى، بل قد منع بعضهم الرفع في النسب على عدنان تمسكا بأنه ليس في ما وراء عدنان الى آدم طريق صحيح كما صرح به النووي. قال القضاعي في عيون المعارف في أخبار الخلائف وقد روى أن النبي (ص) قال لا تجاوزا معد بن عدنان كذب النسابون.

٦- بحسب ما جاء في الطبقات الكبرى لإبن سعد وسير أعلام النبلاء للذهبي:

قال الذهبي: قيل أن بين عدنان وإسماعيل تسعة آباء وقيل سبعة وقيل مثل ذلك عن جماعة لكن إختلفوا في أسماء بعض الآباء وقيل بينهما خمسة عشر آبا وقيل: بينهما أربعون آبا وهو بعيد جدا وكل ما قيل في النسب فوق عدنان لا يقين فيه من حيث عدد الآباء وأسماؤهم فلا جدوى من ذكر ذلك. قال ابن سعد في الطبقات:" الأمر عندنا على الإنتهاء الى معد بن عدنان ثم الإمساك عما وراء ذلك الى إسماعيل بن إبراهيم.

وروى الذهبي عن عروة بين الزبير قوله:" ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصا .

الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت.

الخلاصة:

ليس هناك دليل يعتمد عليه للتدليل على أن عدنان من نسل إسماعيل وبالتالي تسقط دعوى أن محمد نبي الإسلام من نسل إسماعيل.

الأهم من هذا هو أن القرآن نفسه ينفى النبوة عن اسماعيل بآيات صريحة رغم انه ناقض نفسه فى آية وحيدة وهى الآية ٥٤ من سورة مريم . وها هى بعض الآيات الدالة على ذلك .

" ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين " [الحجر: ٤٣- ٤٤].

"ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وأتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة من الصالحين " العنكبوت ٢٧ .

بل ان صاحب القرآن نفسه ينفى ارسال انبياء الى العرب قبل محمد كما هو واضح مما يلى :

" وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير " سبأ ٤٤ .

" ..لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون " السجدة ٣ .

الأكثر من هذا أن صاحب القرآن مرارا وتكرارا يصف اسحق ويعقوب انهما هبة منه لابراهيم

ويتجاهل اسماعيل تماما مع انه انجبه أولا . وها هى الآيات :

" ووهبنا له اسحاق ويعقوب كل هدينا" الأنعام ٨٤ .

".. وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا .." مريم ٤٩ .

" ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" الأنبياء ٧٢ ــ ٧٣ .

" وباركنا عليه (ابراهيم) وعلى اسحاق " الصافات ١١٣ .

الهــوامــش

---

(١) ابن لهيعة: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري، كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية. توفي بمصر سنة سبعين ومائة. وكان عمره احدى وثمانين سنة، وكان مولده سنة سبع وتسعين (ابن خلكان).

(٢) ابن قتيبة في المعارف ساق نسب عدنان الى قيدار بن اسماعيل أخي نابت. وهذا ما فعله الجواني في أصول الإحساب والزيدي في روضة الألباب.

وهكذا قال هشام بن محمد الكلبي كما في رواية ابن الإعرابي عنه (المسعودي) وقال المسعودي:٢٨٩/٢: وقد نهى النبي أن يتجاوز عن معد، وقد اختلف أهل النسب [في رواياتهم] فالواجب الواقف عند أمره عليه السلام ونهيه.

(٣) في ابن هشام: ويقال عدنان بن أد. وفي رواية الكلبي: عدنان بن أد بن أدد.

(٤) في ج و ث: وهو؛ وفي ت: فهو.

(٥) في ت: ثابت؛ وفي ج: نابت.

(٦) في السيرة: راعو؛ وفي ج: أرعو، وفي ث: أرعواء.

(٧) في السيرة فالخ؛ وفي ج: فالغ.

(٨) في ج: عابر؛ وفي السيرة: عيبر.

(٩) في السيرة؛ يافش؛ وفي ج: أنوش.

(١٠) الزيادة عن ج.

إبراهيم وإسماعيل لم يبنيا الكعبة ؟

سلسلة النسب من آدم الى إبراهيم:

من آدم الى نوح:

هذا سِجل بأسماء مواليد البشر حسب تعاقُبهم: آدم، شِيت، أنوشُ، مهللئيل، يارِدُ، أخنوخُ، متوشالحُ، لامكُ، نوحُ، سامُ، حامُ، يافثُ.

أبناء يافث:

أما أبناء يافث فهم، جُومر وماجُوج وماداي وياوانُ وتوبال وماشك وتيراس. وأبناء جومر: أشكنازُ وريفاثُ وتُوجرمةُ. وأبناء ياوان: أليشةُ وترشيشةُ وكتيم ودُودانيم.

أبناء حام:

أما أبناء حام فهم: كوشُ ومصرايم وفوطُ وكنعانُ. وأبناء كوش: سبا وحويلة وسبتا ورعما وسبتكا. وأبناءرعما: شبا وددان، وأنجب كوش نمرود الذي شب وصار محاربا مرهوبا في الأرض. وأنجب مصرايم لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم، وفتروسيم وكسلوحيم الذين تحدر منهم الفلسطينيون والكفتوريون. وأنجب كنعان بكره صيدون، ومن صُلبه تحدر الحثيون. واليبوسيون والأموريون، والجرجاشيون، والحويون والعرقيون والسينيون، والأرواديون والصماريو والحماثيون.

أبناء سام:

أما أبناء سام فهم: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام وعوص وحول وجائر وماشك. وأنجب أرفكشاد شالح، وأنجب شالح عابر. وولد لعابر أبنان، اسم أحدهما فالج لأن شعوب الأرض انقسمت في أيامه الى قبائل حسب لغاتها. واسم أخيه يقطان. وأنجب يقطان الموداد وشالف وحضرموت وبارح، وهدورام وأوزال ودقلة، وعيبال وأبيمايل وشباء وأوفير وحويلة ويوباب. وجميع هؤلاء هم أبناء يقطان.

(أما إبراهيم فقد تحدر من نسل) سام، أرفكشاد، شالح، عابر، فالج، رعو، سروج، ناحور، تارح، الذي أنجب أبرام الذي دعي إبراهيم.

نلاحظ في هذه السلسلة اسم واحد من أحفاد سام وهو يقطان ويطلق عليه بالعربية قحطان وهو أبو العرب الأصليين من خلال ابنه هدورام وهو بالعربية جرهام. هؤلاء هم من يطلق عليهم البعض " العرب العاربة ". وأولاد قحطان هم الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعيبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويله ويوباب.

يتضح مما سبق أن إبراهيم ليس من نسل جرهام (هدورام) على الإطلاق وإنما هو من نسل فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح.

هل كان إبراهيم رجل بناء؟

جاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين وهو أول أسفار العهد القديم ما يلي:

دعوة أبرام:

وقال الرب لأبرام: " أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب الى الأرض التي أريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة (لكثيرين). وأبارك مُباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض. فارتحل أبرام كما أمرهُ الربُّ، ورافقهُ لوط. وكان أبرام في الخامسة والسبعين من عمره عندما غادر حاران. وأخذ أبرام ساراي زوجته ولوطا ابن أخيه وكل ما جمعاهُ من مقتنيات وكل ما امتلكاهُ من نفوس في حاران، وانطلقوا جميعا الى أرض كنعان الى أن وصلوها.

فشرع أبرام يتنقل في الأرض الى أن بلغ موضع شكيم الى سهل مُورة. وكان الكنعانيون آنئذ يقطنون تلك الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال له: " سأعطي هذه الأرض لذريتك". فبنى أبرام هناك مذبحا للرب الذي ظهر له. وانتقل من هناك الى الجبل شرقي بيت إيل حيث نصب خيامهُ ما بين بيت إيل غربا وعاي شرقا وشيد هناك مذبحا للرب ودعا بآسمه.

نستنتج من هذه الآيات عدة أشياء:

أولا : إن الله وعد إبراهيم (أبرام) بإعطاء أرض كنعان لذريته.

ثانيا : إن إبراهيم كان يسكن الخيام ولم يبني لنفسه بيتنا.

ثالثا : إن إبراهيم بنى مذبحا للرب. والمذبح عبارة عن عدة حجارة متراصة لا يزيد إرتفاعها عن متر واحد وعليه توضع الذبيحة.

الإصحاح التالي مباشرة (إصحاح١٣) يحكي لنا عن أن إبراهيم بعد أن عاد من مصر أيضا نصب خياما وبنى مذبحا.

وغادر أبرام مصر وتوجه هو وزوجته ولوط وكل ما كان له، نحو منطقة النقب وكان أبرام يملك ثروة طائلة من المواشي والفضة والذهب. وظل ينقل في منطقة النقب متجها الى بيت إيل الى المكان الذي كان قد نصب فيه خيامه أولا بين بيت إيل وعاي. حيث كان قد شيد المذبح أولا، ودعا هناك أبرام باسم الرب.

(تكوين ١٣: ١-٤)

ولإثبات أن بناء المذبح لم يكن أمرا عسيرا نستشهد هنا بالمذبح الذي بناه إيليا النبي كما جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر ملوك الأول.

"عندئذ قال إيليا للشعب كله:" تقدموا إليَّ، فدنا جميع الشعب منه، فرمم مذبح الرب المنهدم، ثم أخذ اثني عشر حجرا حسب عدد أسباط إسرائيل، ذرية يعقوب الذي دعاه الله إسرائيل وبنى بهذه الحجارة مذبحا باسم الرب، وحفر حوله قناة تسع نحو كيلتين من الحب".

(١ ملوك ١٨: ٣١ -٣٢)

لقد احتاج إيليا الى ١٢ حجر لكي يبني مذبحا للرب.

شيخوخة إبراهيم:

" وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام وقد إنقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ."
(تكوين ١٨: ١١- ١٢)

موت إبراهيم:

جاء في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يلي عن موت إبراهيم:

وعاش إبراهيم مئة وخمسا وسبعين سنة. ثم مات بشيبة صالحة وانضم الى أسلافه. فدفنه أبناه إسحاق وإسماعيل في مغارة المكفيلة، في حقل عفرون بن صوحر الحِثِي مقابل ممرا وهو الحقل الذي اشتراهُ إبراهيم من الحثيين، وفيه دُفن إبراهيم وزوجته سارة. وبعد وفاة إبراهيم بارك الله إسحاق ابنه وأقام إسحاق عند بئر لحي رئي. (تكوين ٢٥:٧-١١)

نلاحظ هنا أن إسماعيل إشترك في دفن أبيه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي مقابل ممرا.

الحبل بإسماعيل:

بعد أن صارت هاجر حُبلى من إبراهيم صغرت سيدتها سارة في عينيها ولهذا أذلتها سارة فهربت. (تكوين ١٦).

ملاك الرب وهاجر:

فوجدها ملاك الرب بالقر من عين الماء في الطريق المُؤدية الى شُور. فقال:" يا هاجر جارية ساراي، من أين جئت؟ والى أين تذهبين؟". فأجابت:" إنني هاربة من وجه سيدتي ساراي". فقال لها ملاك الرب:" عُودي الى مولاتك وأخضعي لها". وقال لها ملاك الرب:" لأكثرن نسلك فلا يعودُ يُحصى". وأضاف ملاك الرب:" هُوذا أنت حامل وستلدين ابنا تدعينهُ إسماعيل (معناه: الله يسمع) لأن الرب قد سمع صوت شقائك.

(تكوين ١٦:٧-١١)

نلاحظ هنا أن ملاك الرب وجدها بالقرب من عين الماء في الطريق المؤدية الى شور. (سنتناول موقع شور بشيء من التفصيل بعد قليل).

طرد هاجر وإسماعيل:

ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبتهُ لإبراهيم يسخرُ من ابنها إسحاق، فقالت لإبراهيم:" اطرد هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحاق". فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه. فقال الله لهُ:" لا يسُوءُ في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك، واسمع لكلام سارة في كل ما تشيرُ به عليك أنهُ بإسحاق يُدعى لك نسل. وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضا لأنه من ذريتك".

فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزا وقربة ماء ودفعهما الى هاجر، ووضعهما على كتفيها، ثم صرفها مع الصبي. فهامت على وجهها في برية بئر سبع. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله، على بعد نحو مئة متر، لأنها قالت:" لا أشهد موت الصبي". فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت.

فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها:" ما الذي يزعجُك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيثُ هو مُلقى. قومي واحملي الصبي، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة". ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران، وبرع في رمي القوس. واتخذت له أمه زوجة من مصر. (تكوين ٢١:٩-٢١)

نلاحظ هنا عدة أشياء:

أولا : أن ملاك الرب وجد هاجر وإسماعيل في برية بئر سبع.

ثانيا : أن الله وعد بأن يجعل إسماعيل أمة عظيمة.

ثالثا : أن أمه إتخذت له زوجة من مصر وهذا ليس مستغربا لأن هاجر نفسها مصرية ولقرب فاران من مصر. (سوف نتناول موقع فاران بشيء من التفصيل بعد قليل).

ذرية إسماعيل:

وهذا سجل مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي أنجبته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم. وهذه أسماء أبناء إسماعيل مدونه حسب ترتيب ولادتهم: نبايُوت بكرُ إسماعيل، وقيدارُ وأدبئيل ومبسام، ومشماعُ ودُومه ومسا، وحدارُ وتيما وتطورُ ونافيش وقدمةُ. هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه هي أسماءهم حسب ديارهم وحُصُونهم، وقد صاروا اثني عشر رئيسا لإثنتي عشرة قبيلة. ومات إسماعيل وله من العمر مئة وسبع وثلاثون سنة، ولحق بقومه. أما ذريتهُ فقد انتشرت من حويلة الى شور المُتاخمة لمصر في اتجاه اشور، وكانت على عداء مع بقية إخوتها. (تكوين ٢٥:١٢-١٨)

نفهم من هذه الآيات أن ذرية إسماعيل كانت منتشرة من حويلة الى شور المتاخمة لمصر.

نوجه عنايتنا الآن الى موقع شور وفاران كما جاءا في أسفار العهد القديم ومنها يتضح أن برية شور هي الثلث الشمالي لشبة جزيرة سيناء وأن برية فاران هي الثلث الأوسط لشبة جزيرة سيناء كما هو واضح من الخريطة المرفقة.

لقد جاء ذكر شور وفاران عدة مرات في أسفار العهد القديم سوف نستشهد هنا بأجزاء متفرقة منه ثم نعلق عليها في النهاية.

فإنهم قد تأمروا معا بقلب واحد، وعقدوا حِلفا ضِدك. عشائر أدوم وبنو إسماعيل، نسل مُوآب وبنو هاجر. جبالُ وعمون وعماليق، الفلسطينيون وأهل صور، وقوم أشور أيضا انضموا إليهم، صاروا عونا لبني لوط. (مزمور ٨٣:٥-٧)

وانطلق داود ورجالهُ يشنون الغارات على الجشوريين والجرزين والعمالقة الذين استوطنوا من قديم الأرض الممتدة من حدود شور الى تخوم مصر. وهاجم داود سكان الأرض، فلم يستبق نفسا واحدة. واستولى على الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب، ثم رجع الى أخيش. (١صموئيل ٢٧:٨ - ٩)

لقد قال الرب إلهنا لنا في جبل حوريب: كفاكم المقام في هذا الجبل. تحولو وتقدموا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من وادي العربة والجبل والسهل والنقب وساحل بحر أرض الكنعانيين ولبنان، الى النهر الكبير نهر الفرات. انظروا فها أنا قد وهبتكم الأرض، فادخلوا وتملكوها لأني أقسمت أن أعطيها لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولنسلهم من بعدهم.

(تثنية ١:٦- ٨)

وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته، فقال:" أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق في جبل فاران، جاء محاطا بعشرات الألوف من الملائكة وعن يمينه يُومضُ برق عليهم. حقا إنك أنت الذي أحببت الشغب، وجميع القديسين في يدك، ساجدون عند قدميك يتلقون منك أقوالك .
(تثنية ٢٣:١-٣) .

ومات صموئيل، فأجتمع جميع بني إسرائيل وناحوا عليه ودفنوهُ في بيته في الرامة. فأنتقل داود الى صحراء فاران. (١صموئيل ٢٥:١)

وفي اليوم العشرين من الشهر الثاني (أي شهر نيسان/ابريل) من السنة الثانية (العبرية) ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة، فارتحل بنو إسرائيل في صحراء سيناء من مكان الى آخر الى أن استقرت السحابة في برية فاران. (عدد ١٠:١١-١٢)

واحتد غضب الرب عليهما، ثم مضي عنهما. فلما ارتفعت السحابة عن خيمة الإجتماع، إذا مريم برصاء كالثلج فالتفت هرون وموسى نحو مريم وإذا هي مصابة بالبرص.

التي ارتكبناها كالحمقى. وأسأنا فقال هرون لموسى:" أرجوك يا سيدي، لا تُحملنا الخطيئة بها إليك. ولا تجعل مريم كالجنين الميت الخارج من رحم أمه وقد تهرأ نصف لحمه، فصرخ موسى الى الرب قائلا:" واللهم أشفها" فأجابه الرب:" لو أن أباها بصق في وجهها، أما كانت تمكث خجلة سبعة أيام؟ فتحجز خارج المخيم سبعة أيام وبعد ذلك ترجع".
فحجزت مريم سبعة أيام خارج المخيم، ولم يرتحل الشعب حتى عادت مريم، وبعد ذلك ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا في صحراء فاران. (عدد ١٢:٩-١٦)

وبعد أربعين يوما رجعوا من استكشاف الأرض. فأقبلوا على موسى وهرون وسائر شعب إسرائيل في صحراء فاران في قادش، وبلغوهم بما شاهدواهُ وأروهم ثمر الأرض. وقالوا:" قد انطلقنا الى الأرض التي أرسلتنا إليها، فوجدناها تفيض حقا لبنا وعسلا، وهذه هي ثمارُها، غير أن الشعب المستوطن فيها بالغ القوة ومدنه منيعة وعظيمة جدا. كما شاهدنا هناك بني عناق، فالعمالقة مقيمون في أرض الجنوب، والجثيون واليبوسيون والأموريون متمنعون في الجبل، والكنعانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأردن.

(عدد ١٣:٢٥-٢٩)

وحدث في زمان أمرافل ملك شنعار وأربوك ملك ألاسار وكدرلعومر ملك علام وتدعال ملك جوييم أن حربا نشبت بينهم وبين بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة وشمئيبر ملك صبوييم وملِ بالع المعروفة بصوغر هؤلاء جميعهم احتشدوا في وادي السديم وهو بحر الملح (البحر الميت) وكان كدرلعومر قد استعبدها طوال اثنتي عشر سنة، وفي السنة الثالثة عشرة تمردوا عليه. وفي السنة الرابعة عشرة اجتمع كدرلعومر وحلفاؤهُ الملوك وقهروا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزبيين في هام والإيميين في سهل قريتايم والحوريين في جبلهم سعير حتى بُطمة فاوان على حدود الصحراء. ثم استداروا حتى أقبلوا على عين مشفاط التي هي قادش فهزموا بلاد العمالقة كلها والأموريين الساكنين في حصون تامار. (تكوين ١٤:١-٧)

هذه صلاة النبي حبقوق:" يا رب قد بلغني ما فعلت فخفت يارب، عملك في وسط السنين أحيهِ، وعرف به على مر الأيام، واذكر الرحمة في الغضب.

قد أقبل الله من أدُوم، وجاء القدوس من جبل فاران. غمر خلالهُ السماوات وامتلأت الأرضُ من تسبيحهِ. إن بهاءهُ كالنور، ومن يدهِ يُومِضُ شُعاعٌ، وهناك يحجُبُ قوتهُ. يتقدمُهُ وبأٌ، والموت يقتفي خُطاهُ. وقف وزلزل الأرض، تفرس فأرعب الأمم، اندكت الجبال الأبدية وانهارت التلالُ القديمة، أما مسالكُهُ فهي من الآزل. لقد رأتُ خِيام كوشان تنوءُ بالبلية وشُقق أخبية ديار مديان ترجُفُ رُعبا. (حبقوق ٣:١-٧)

وأثار الرب على سليمان هدد سليل النسل الملكي الأدومي، ففيما كان داود في أدوم، صعد يُواب رئيسُ الجيش لدفن القتلى، وقضى على كل ذكر في أدوم. إذ إن يُواب وكل جيشهِ أقاموا هناك ستة أشهر، أفنوا خلالها كل ذكر في أدوم، ولكن هدد وبعض رجال أبيهِ الأدوميين استطاعوا الهرب واللجوء الى مصر، وكان هدد أنئذ فتى صغيرا. وأقاموا في باديء الأمر في مديان، ثم انتقلوا الى فاران حيثُ انضم إليهم عدد أخر من الرجال، توجهوا جميعا الى فرعون مصر، فأعطى فرعون هدد بيتا وأرضا وطعاما. (١ملوك ١١:١٤- ١٨)

يتضح جليا مما سبق أن فاران كانت في طريق خروج شعب إسرائيل من مصر وذهابهم الى أرض فلسطين وكذلك أن شور كانت متاخمة لمصر في شمال سيناء.

من الآيات والخرائط ايضا يتضح أن المديانيين كانوا يعيشون في المنطقة المعروفة الأن بخليج إيلات.

والمديانيون قد تصاهروا مع الإسماعيليين وهم الذين اشتروا يوسف من إخوته كما نقرأ في الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين.

خلاصة هذا الفصل:

إبراهيم لم يكن رجل بناء.

الله وعد إبراهيم بأن يعطي أرض كنعان لذريته.

إبراهيم كان شيخا عندما بشره الملاك بمولد إسحق.

إبراهيم صرف هاجر وإسماعيل ولم يذهب معهما استجابة لقول الرب له.

الملاك وجد هاجر عند بئر سبع في فلسطين.
إسماعيل تزوج من مصرية وعاش في فاران بين فلسطين ومصر.

ذرية إسماعيل عاشت في نفس المنطقة وتصاهروا مع المديانيين.

إسماعيل إشترك في دفن أبيه إبراهيم في فلسطين.

نستنتج مما سبق أن إبراهيم لم يبني كعبة في مكة على الإطلاق وبالتالي فإن قصة بناء إبراهيم للكعبة لا تعدو أن تكون الا أسطورة من أساطير العرب.

كيف بنى إبراهيم وهو شيخ وليس رجل بناء كعبة في أرض لم يعده الله بأن يعطيها لنسله؟!

وكيف يبني إبراهيم بناءا مكعبا للرب مخالفا للمواصفات التي أعطاها الرب بعد ذلك لموسى في إصحاحي ٢٥و٢٦ من سفر التكوين؟.

لا عجب إذن أن يعترف عميد الأدب العربي بهذا في كتابه الأشهر " في الشعر الجاهلي".

في الشعر الجاهلي:

طـه حسين ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦.

جاء في صفحة ٢٨ـ٢٩:

فمن المعقول جدا أن تبحث هذه المدنية الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التي تتحدث عنها الأساطير. إذا فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب متشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس ابن بريام صاحب طروادة.

أمر هذه القصة إذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلها الإسلام لسبب ديني وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضا. إذن يستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى التي كانت تتعلمها العدنانية واللغة

التي كانت تتكلمها القحطانية في اليمن إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة. وإن فئة " العاربة" و " المستعربة " وتعلم إسماعيل العربية من جرهم كل ذلك أساطير لا خطر له ولا غناء فيه.

وجاء في صفحة ٨١:

وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم. ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم اعرضت عنه لما أضلها به المضلون وانصرفت الى عبادة الأوثان. ولم يحتفظ بدين إبراهيم إلا أفراد قليلون يظهرون من حين الى حين وهؤلاء الأفراد يتحدثون فنجد في أحاديثهم ما يشبه الإسلام. وتفسير هذا من الوجهة العلمية يسير أيضا فأحاديث هؤلاء الناس وضعت لهم وحملت عليهم حملا بعد الإسلام لا لشيء إلا ليثبت أن للإسلام في بلاد العرب قدمة وسابقة. وعلى هذا النحو تستطيع أن تحمل كل ما تجد من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التي تضاف الى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما في القرآن من الحديث شبه قوي أو ضعيف.

القصة الوهمية لذهاب ابراهيم الى مكة

صحيح البخارى ج٤ حديث ٥٨٣

حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختيانى وكثير بن كثير ابن المطلب بن أبى وداعة , يزيد أحدهما على الآخر , عن سعيد بن جبير : قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل , اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة . ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل **وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد** , وليس بها ماء فوضعهما هنالك . ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم , اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ ؟

فقالت له ذلك مرارا . وجعل لا يلتفت اليها فقالت له :ألله الذى أمرك بهذا ؟ قال: نعم, قالت: اذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه **استقبل بوجهه البيت** ثم دعى بهؤلاء الدعوات , رفع يديه فقال : ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير زرع –حتى بلغ- يشكرون –وجعلت أم اسماعيل **ترضع اسماعيل** وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنهاوجعلت تنظر اليه بتلوى , فانطلقت كراهية أن تنظر اليه , فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا, فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا , ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : فذلك سعى الناس بينهما . فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا , فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم **فبحث بعقبه أو قال بجناحه** حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا , وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن

عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أم اسماعيل لو تركت أو قال لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا , قال : فشربت **وأرضعت ولدها** فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فان هذا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه, وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله , فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا: ان هذا الطائر ليدور على ماء , فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء,فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا .قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء , قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبى صلى الله عليه وسلم : فألفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم

فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم , **وشب الغلام وتعلم العربية منهم** . وأنفسهم وأعجبهم حين شب , **فلما أدرك زوجوه امرأة منهم . وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم** بعد ما تزوج اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج ليبتغى لنا , ثم سألها عن عيشتهم وهيئتهم , فقالت : نحن بشر , نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه , فقال: فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له أن يغير عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال : هل جاءكم من أحدا؟ قالت : نعم جاء شيخ كذا وكذا , فسألنا عنك فأخبرته , وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة , قال : فهل أوصاك بشئ ؟ قالت : نعم, أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك . **قال : ذاك أبى** وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها وتزوج امرأة منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده , فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغى لنا, قال: كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ,فقالت نحن بخير وسعة , وأثنت على الله عز وجل . فقال : ما طعامكم؟ قالت : اللحم ,قال : فقال: ما شرابكم؟ قالت : الماء , قال: اللهم بارك لهم فى اللحم والماء.

قال النبى صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم حينئذ حب , ولو كان لهم دعا لهم فيه . قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه, قال : فاذا جاء زوجك فأقرئى عليه السلام , ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء اسماعيل , قال : هل أتاكم من أحد؟قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه , فسألنى عنك فأخبرته , فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير , قال: فأوصاك بشئ؟ قالت: نعم , هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبى وأنت العتبة, أمرنى أن أمسكك , ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم , فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . قال: يا اسماعيل أن الله أمرنى بأمر , قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال : وتعيننى؟ قال: وأعينك. قال: فان الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتا , وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها . قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت , فجعا اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .قال :

فجعلا يبنيان حتى يدوروا حول البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .

تعليقات على القصة الوهمية

١- الجزء الأول من الحديث منقول عن ابن عباس (وليس نبى الاسلام) . من اين له أن يعرف هذا ؟

٢- هذه القصة حدثت بعد ولادة اسحق . فى ذلك الوقت لم يكن اسماعيل رضيعا؟

القصة تقول انه كلن رضيعا !!!!

٣- ابراهيم استجاب لرغبة زوجته سارة بخصوص تخلية هاجر واسماعيل. ما الذى يدعو كهلا تجاوز المائة أن يسافر مئات الأميال لكى يتخلى عنهما؟!!

المنطقى هو أن يفعل هذا فى فلسطين وليس فى الحجاز.

٤- ابراهيم تحدث الى اسماعيل عن بناء (وليس اعادة بناء) البيت ولكن القصة تبدأ بأن البيت كان موجودا؟

٥- تقول القصة ان ابراهيم سافر مرتين من فلسطين الى مكة وفى كل مرة لا يجد اسماعيل

يعود الى فلسطين. رحلة كهذه لابد انها كانت شاقة على كهل مثل ابراهيم فيكون منطقيا أن ينتظره فى مكة حتى يعود . مؤلف القصة يصور الأمر كما لو أن ابراهيم قد انتقل من ضاحية الى أخرى فى نفس المدينة !!!!

الباب الثانى

القرآن ليس كتابا سماويا

كتاب غير معجز

كلمة "اعجاز" لا ترد فى القرآن ولا كلمة "معجزة" أيضا.
يقول أكثر أهل التأويل بأنه معجز للبشر أن يحاكوه فى البلاغة والبيان.
وصاحب القرآن نفسه تحدى أهل قريش بأن يأتوا بسورة من مثله ثم بعشر سور من مثله ثم بمثله على وجه العموم. وها هى آيات التحدى :

"وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين , فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين"
البقرة ٢٣ ـ ٢٤ .
"أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " يونس ٣٨ .
"أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وأدعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين" هود ١٣ .
"قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله , ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " الاسراء ٨٨ .
" أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون , فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين" الطور ٢٣ـ ٢٤

على مدى أربعة عشر قرنا ونيف تم ايهام وخداع عموم المسلمين بأن أصحاب المعلقات من شعراء قريش عجزوا عن أن يأتوا بمثل الآيات والسور الآتية .وفى الحقيقة ان أى تلميذ فى المرحلة الاعدادية لا يصعب عليه مطلقا أن يأتى بمثلها ,

أقرأها بنفسك وأعمل عقلك .

والصافات صفا.

فالزاجرات زجرا.

فالتاليات ذكرا .   (سورة الصافات)

والزاريات ذروا

فالحملات وقرا

فالجاريات يسرا

فالمقسمات أمرا . (سورة الزاريات)

والمرسلات عرفا

فالعاصفات عصفا

والناشرات نشرا (سورة المرسلات)

والعاديات ضبحا

فالموريات قدحا

فالمغيرات صبحا (سورة العاديات)

القارعة

ما القارعة

وما أدراك ما القارعة (سورة القارعة)

قل أعوذ برب الناس

ملك الناس

اله الناس

من شر الوسواس الخناس

الذى يوسوس فى صدور الناس

من الجنة والناس (سورة الناس)

قل يا أيها الكافرون

لا أعبد ما تعبدون

ولا أنتم عابدون ما أعبد

ولا أنا عابد ما عبدتم

ولا أنتم عابدون ما أعبد

لكم دينكم ولى دين (سورة الكافرون)

لايلاف قريش

ايلافهم رحلة الشتاء والصيف

فليعبدوا رب هذا البيت

الذى أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف . (سورة قريش)

اذا جاء نصر الله والفتح

ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا

فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا .(سورة النصر)

انا أعطيناك الكوثر

فصل لربك وأنحر

ان شانئك هو الأبتر (سورة الكوثر)

والعصر

ان الانسان لفى خسر
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (سورة العصر) .

كتاب يمكن للبشر أن يأتوا بمثله

١ ـ **سورة الكون** (من تأليف العبد لله):

قل أعوذ برب الكون
ملك الكون
إله الكون
من شر كل فرعون
يفسد في الكون
على كل شكل ولون

٢- **سورتي الخلع والحفد** اللتان كانتا يقنت بهما ابن مسعود كما جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطى .

سورة الخلع:

اللهم إنا نستعينك وتستغفرك
ونثني عليك ولا نكفرك
ونخلع ونترم من يفجرك

سورة الحفد:

إللهم إياك نعبد
ولك نصلي ونسجد
وإليك نسعى ونحفد
نرجو رحمتك ونخشى عذابك
إن عذابك الكفار ملحق

أبو العلاء المعري يحاكي القرآن:

كتاب الفصول والغايات:

أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى ضبطه وفسر غريبه محمود حسن زناتي ـ الجزء الأول ـ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

فيما يلي أجزاء قليلة من كتاب الفصول والغايات للشاعر الضرير أبي العلاء المعري تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الأمر لا يحتاج الى أن يجتمع الإنس والجن ولا شيء من هذا القبيل.

جاء في صفحة ٣١٣: المُلك لله راعي الغافلين الجبار القديم، سند أهل الخيف شرواك نفقد وتقواك نستجير. أعطنا الأمان المستبين أمان الكريم. (لاحظ الشبه بسورة الفاتحة) أفضلت فزدنا، لا يخفى عنك خفي لدى الغارين. ينبغي لمن يرث، أن يحترث، وإلا في التراث، وخزائن الله لا تنفد وفيها الأرزاق. قد أخذت في كل الأنحاء، فرأيت مرض الأصحاء، أروح من سؤال الأشحاء. أيها المستجير من لك بالنصحاء! لعل الخرس أفضل من الفصحاء. وجاء في صفحة ٢٣٤: الأشياء سواك بائدة، لا تخلد على الأرض خالدة، وهي من عظمتك مائدة، تحيد عن قدرك الحائدة، والأمور إليك عائدة سبحتك الأصلية والزائدة.

وجاء في صفحة ٤٠٠: إن الله هو الملك لا يهلك ولكن يهلك والفلك بعض ما يملك والطرق الى طاعتك تنسلك فخاب من يشرك ما أخذ وما أترك.

٤- أشعار العرب في الجاهلية

زيد بن عمرو بن نفيل:

أسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوت ... على الماء ارسى عليها الجبالا

وأسلمت لمن أسلمت له ... المزن تحمل عذبا زلالا

ويقول أيضا:

فلا العـزى أديـن ولا ابنتيها ... ولا صنمــي بنــي طســم أدير

أربا واحدا أم ألف رب ... أدين اذا تقسمت الأمور

ولكن أعبد الرحمن ربى ... ليغفر ذنبى الرب الغفور

فتقوى الله ربكم احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا

أمية بن ابى الصلت:

اله العالمين وكل أرض ... ورب الراسيات من الجبال

بناها وابتنى سبعا شدادا ... بلا عمد يرين ولا رجال

وسواها وزينها بنور ... من الشمس المضيئة والهلال

رؤبة بن العجاج :

ومسهم ما مس أصحاب الفيل ... ترميهم حجارة من سجيل

ولعبت طير بهم ابابيل

الحصين بن حمام :

وخفت الموازين بالكافرين ... وزلزلت الأرض زلزالها

ونادى مناد بأهل القبور فهبوا لتبرز أثقالها

امرؤ القيس

تلك السحاب اذا الرحمان ارسلها روى بها من محول الأرض ايباسا

تلك الموازين والرحمن انزلها رب البرية بين الناس مقياسا

قس بن ساعدة :

اسمعوا وعوا ** إن من عاش مات ** ومن مات فات ** وكل ما هو آت آت ** ليل داج ** ونهار ساج ** وسماء ذات أبراج ** إن في الأرض لعبرا ** وإن في السماء لخبرا ** أقسم قسما حتما ** لئن كان في الآرض رضا ليكونن بعد سخطا ** بل إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم ** بل هو المعبود الواحد ** ليس بمولود ولا والد ** أعاد وأبدي ** وإليه المآب غدا

٥ ـ ليس في كتب التراث الإسلامي ما يثبت أن أحدا من الصحابة آمن بالإسلام بسبب ما يسمى بإعجاز القرآن.

ونحن لو أردنا أن نستعرض إيمان المسلمين في عهد محمد ونستشف ما فيه من ألوان مختلفة لجاز أن نقول مستندين على كتب السير: إن الإيمان بمحمد وما جاء به كان يقع على وجوه شتى، بألوان مختلفة، فمنه: ما هو إيمان عقلي علمي يستند في وقوعه الى العقل والعلم بما وراءه من غاية مطلوبة كإيمان أبي بكر الصديق، ولا نظن أن لأبي بكر ثانيا في إيمانه هذا.

ومنه: إيمان تبعي كإيمان خديجة زوج محمد وبناته وكإيمان علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة الذي وهبته خديجة لمحمد فأعتقه وتبناه في صغره. فهؤلاء كلهم يعيشون في بيت واحد تحت زعامة محمد ورئاسته، فهو رئيسهم وهو زعيمهم القائم بأمرهم، فكلهم بحكم العادة تبع لمحمد يسمعون قوله ويأتمرون بأمره. فمن المستبعد أن يخالفوه، وكذلك علي بن أبي طالب فإنه أخذه محمد من أبيه يعوله عنده لأن أبا طالب كان كثير العيال مع قلة ذات يده، فأخذ محمد عليا وأخذ العباس جعفرا يعولانهما عندهما تخفيفا عن أبي طالب (١٦). ولما تنبأ محمد كان علي عنده في بيته مع عياله وكان في الثامنة من العمر. فغلام مثل هذا في الثامنة من عمره خالي الذهن، غير بالغ الرشد لا يكون عادة إلا تابعا للرئيس الذي هو في بيته يعيش بعيالته، ولا يكون إلا تبعا له في جميع الأمور. فإيمان علي بمحمد إيمان تبعي، ويجوز أن عليا تطور بعد ذلك فارتقى في إيمانه الى ما هو أعلى من ذلك ولكنه عند وقوعه لم يكن إلا تبعيا.

ومنه إيمان إقناعي كإيمان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله التيمي ممن أسلموا بدعاية أبي بكر، لأنه كما قلنا آنفا بعد إيمانه كان أكبر داعية يدعو الناس الى الإسلام فأسلم بدعايته هؤلاء وغيرهم. وإنما سميناه إيمانا إقناعيا لأنه حصل بدعاية أبي بكر فإنه هو الذي أقنعهم إليه (١٧). ويجوز أيضا أن يكون هؤلاء قد تطوروا بعد ذلك في إيمانهم فإرتقوا فيه الى ما هو أعلى ولكنه عند وقوعه كان إقناعيا. ومنه إيمان حميوي، نسبة الى الحمية بمعنى الأنفة والنخوة، كإيمان حمزة عم النبي، وذلك أن حمزة رجع يوما من قنصه متنكبا قوسه، فأخبرته مولاة عبد الله بن جدعان وقال له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم تعني أبا جهل، فإنه قبل هنيهة شتم محمدا وآذاه ونال منه ما يكره. وفي رواية: أنه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه، فقال لها حمزة: أنت رأيت هذا الذي تقولين؟ قالت: نعم، فإحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه، ورفع القوس وضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك عليّ إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم ليضربوا أبا جهل، فقالو: ما نراك إلا صبأت، فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله وأن الذي يقوله حق، والله لا أنزع، فإمنعوني إن كنتم صادقين. فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله لقد أسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا (١٨).

ثم إن حمزة بعدما فارقهم ندم على ما قال، وصار يقول في نفسه لما رجع الى بيته: أنت سيد قريش. اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك، الموت خير لك مما صنعت. فبات ليلة لم يبت بمثلها، ولما أصبح غدا الى رسول الله فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه. وذكر له ما جرى له مع أبي جهل وما قاله للقوم. فأقبل عليه رسول الله يذكره ويعظه حتى قال له حمزة: إنك لصادق فأظهر يا ابن أخي دينك. فسبب إسلام حمزة هو أنه أخذته الحمية في أول الأمر لإبن أخيه ثم استمر على الإسلام بعد ذلك (١٩). ومنه إيمان فطري كإيمان أبي ذر الغفاري فإنه كان من المتألهين قبل أن تبلغه نبوة محمد، وكان يتعبد ويصلي لله متجها في صلاته الى أي جهة اتفق اتجاهه إليها. ولما بلغه خبر البعثة ذهب الى مكة وآمن بمحمد قبل أن يكلمه محمد بشيء، وبايعه على أن يقول الحق ولو كان مرا. فهو من المتألهين فطرة، ولذا قلنا بأن إيمانه فطري (٢٠).

ومنه إيمان انتفاعي كإيمان حبيب بن يساف الذي خرج مع المسلمين في غزوة بدر وهو غير مسلم ثم أسلم رغبة في الغنيمة وقد تقدم خبره آنفا. ومنه إيمان منامي كإيمان خالد بن سعيد بن العاص فقد ذكروا أنه رأى في منامه رؤيا هالته وأفزعته فقام من نومه مرعوبا فذهب الى أبي بكر لأنه كان عندهم يحسن تعبير الرؤيا، فذكر له ما رأى، فقال له أبو بكر أريد بك خير، ويحك هذا رسول الله فاتبعه فأتى رسول الله فأسلم (٢١)، فإيمانه منامي.

ومنه إيمان نكاحي كما ورد في قصة أم سليم مع أبي سليم، وذلك أنه خطبها وهو كافر وهي مسلمة، فقالت والله ما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا مسلمة ولا يحل أن أتزوجك، فإن تسلم فهذا مهرك ولا أسألك غيره (٢٢)، فأسلم فكان إسلامه مهرها، كما أخرجه النسائي وصححه عن ابن عباس، فإسلام أبي سليم نكاحي.

ومنه إيمان قهري، كإيمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط فإنه كان موتورا بالإسلام لأن محمدا قتل أباه عقبة في طريقه الى المدينة عند مرجعه من بدر، وكان عقبة في الأسرى، ولم يسلم ابنه إلا بعد ما كانت للإسلام سطوة قاهرة لا ملجأ له منها إلا إليها. والوليد هذا هو الذي ولاه عثمان الكوفة فصلى بالناس صلاة الصبح أربعا وهو سكران، ولما سلم التفت إليهم وقال أتريدون أن أزيدكم، فبلغ ذلك عثمان فعزله (٢٣). فإيمانه قهري ومن هذا القبيل إيمان الذين دخلوا في دين الله أفواجا بعد فتح مكة إذ لم يبق لهم ملجأ من الإسلام إلا إليه.

ومنه إيمان جنائي، كإيمان المغيرة بن شعبة؟ فقد ذكروا أنه قتل عشر رجلا من بني مالك من ثقيف، وكان قد رافقهم وهم وافدون على المقوقس صاحب مصر بهدايا. فأنزلهم وأكرم مثواهم ولما دخلوا عليه ومعهم المغيرة سألهم عنه المقوقس فقالوا: ليس منا هو من الأحلاف، فكان المغيرة أهون القوم على المقوقس، ثم أكرمهم وانصرفوا راجعين. فلما نزلوا منزلا في طريقهم، أخذوا يشربون الخمر، وصار المغيرة يخدمهم ويستقيهم، ولم يشرب هو متعذرا بأن في رأسه صداعا، وصار يكثر لهم بغير مزج حتى همدوا، فقتلهم جميعا، وأخذ ما معهم من الأموال وأتى النبي محمدا في المدينة وأسلم، وقدم الأموال التي معه كغنيمة حربية ليخمسها النبي (٢٤). ولكن النبي قبل إسلامه ولم يقبل الأموال وقال له لا آخذ من أموالهم شيئا فإنه غدر والغدر لا خير فيه. ولا شك أن المغيرة بعد ارتكابه هذه الجناية المنكرة لا يستطيع الرجوع الى قومه فلا نجاة له منها إلا بالإسلام، فإيمانه جنائي كما قلنا.

ومنه إيمان بلاهي نسبة الى البلاهة، كإيمان سودة بنت زمعة، إحدى أزواج النبي، فقد ذكروا أن النبي دفع إليها أسيرا يكون عندها في بيتها الى أن ينظر في أمره، فأخذ الأسير يئن بالليل فقالت له سودة: ما لك تئن؟ فشكا إليها ألم القيد، فقامت وأرخت من كتافه، فلما نامت، أخرج الأسير يده وهرب. فلما أصبح النبي دعا بالأسير فأعلم بشأنه، فغضب على سودة وقال: اللهم اقطع يديها. فأخبرت سودة بما قال النبي فرفعت يديها ومدتهما الى السماء تتوقع الإجابة وتنتظر أن يقطع الله يديها، وبقيت على هذه الحالة رافعة يديها. فبلغ ذلك النبي فقال: إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر، قولوا لسودة فلترد يديها (٢٥). وعند ذلك ردت سودة يديها وأنزل محمد آية تتضمن شيئا من لوم نفسه على استعماله بالدعاء على سودة: { ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا } (٢٦). ولا شك أن رفعها يديها الى السماء تنتظر من الله أن يقطعهما يدل على أن إيمانها راسخ في بلاهة، فلذا قلنا إن إيمانها بلاهي.

ولا تنسى الإيمان الكيدي، كإيمان عبد الله بن سلام وإخوانه من اليهود الذين أسلموا، فإنهم إنما أسلموا ليكيدوا لأهل الإسلام المكايد، ومكايدهم لأهل الإسلام مذكورة في كتب التاريخ فلا حاجة الى ذكر شيء منها هنا.

لقد ذكرنا ألوانا مختلفة للإيمان الذي كان يقع في عهد محمد ولم نستقص الألوان كلها منا إنا لم نذكر من كل لون إلا ما يخص شخصا واحدا، لأن أكثر من ذلك يستلزم التطويل ونحن نحاول الإختصار. ولا ريب أن لكل واحد ممن ذكرنا نظراء في إيمانه إلا أبا بكر فإنه في إيمانه منقطع النظير. ولو أردت أن أستثني هنا لقلت: خلا العباس فإنه وإن كان إيمانه

يقصر عن إيمان أبي بكر من بعض الوجوه إلا أنه من نوعه ومن لونه، لأن العباس كأبي بكر كان موضع أسرار محمد قبل النبوة وبعدها.

بقي هنا لون واحد من ألوان الإيمان نجعله خاتمة في هذا الموضوع وهو الإيمان التقليدي الذي يمثله من القرآن قوله: { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} (٢٧).
والإيمان التقليدي لم يقع في عهد محمد، وإنما وقع في الجيل الثاني أي في التابعين الذي نشأوا بعد انقضاء الجيل الأول، واستمر راسخا في القلوب مستحكما في النفوس الى يومنا هذا، ومما لا مرية فيه أن الإيمان التقليدي يكون أقوى وأرسخ من الإيمان المنبعث عن أسباب غير التقليد. فإن الإرتداد عنه في هذا أسهل وأسرع منه في ذاك، ولولا قوة الإيمان التقليدي لما لقي محمد من قومه كل تلك المقاومة والعداوة وهو يدعوهم الى عبادة الله خالق الكائنات الأعظم، ونبذ الأصنام التي هي حجارة ينحتونها بأيديهم ثم يعبدونها كفعلهم مع الملوك. فإن بين الملوك والأصنام مشابهة قوية ولذا قلت:

النـاس تنحتــها والنـاس تعبـدهـــا   إن الملـوك كـالأصنـــام مــاثـلــة

وأهل المذاهب والأديان كلهم سواسية في الإيمان التقليدي، فالمسلم مسلم لأنه نشأ من أبوين مسلمين، وكذا المسيحي واليهودي والصابئ والمجوسي وغيرهم من أهل الملل والنحل، كما قال المعري:

يعلمـــه التــــديــن أقــربــــــوه   مــا دان الفتــى بحـجــي ولكـــن
علــى مـا كـــان عـــوده أبـــــوه   وينشـــأ نــاشـئ الفتيـان منــــا

فالحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها والتي لا يمتري فيها إنسان ولا ينتطح فيها عنزان هي أن الدعوة الإسلامية قامت بالسيوف المرهفات لا بمعجزة القرآن ولا بغيرها من
المعجزات. وأكبر دليل على ذلك ارتداد العرب عن الإسلام بعد وفاة محمد. ولولا عزم أبي بكر وهمة خالد بن الوليد في قتال أهل الردة وإرجاعهم قهرا الى الإسلام لكنا اليوم نقرأ خبر الدعوة الإسلامية في كتب التاريخ كخبر من أخبار الماضين. ولله در أبي العلاء إذ قال:

وقـالـوا صــدقنــا فقلنـــا   جـــلوا صـارمــا وتـلوا باطــلا

الهوامش

٢ ـ سورة الإتقان، ٣٥,/١
١ ـ سورة البقرة، الآية: ٩٨,
٤ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٤٠,
٣ ـ سورة النور، الآية: ١٢؛ سورة الإتقان، ٣٥/١
٦ ـ سورة الإتقان، ٣٥,/١
٥ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٤٤,
٧ ـ سورة الأنعام، الآية:٣٥؛ سورة الأنفال، الآية:٣١؛ سورة المؤمنون، الآية: ٨٣؛ سورة النحل، الآية: ٢٧,
٩ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٢,
٨ ـ سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
١١ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٤,
١٠ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٣,
١٣ ـ السيرة الحلبية، ٩٠,/٣
١٢ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٤,
١٥ ـ سورة الإسراء، الآية: ٨٨,
١٤ ـ سورة يونس، الآية: ٣٨,
١٦ ـ سيرة ابن هشام، ٢٤٦/١ ؛ السيرة الحلبية، ٢٦٨,/١
١٧ ـ سيرة دحلان، ١٨١/١ ـ ١٨٢؛ السيرة الحلبية، ٢٧٦,/١
١٨ ـ السيرة الحلبية، ٢٩٦/١ ـ ٥٩٧؛ سيرة ابن هشام، ٢٩١/١ ـ ٢٩٢,
١٩ ـ السيرة الحلبية، ٢٩٦/١ ـ ٢٩٧؛ سيرة ابن هشام، ٢٩١/١ ـ ٢٩٢,
٢١ ـ سنن النسائي، كتاب النكاح ، الحديث رقم: ٣٢٨٩,
٢٠ ـ السيرة الحلبية، ٢٨٠/١ ـ ٢٨١.
٢٣ ـ السيرة الحلبية، ٢٨٣,/٢
٢٢ ـ السيرة الحلبية، ٢٨٢,/٢
٢٥ ـ سيرة ابن هشام، ١٤٥,/٢
٢٤ ـ السيرة الحلبية، ٦٥,/٢
٢٧ ـ سورة الزخرف، الآية: ٢٣.
٢٦ ـ سورة الإسراء، الآية: ١١.

كتاب أتى الصحابة بمثله

ذكرنا سابقا الآيات تحدى بها إله القرآن أهل مكة. ومع أن ترتيب سور القرآن مشوش ومختلف عليه إلا أنه ـ وبحسب عادة محمد ـ ربما يكون من المعقول أن نقول أن التحدي كان متدرجا فكان أولا بسورة ثم بعشر سور ثم أخيرا بالقرآن كله.

المدهش هنا هو أن بعض الصحابة بل والكفار أتوا بآيات وجدت طريقها الى القرآن .

ففي الإتقان قال: وأخرج مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليل أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال له: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: { من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين } (١)، قال: فنزلت هذه الآية بعد ذلك كما قالها عمر (٢). قال: وأخرج سنيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة (أي في الإفك) قال: { سبحانك هذا بهتان عظيم } (٣)، فنزلت كذلك، قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر في أحد، خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت إمرأة: ما فعل رسول الله؟ قال: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده شهداء (تعني قتلى أحد)، فنزل القرآن على ما قالت: { ويتخذ منكم شهداء } (٤)، وفي الإتقان أيضا: قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الواقدي: حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري، عن أبيه قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم } (٥)، فقطعت يده اليسرى، فحنى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد ألا رسول الخ ... ثم قتل فسقط اللواء. قال: وما كانت هذه الآية نازلة يومئذ ثم نزلت بعد ذلك (٦). فهؤلاء مسلمون من أصحاب رسول الله قد أتى كل منهم بحديث لم يكن قرآنا، ثم نزل به القرآن فصار قرآنا. وقد وقع مثل ذلك لبعض الكفار أيضا، فقد ذكروا عن النضر بن الحارث أنه كان إذا جلس رسول الله مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من نقمو الله يخلفه في مجلسه، ويقول لقريش: هلموا فإني والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس. قال صاحب السيرة الحلبية: ولما تلا (أي النبي) عليهم نبأ الأولين، قال النضر بن الحارث: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا { إن هذا إلا أساطير الأولين } (٧). وهذا الكلام حكاه بعد ذلك القرآن فصار آية قرآنية. قال صاحب السيرة الحلبية: وعند ذلك أنزل الله تكذيبا له (أي للنضر): { قل لئن اجتمعت الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم ظهيرا } (٨). ففي هذه الآية لم يتحدهم بحديث أو بسورة أو بعشر سور بل بمثل القرآن كله.

ومن هذا القبيل ما قاله عبد الله بن أبي سرح فكان سببا لإرتداده على الأصح. وذلك أن عبد الله هذا أسلم وكان يكتب الوحي لرسول الله، فإتفق يوما أن كان رسول الله يملي عليه آية نزلت، فأملى عليه: { لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} (٩) فكتبها، ثم أملى : { ثم جعلناه نطفة في قرار مكين } (١٠) فكتبها، ثم أملى: { ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم إنشأناه خلقا آخر } (١١)، فلما كتب ذلك عبد الله تعجب من تفصيل خلق الإنسان، فقال: { فتبارك الله أحسن الخالقين } (١٢)، فقال

له رسول الله: أكتب ذلك، هكذا نزلت، فوقع من ذلك في نفس عبد الله ريب، فقال: إن كان محمد يوحي إليه فأنا يوحى إليَّ، فإرتد عن الإسلام ولحق بمكة وصار يقول لقريش: إني كنت أصرف محمد كيف شئت، كان يملي علي عزيز حكيم، فأقول: أو عليم حكيم، فيقول: نعم كل صواب، وكل ما أقوله يقول: أكتب هكذا نزلت (١٣). فمن هذه يظهر أن الإتيان بآية أو آيتين مثل القرآن أمر سهل قد يتفق لكل أحد أن يأتي به، فتحديهم بأن يأتوا بحديث مثله غير صحيح ولا مأمون فيه سوء العاقبة. فلذا عدل عنه محمد متدرجا في التحدي الى ما هو أعلى من ذلك، فجاء بالآية الثانية: { قل فأتوا بسورة من مثله} (١٤). ولم يقف عند هذا الحد حتى جعلها عشر سور، ثم ارتقى الى ما يقتضيه التحدي الصحيح الذي يتعذر أو يستحيل عادة أن يجيبه إليه أحد، وهو تحديهم بأن يأتوا بمثل القرآن من دون قيد بحديث أو سورة كما قال في الآية الأخرى: { قل لئن اجتمعت الإنس والجن } (١٥). (عن كتاب الشخصية المحمدية " لمعروف الرصافي) هذا الكلام يؤكده الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الشهير " الإتقان في علوم القرآن " والذي ننقل عنه هنا النوع العاشر:

{ النوع العاشر فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة }

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر وقد أفردها بالتصنيف جماعة وأخرج الترمزي عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال ابن عمرو ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ألا نزل القرآن على نحو ما قال عمر. وأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.
وأخرج البخاري وغيره عن أنس قال: قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله أن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله (ص) نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه أن طلقكن أن يبد له أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك. وأخرج مسلم عن ابن عمر عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسرى بدر وفي مقام إبراهيم. وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس قال قال عمر وافقت ربي أو وافقني ربي في اربع نزلت هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين.
وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال أن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال عمر من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين قال نزلت على لسان عمر. وأخرج سيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك وأخرج ابن أخي ميمي في فوائده عن سعيد بن المسيب قال كان رجلان من أصحاب النبي (ص) إذا سمعا شيئا من ذلك قالا سبحانك هذا بهتان عظيم زيد بن حارثه وأبو أيوب فنزلت كذلك. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال لما أبطأ على النساء الخبر في أحد خرجن يستخبرن فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة ما فعل رسول الله (ص) قال خي قالت فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء فنزل القرآن على ما قالت ويتخذ منكم شهداء. وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا الواقدي حدثني إبراهيم بن محمد ابن شرحبيل العبدري عن أبيه قال حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم عل أعقابكم ثم

قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد إلا رسول الآية ثم قتل فسقط اللواء قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية وما محمد إلا رسول يومئذ حتى نزلت بعد ذلك وتذنيب يقرب من هذا ما ورد في القرآن على لسان غير الله كالنبي عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرح بإضافته إليهم ولا محكي بالقول كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآية فإن هذا وارد على لسانه (ص) لقوله آخرها وما أنا عليكم بحفيظ وقوله أفغير الله ابتغى حكما الآية فإنه وارد أيضا على لسانه وقوله وما ننزل إلا بأمر ربك الآية وارد على لسان جبريل وقوله وما منا إلا له مقام معلوم وأنا لنحن الصافون وأنا لنحن المسبحون وارد على لسان الملائكة وكذا الآيتان الأولتان يصح أن يقدر فيهما قل بخلاف الثالثة والرابعة.

الهوامــش

---

١ - سورة البقرة، الآية: ٩٨,

٢ - سورة الإتقان، ٣٥,/١

٣ - سورة النور، الآية: ١٢؛ سورة الإتقان، ٣٥,/١

٤ - سورة آل عمران، الآية: ١٤٠,

٥ - سورة آل عمران، الآية: ١٤٤,

٦ - سورة الإتقان، ٣٥,/١

٧ - سورة الأنعام، الآية: ٣٥؛ سورة الأنفال، الآية: ٣١؛ سورة المؤمنون، الآية: ٨٣؛ سورة النحل، الآية: ٢٧,

٨ - سورة الإسراء، الآية: ٨٨

٩ - سورة المؤمنون، الآية: ١٢,

١٠ - سورة المؤمنون، الآية: ١٣,

١١ - سورة المؤمنون، الآية: ١٤,

١٢ - سورة المؤمنون، الآية: ١٤,

١٣ - السيرة الحلبية، ٩٠,/٣

١٤ - سورة يونس، الآية: ٣٨,

١٥ - سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

حقيقة التحدى القرآنى

التحدى القرآنى لأهل قريش لم يكن تحديا بلاغيا أو بيانيا كما يدلس مشايخ المسلمين. فأصحاب المعلقات من شعراء الجاهلية كانوا قادرين قطعا على الاتيان بمثل قصار السورالمكية كما أثبتنا.

التحدى كان واضحا أنه تحدى قصصى ولهذا قال أهل قريش لنبى الاسلام:

" لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين" الأنفال ٣١ .

القصص القرآنى عن ذو القرنين وأهل الكهف وموسى والخضر وهامان وصديقات امرأة العزيز وحديث النمل والهدهد لم يكن عند قريش يختلف عن اساطير الأولين.

مرة أخرى , السيرة النبوية لابن هشام تفضح ذلك. فقد جاء فيها ما يلى :

(ما كان يؤذى به النضر بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش , وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم , وينصب له العداوة , وكان قد قدم الحيرة , وتعلم فيها أحاديث ملوك الفرس , وأحاديث رستم واسبنديار , فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله , وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله , خلفه فى مجلسه اذا قام , ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه , فهلم الى , فأنا أحدثكم أحسن من حديثه , ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار , ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى ؟ .

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن اسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول , فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : " اذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين". وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

اذا السيرة النبوية ايضا تؤكد التحدى القصصى .

مروجوا الاعجاز البلاغى للقرآن يمارون ايضا فى تدليسهم بنفى أى علاقة لنبى الاسلام بالشعر ولكن ابن كثير يفضح غيهم فى كتابه "مختصر السيرة "ص ١٧٢ :

" ولم يكن السجع غريبا على محمد فقد قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر , حدثنا عوف عن زرارة عن عبدالله بن سلام , قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس , فكنت فيمن انجفل , فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب , فكان أول شئ سمعته يقول : " أفشوا السلام , وأطعموا الطعام , وصلوا بالليل والناس نيام , تدخلوا الجنة بسلام ".

كتاب يحوى أساطير

فى كتابه الرائع " الفن القصصى فى القرآن" يتناول الاستاذ محمد أحمد خلف الله هذه الحقيقة باسهاب فى أحد فصول الكتاب فيقول :

يختلف الوضع فى القصص القرآنى عنه في القصة التاريخية من حيث المواد الأدبية ومن حيث تناولها.

أما من حيث المواد فيرجع الإختلاف الى أن المواد الأدبية في القصة التاريخية كانت أحداثا واقعية تناولها القرآن ورتبها ترتيبا يحقق الغرض المراد في القصة القرآنية والى أن المواد في القصة التمثيلية كانت أحداثا لا نعرف لها هذه الصفة من التاريخية والواقعية ومن هنا استطعنا أن نسميها في عرفنا البشري أحداثا مفروضية أو متخيلة وقد تناول القرآن هذا اللون من الأحداث وعرضه العرض الذي تتحقق به الأغراض المرادة من القص.

أما في القصة الأسطورية فالمواد الأدبية قصة بأكملها ومن هنا يكون الصنيع البياني مخالفا بعض الشيء له في اللون الأول من ألوان القصص القرآني.

وأما من حيث معالجة القصة الأسطورية فلن نستطيع أن نسلك السبيل التى سلكناها هناك فنبدأ بعرض بعض القصص لنلحظ الظواهر الأدبية ثم نسجلها ونفسرها كما فعلنا هناك. والأمر في ذلك واضح فالقدماء من المسلمين يجمعون على وجود القصة التاريخية في القرآن مهما يكن الرأي في طريقة تناولها ونحن متفقون معها كل الإتفاق على هذا القدر وغاية الأمر أنا نقول إن عرض القصة التاريخية للأحداث والأشخاص إنما هو العرض الأدبي البلاغي أي الفني. وبعض القدماء من المفسرين يقول بوجود القصة التمثيلية أو غير الواقعية وعلى حد قول بعضهم الفرضية. ومن كل ما تقدم صلح في اللونين السابقية أن نبدأ بعرض قصص إنتهينا منه الى المراد.

أما هنا فلم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها في القرآن ولو الى حد ما.

نعم نحن لا ننكر أن بعض المفسرين من أصحاب اللمحات قد فتح الباب وأجاز القول بوجود القصة الأسطورية وأصل لذلك أصولا مهمة لهذه الفكرة مثل تقريره أن هناك جسما للقصة أو هيكلا للحكاية وأن هناك أمورا أخرى. والجسم أو الهيكل غير مقصود أما المقصود حقا فهو ما في القصة من توجيهات دينية أو خلقية وهو ما ذهب إليه الأقدمون كالإمام الرازي وهو ما قرره الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في صراحة ووضوح حين تحدث عن التعبيرات البيانية وأنها قد تقوم على شيئ من الخرافات الوثنية. وهذه هي أقوال هذين العالمين.

جاء في الرازي عند تفسيره لقوله تعالى **{ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله }** (١) من سورة يونس ما يلي:" الأول أنهم كلما سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس

في هذه الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها. (٢)

فنحن نلحظ أن الرازي هنا يفرق بين شيئين" الأول هيكل القصة أو جسم الحكاية. الثاني ما في القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف

والرازى يلحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذي أدخل الشبهة على عقول المشركين حين ظنوا أنه المقصود من القصص ومن أجل هذا ذهبوا الى ما ذهبوا اليه من أن القرآن أساطير الأولين.

والرازي يقرر أن المقصود أمور أخرى مغايرة لهذا الجسم من القصة.

وجاء في المنار من حديث عند تفسيره لقصة هاروت وماروت من سورة البقرة ما يلي " قال الأستاذ الإمام ما مثاله: بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والإعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الإعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والإعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز مواطن الهداية ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على إستحسان الحسن وإستهجان القبيح.

وقد يأتي في الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكي عنهم وإن لم تكن صحيحة في نفسها كقوله **{ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس}** (٣) وكقوله **{ بلغ مطلع الشمس}** (٤) وهذا الأسلوب مألوف فإننا نرى كثيرا من كتاب العربية وكتاب الإفرنج يذكرون آلهة الخير والشر في خطبهم ومقالاتهم لا سيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئا من تلك الخرافات الوثنية (٥).

إذ الواضح أن الأستاذ الإمام يجيز أن يكون في التعبير القرآني قصصا وغير قصص أثر للأساطير إجراء للعبارات على تلك الظواهر الخرافية لأنه يحكي من عقائدهم الحق والباطل كما يجيز أن يكون القرآن قد أجرى أساليبه كما هو المعروف عند الأدباء فجعل الخرافات الوثنية أداة للتعبيرات البلاغية.

لا ننكر أن المفسرين الكبيرين قد قالا هذا وقد فتحا الباب أمامنا لكنهما وقفا عند هذا الحد ولم يضعا بين أيدينا قصة واحدة ليشرحاها الشرح الأدبي الذي يسمح لنا بأن نجعلها فاتحة الحديث عن القصة الأسطورية ونمضي على هدى منه.

إن كل ما صنعاه أنهما جعلا جسم القصة أو هيكل الحكاية غير مقصود من القرآن وأنه لو كان أسطورة من الأساطير فإن ذلك لا يقدح في حق القرآن الكريم لأنه ليس من مقاصده وليس من الأمور التي عُني بشرحها وتفصيلها.

لا بد إذن من الحديث المفصل عن هذا اللون من القصص ونظر القرآن إليه وتناوله له.

ونقدم بين يدي ذلك ما نشير به الى أن السبيل الى درس مثل هذه الموضوعات مرسومة من قبل. رسمها الأصوليون في بحث آيات التشريع وهي جمع الآيات المتعلقة بموضوع ما ثم

فهمها وتسجيل ظواهرها ثم تفسير هذه الظواهر والإنتهاء من كل ذلك الى حكم القرآن في المسألة. ولن تكون سبيلنا هنا إلا هذه السبيل.

وتلك هي آيات القرآن الكريم التي عرضت لذكر الأساطير نجمعها مستقصين لننظر فيها النظرة العلمية التي تسلم الى الحق المبين:

(١) قال تعالى: **{ ومنهم مَن يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذي كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين}.** (٦)

(٢) وقال تعالى: **{ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين * وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم}.**(٧)

(٣) وقال تعالى: **{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين}.** (٨)

(٤) وقال تعالى: **{ بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين}.** (٩)

(٥) وقال تعالى: **{ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما }.** (١٠)

(٦) وقال تعالى: **{ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين }.** (١١)

(٧) وقال تعالى: **{ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين }.** (١٢)

(٨) وقال تعالى: **{ ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين }.** (١٣)

(٩) وقال تعالى: **{ ويل يومئذ للمكذبين الذين بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال آساطير الآولين }.** (١٤)

هذه هي الآيات التي عرض فيها القرآن لهذه المسألة فلننظر لنرى ما فيها من دلالات على نظرية لهذه الأساطير.

وأول ذلك أن هذه الآيات جميعها من القرآن المكي حتى ما وُضع منها في سورة مدنية كالأنفال مثلا فقد نص القدماء، واعتمد ذلك المصحف الملكي، على أن الآيات من ٣٠-٣٦ من سورة أنفال مكية. وأقرب ما يُفهم من ذلك أن الحديث عن الأساطير إنما كان من أهل مكة وجمهرتهم المطلقة من المشركين وأنه قول لم يقل في المدينة بعد إنتقال النبي عليه السلام إليها. وهذه ظاهرة تحتاج الى تفسير وتعليل.

وثاني ما يُفهم من النظر في هذه الآيات أن القائلين لهذا القول هم في الغالب الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالحياة الآخرة. وذلك واضح كل الوضوح من آيات سور: المؤمنون، النمل، الأحقاف، المطففين. ذلك لأن الحديث معهم في هذه المسألة بالذات، وهو متصل بسبب قوي بالحديث عن الحياة الآخرة في آيات سور الأنعام والنحل.

وتلك ظاهرة تستحق التفسير أيضا والتعليل.

وثالثا ما يُفهم من النظر في هذه الآيات أن المشركين كانوا يعتقدون بما يقولون إعتقادا صادقا وأن الشبهة عندهم كانت قوية جارفة وذلك هو الواضح تماما من هذه الآيات التي يحسن بنا أن نستعرضها سويا.

في سورة الأنعام يذهب المشركون الى النبي صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن لكنهم بعد الإستماع يجادلونه ويقولون له { إن هذا إلا أساطير الأولين } (١٥). ونعتقد أنهم لم يقولوا هذا القول في مواجهة النبي وأمام سمعه وبصره إلا وهم يعتقدون أن ما يقولونه وما يرونه الصواب. ومعنى ذلك أن الشبهة عندهم في إحتواء القرآن على الأساطير شبهة قوية جارفة.

وفي سورة الأنفال يذهبون ويستمعون وبعد هذا وذاك يقولون **{ قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين }** (١٦). ولا يكتفون في هذا الموطن بهذا القول وإنما يذهبون الى أبعد من هذا في التحدي ويقولون **{ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم }** (١٧)

ونحن إذ نعتقد بصدق القرآن ودقّته في تصوير إحساساتهم لا بد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة كانت قوية عندهم وتقوم على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرروا بهذه القوة وجود الأساطير في القرآن ذلك لأنهم لا يستطيعون هذا القول إلا إذا كان هناك ما يبرر فعلا هذا القول في تقديرهم ويجعلهم يؤكدونه هذا التأكيد.

وفي الأحقاف يقف ولد هو فيما يروي المفسرون ابن أبي بكر الصديق من والديه هذا الموقف القاسي العنيف **{ والذي قال لوالديه إف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين}** (١٨)

وما من شك في صدق القرآن ودقته في تصويره لخلجات الأنفس ولذا نقدر بأن هذا الشخص الذي يضجر من والديه ويتأفف من قولهما ويشك في عودته الى الحياة مرة ثانية ويقيم هذا الشك على ملاحظته لظاهرة من الظواهر هي أن القرون قد خلت من قبله ولم يعد الى الحياة أحد كان قوي العقيدة شديد اليقين في أن ما وعد به من الإخراج إنما هو من الأساطير.

وهكذا نلحظ أن الشبهة عنده قوية عنيفة وأن القرآن يصورها تصويرا دقيقا صادقا ونحس نحن من هذا التصوير القرآني أن القوم كانوا إنما يعبرون عما يحسون ويشعرون به نحو ما يتلى عليهم من آي الذكر الحكيم فهم لم يقولوا هذا القول كذبا وإدعاء وإنما قالوه عن شبهة قوية وعقيدة ثابتة.

ونستطيع أن نسأل أنفسنا قائلين هل معنى ذلك الذي يقرره القرآن أن في القرآن شيئا دعاهم الى هذا القول الذي يدل على التقرير القوي والإعتقاد المتمكن وهل هذا الشيء من الأخطاء التي ملكت عليهم نفوسهم أو هو شيء من حال القرآن جعلهم يقولون ذلك؟ لنلتمس الجواب عن هذا من دلالة تعرض القرآن للأساطير من نفيها عن نفسه وشدة حرصه على ذلك أو من دلالته على وقوفه منها موقفا يخالفه ذلك؟

لننتظر وسنرى.

رابعا ما يُفهم من النظر في هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن الأساطير أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله.

واستعرض معي الآيات مرة أخرى لتتبين موقف القرآن نحو هذا الحرص على نفي وجود الأساطير فيه وسترى:

(١) أن القرآن اكتفى بوصف هذا الصنيع من المشركين في آيات سور الأنفال، المؤمنون، النمل، الأحقاف، دون تعقيب عليه.

(٢) وأن القرآ ن إكتفى بتهديد القوم في آيات سور الأنعام والمطففين. وهو تهديد يقوم على إنكارهم ليوم البعث أو على صدهم الناس عن إتباع النبي وليس منه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت في القرآن الكريم.

(٣) ومرة واحدة يعرض القرآن للرد عليهم في قولهم بأنه أساطير وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان، وهذه هي الآيات **{ وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما }.** (١٩)

فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن؟ أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ويثبت أنها من عند الله. **{ قل أنزله الذي يعلم السر..}** إلخ.

لعل الثاني أوضح، ولعل هذا الوضوح هو الذي جعل الرازي في مناقشته لرد القرآن عليهم يقول البحث الأول في بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جوابا عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمناه من أنه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضا أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي من عند الله وكلامه فلهذا قال **{ قل أنزله الذي يعلم السر }.** (٢٠)

والذي يحسن بنا أن نلتفت إليه هنا هو أن الرازي يسأل عن كيفية أن يكون قوله تعال **{ قل أنزله الذي يعلم السر...}** إلخ إجابة عن قولهم **{ وقالوا أساطير الأولين ...}** إلخ ذلك لأن المتبادر أن الرد الذي كان يتوقعه الرازي إنما يكون بنفي وجود الأساطير في القرآن ومن هنا حاول أن يجعل إجابة القرآن ملافية للشبهة حين وجد أن الرد ليس نفيا لوجود الأساطير في القرآن بل نفي موجود آخر هو أنه ليس منزلا من **{ الذي يعلم السر في السموات والأرض }.** ولعلنا لا نوافق الرازي فيما وجه به الرد بل نرى أن إجابة القرآن هي الإجابة

الطبيعية وهي الإجابة التي لا محيد عنها في هذا الميدان. ذلك لأن مدار الحوار بين القرآن والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير في القرآن وإنما كان عن إتخاذهم ورود الأساطير دليلا على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء. ومن هنا كانت الإجابة في محلها وكان إثبات أن القرآن من عند الله **{ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض }** ولم تكن الإجابة نفي ورود أساطير في القرآن.

وهذا هو الذي يدل عليه أيضا ما ذكره القرآن من قبلهم **{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين }** (٢١) ذلك لأنهم كانوا يتخيلون إستبعاد أن يصدر مثل هذا القصص الأسطوري عن الله ولذا وقفوا موقفهم هذا من النبي عليه السلام ومن القرآن واشتطوا في ذلك وغلوا وهم مخطئون.

وإذا كان إحساس القوم بورود ألأساطير في القرآن قويا عنيفا وعقيدتهم في ذلك قوية ثابته.

وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله. إذا كان كل هذه ثابتا فإنا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن.

ويبقى من ذلك الشرح للظواهر وتفسيرها أمران: الأول لماذا صدر هذا لقول عن منكري البعث؟ والثاني لماذا كان من المكيين؟

لنستعرض سويا بعض القصص القرآني الذي عالج القرآن فيه مشكلة البعث:

(١) قال تعالى **{ أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير * وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم }**. (٢٢)

وواضح من القصتين أنهما تفسران وتجسمان عمليه الإحياء بعد الإماتة وهي العملية التي كان ينكرها المشركون إنكارا تاما ويزعمون أنها أحاديث خرافة.

ويقف بعض المفسرين من هاتين القصتين موقفا يدل على أنهما عندهم من الأقاصيص التي تقع ولم تحدث. جاء في تفسير المنار عقب حديثه عن القصة الأولى هذه الجملة " ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل" (٢٣)

وجاء في الرازي بعد تفسيره للقصة الثانية رأي لأبي مسلم ينكر فيه وقوع القصة ويذهب الى أنها من قبيل التمثيل ليس غير. هذا الرأي الذي عرضناه عليك في الفقرة الخاصة بالقصة التمثيلية من هذا الفصل. (٢٤)

وإذا ما ضممنا الى ذلك ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن قصة أصحاب الكهف قصة أسطورية.(٢٥) تبين لنا السر في أن القائلين بالأسطورة هم الذين ينكرون البعث إذ أنهم لم

يستطيعوا تصديق أمثال هذه القصص التي تجسم عملية الإحياء بعد الإماتة وجروا على أنها أساطير الأولين.

ونستطيع أن نذكر هنا أيضا أن الشبهة التى دخلت على المشركين من أمثال هذه الأقاصيص قد دخلت أيضا على بعض المفسرين من الباب نفسه ومن هنا لم يستطيعوا تصديق وقوع هذه الأحداث وفسروا هذا اللون من القصص على أنه قصص يراد به التمثيل.

والآن الى هذه الظاهرة.

لماذا انقطع القول بالأساطير حينما انتقل النبي الى المدينة؟

إن السبب فيما نعتقد واضح بين فالبيئة قد تثقفت ثقافة كتابية بفضل اليهود. وفي الكتب السابقة وردت الأساطير لتشرح فكرة أو تمثل وتجسم عقيدة من العقائد وهذه فكرة يعرفها أهل الكتاب ونعتقد أن قد كان يعرفها المدنيون من العرب من هؤلاء.

والبيئة المكية لم تكن مثقفة كتابية في هذا الجانب فيما نعتقد ومن هنا أنكرت على القرآن هذا الصنيع.

إن القصص الأسطوري يعتبر تجديدا في الحياة الأدبية المكية وتجديدا جاء به القرآن الكريم وتجديدا لم يألفه القوم ومن هنا أنكروه.

إن هذه النظرة تفسر لنا جانبا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم فقد وضع تقليدا جديدا في الحياة الأدبية العربية وهو بناء القصص الديني على بعض الأساطير. وهو بذلك قد جعل الأدب العربي يسبق غيره من الآداب العالمية في فتح الباب وجعل القصة الأسطورية لونا من ألوان الأدب الدقيق الرفيع.

يجب أن نحرص على فتح هذا الباب ولا نوصده في وجه الذين يقولون بوجود الأساطير في القرآن الكريم وإنما يجب أن نفسره التفسير الذي اهتدى إليه الرازي ووقف عنده الأستاذ الإمام ولم ينكره على نفسه القرآن الكريم.

فإذا ما قال المشركون إن بالقرآن أساطير قلنا ليس عليه في ذلك بأس وإنما البأس عليكم لأنكم قد عجزتم عن فهم مقاصده وقصدتم عن المضي معه في هذا السبيل. وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى في سورة الكهف قد بُنيت على بعض الأساطير (٢٦). قلنا ليس في ذلك القرآن من بأس فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى ويكفينا فخرا أن كتابنا الكريم قد سن السنن وقعد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين.

ونستطيع الآن أن ننتهي من هذه الفقرة الى القول بأن القرآن الكريم لا ينكر أن فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء. ومن هنا يجب ألا يزعجنا أن يثبت عالم من العلماء أو أديب من الأدباء أن بالقرآن أساطير. ذلك لأن هذا الإثبات لن يعارض نصا من نصوص القرآن الكريم.

جاء في الرازي عند تفسيره لآية النحل ما يلي " لقائل أن يقول كيف يكون تنزيل ربهم أساطير الأولين. وجوابه من وجوه: الأول أنه مذكور على سبيل السخرية... الثاني أن

يكون التقدير هذا الذي تذكرون أنه مُنزل من ربكم هو أساطير الأولين... الثالث يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزل الله لكنه أساطير الأولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق".

وواضح أن الرازي يجيز في رأييه الأخيرين القول بورود أساطير القرآن الكريم وأنها من عند الله.

إن المسألة أوضح من أن نختلف عليها بعد الآن والله الهادي الى سواء السبيل.

القصة الأسطورية إذا من القصص الأدبي الذي نجد من المفسرين من أجاز أن يكون موجودا في القرآن الكريم.

والبحث عن مصادر القصص القرآني تتمثل فيه خطورتان: الأولى تتمثل في رجال قد تعرفهم بسيماهم هم أصحاب الثقافة الضحلة والعقل الضيق والنظر القصير. هم أولئك الذين ألقت المقادير بمقاليد الثقافة العربية في أيديهم فظنوا أنهم كل شيء وما هم بشيء. وأنهم أحق الناس لأن يبيِّنوا للناس ما يصح وما لا يصح وما يجوز وما لا يجوز. ولعله من هنا أخذتهم العزة فتحكموا في البحوث علمية وأدبية. وراعوا في هذا التحكم مصلحتهم وأهواءهم ولم يراعوا مصلحة العلم والمعرفة ولم يراعوا جانب الحق والصواب.

ومن طبع أصحاب العقول الضيقة والنظر القصير إذا خولفوا في أمر من أمورهم أن يستثيروا العامة ويستعينوا بالغوغاء، وهم في ذلك إنما يسيرون على هدى سلف لهم غير صالح هم أولئك الجاهليون الذين كانوا يقولون لقومهم: **{ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }** (٢٧)

وأصحاب العقول الضيقة حين تأخذهم العزة في هذا الموقف قد يقفون ويقولون لك : إن البحث عن مصادر القصص القرآني أمر يجب ألا يكون وتسألهم عن السر فيتمشدقون ويقولون: أليس القصص القرآني بعض القرآن؟ وأليس القرآن قد نزل من عند الله؟ وإذن فكيف نبيح لإنسان مهما يكن حظه من العلم والمعرفة، ومهما يكن قدره من العلو والرفعة أن يبحث عن مصادر ما أنزل الله؟ إنها الفتنة فدعوها نائمة ولعن الله مَن أيقظها.

أما الخطورة الثانية فتتمثل في أقوال المستشرقين والمبشرين وتدور حول مصادر القصص القرآني. وهؤلاء المبشرون يحتفلون للحديث عن هذه المصادر أكثر من إحتفالهم لأية مسألة أخرى من مسائل القرآن وسر هذا الإحتفال أن هذه المسألة هي الباب الذي ينفذون منه الى الموازنة بين ما جاء في القرآن الكريم من أحداث وأخبار وما جاء في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب التاريخ والأخبار.

والمستشرقون والمبشرون في موازناتهم ينتهون حتما الى القول بأن في القرآن مخالفات تاريخية وأن هذه المخالفات هي الدليل على أنه من عند محمد، لأنه لو كان من عند الله لتنزه عن هذه المخالفات ولما كان فيه منها كثير أو قليل. وهم يعللون هذه المخالفات بقولهم لأقوامهم: إن محمدا كان يتعلم هذه الأخبار من العبيد والأرقاء، أولئك الأعاجم الذين كانوا يخدمون السادة في قريش والذين أشار القرآن الى واحد منهم حين قال **{ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين }** (٢٨)
وهؤلاء ما كانوا يعرفون من التاريخ الديني للرسل والأنبياء إلا شائعات. ذلك لأنهم بحكم

رقهم أو بحكم فقرهم ما كانوا يستطيعون الحصول على نسخ من الإنجيل والتوراة وكتب الأخبار، فلم تكن المطبعة قد وجدت بعد، ولم تكن النسخ المخطوطة من الكثرة بحيث تقع في أيدي هؤلاء. لقد كانت نادرة، وكان الحصول عليها يتوقف على مقدار ما يُدفع في سبيلها من نقد ومن هنا كانت وقفا على الأغنياء. ومن هنا أيضا كانت معارف الفقراء ومعارف العبيد والأرقاء وقفا على الشائعات وليس يخفى أن ما كانت وسيلته المشافهة يكون دائما عرضة للتحريف وعرضة للتغيير والتبديل وعرضة للزيادة والنقصان.

إن أخطاء هؤلاء فيما يقول المستشرقون والمبشرون هي التي ظهرت بوضوح في المخالفات التاريخية التي جاءت في قصص القرآن.

والخطوة الأولى لا تلبث أن تزول حين نبين للرجميين والجامدين ومن على شاكلتهم أننا في هذا الصنيع إنما نجري على سنن سلف لنا صالح هم العلماء الأجلاء من رجال الفقه والدين.

ما الذي فعله المسلمون حين أرَّخوا للتشريع الإسلامي؟ ألم يبحث الأصوليون عن مصادر هذا التشريع؟ ألم يذكر هؤلاء الأصول الأولى لكثير من الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم؟ ألم ينته الأصوليون من بحث صلة الإسلام بغيره من الأديان السماوية الى القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه؟ ألم يعلل المسلمون سر الإتفاق بين الأديان السماوية الذي تشير إليه الآية الكريمة: **{ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب }** (٢٩) وسر الإختلاف الذي تشير إليه الآية الكريمة **{ لكل جعلنا منك شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}** (٣٠) بعلل إجتماعية هي من النواميس الثابتة المستقرة؟ ألم يكن من بين هذه العلل ما يربط الأحكام الشرعية بالبيئة ويجعل تغييرها وتبديلها أو نسخها يتبع العقل البشري في تقدمه والبيئة الإجتماعية في ترقِّيها؟ (٣١)

فعل المسلمون كل هذا وفعلوا ما هو أخطر من هذا حين ذكروا أن من عناصر الدين الإسلامي ما يرجع الى العهد الجاهلي وأن رجالا ذكروهم قد سنوا ما أبقى عليه القرآن الكريم وجعله عنصرا من عناصر الدين الإسلامي ومن ذلك توريث البنات وجعل حظ الذكر مثل حظ الأنثيين وتحريم الخمر والسكر والأزلام وغيرها من أمور ذكرها صاحب كتاب المحبر في فصل عنوانه " من حكم في الجاهلية حكما فوافق حكم الإسلام. ومن صنع صنيعا في الجاهلية فجعله الله سنة في الإسلام"(٣٢)

إن علينا أن نبحث مصادر القصص القرآني كما بحث الأصوليون مصادر التشريع. بل نحن هنا أولى بالرعاية ذلك لأنهم يبحثون عن مصادر العناصر الدينية وهي عناصر لا تتأتى معرفتها لما فيها من غيبية إلا من طريق الرسل والأنبياء. ونحن إنما نبحث عن مصادر العناصر القصصية وهي عناصر من الوقائع البشرية التي يمكن معرفتها والوقوف عليها من غير طريق الرسل والأنبياء. وإن علينا أن نضع بين يدي الرجعيين والجامدين ومَن على شاكلتهم هذه الآية الكريمة التي تشير في صراحة الى أن القرآن الكريم كان يرد بعض تشبيهاته وأمثاله الى مصادرها الأولى أو الى التوراة والإنجيل:**{ محمد رسول الله**

والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار }(٣٣). وإن علينا أن ننشد الحقيقة الدينية وأن نضع بين أيدي الناس نظرية سليمة تقوم أول ما تقوم على ملاحظة الظواهر المختلفة الموجودة في القصص القرآني وتفسيرها تفسيرا صحيحا وهي نظرية تحل جميع المشكلات التي وقف عندها المفسرون وتخرج بالقصص القرآني من دائرة التشابه وترد جميع إعتراضات المستشرقين والمبشرين، أما ما على قومنا فهو أن يفهموا رأينا ومذهبنا، وأن يعرفوا الحق للحق، وأن يعلموا أن الدين الإسلامي يفتح أمام العقل الطريق وينير له السبيل ويمكنه من أن يضرب في التقدم الفكري بسهم وافر، إن علينا ما تقدم وإن على قومنا ما تأخر فإن أبوا إلا المضي في العناد وإلا دعاء الأمة الإسلامية الى ذلك القول الذي كان يقوله الجاهليون من قبل **{ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }** (٣٤) عمدنا الى الصبر والدفاع عن الحقيقة الدينية والله يرعانا بفضله لأنه القائل: **{ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار }** (٣٥).

والخطورة الثانية لا تلبث أن تزول حين نبيِّن للناس حقيقة ما أنزل الله وحين نؤكد للمبشرين والمستشرقين أنهم أقاموا موازناتهم على أساس لم يقصد إليه القرآن الكريم ولم يجعله غرضا من أغراضه وأنه حين ذهبوا الى ما ذهبوا إليه قد تحكموا في الوسائل وفي النتائج العلمية لأن المخالفات التاريخية على فرض وجودها لا يمكن أن تكون الدليل على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء.

إن موازنات المستشرقين والمبشرين بين ما جاء في القصص القرآني من أخبار وما جاء منها في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأخبار والتاريخ يجب ألا تتم ويجب ألا تكون حتى يثبت قطعا أن القرآن الكريم قد قصد من عرض هذه الأخبار معانيها التاريخية وأنه اختار ما اختار من الأشخاص والأحداث والحوار على أساس أن هذا هو الحق وأنه الذي يتمشى مع المنطق التاريخي. أما إذا كان قصد القرآن من قصصه ليس نشر الوثائق التاريخية وليس تعليم التاريخ فإن صنيع المستشرقين والمبشرين يصبح لا قيمة له ولا خطر منه.

والمسألة الأولى من مسائل هذا الفصل هي أن القرآن الكريم في قصصه لم يسلك مسلك التوراة فلم يقص أخبار الأنبياء والمرسلين كما قصت هي وإنما اختار بعضهم ليقص قصصهم وأعرض عن الباقي **{ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك}** (٣٦) وهو حين اختار لم يعمد الى أخبار هؤلاء جميعهم وإنما اختار من هذه الأخبار ما يتفق وحالة الدعوة الإسلامية وموقف النبي من قومه ومن هنا لم يكن ذلك التفصيل الموجود في التوراة. ثم إن القرآن الكريم لم يعمد الى الزمن فيجعله العامل الأساسي في ترتيب هذه القصص كما عمدت التوراة. إن كل ذلك إنما يدل على الفارق الأكبر بين قصص القرآن الكريم وبين قصص التوراة وهو أنها قد قصدت الى التاريخ أما هو فلم يقصد إلا الى العظة والعبرة والى البشارة والإنذار والى الهداية والإرشاد والى شرح مباديء الدعوة الإسلامية والرد على المعارضة والى تثبيت قلب النبي عليه السلام ومن

اتبعه وزلزلة نفوس المشركين والكفرة والى غير ذلك من مقاصد وأغراض ليس منها التاريخ على كل حال.

والمسألة الثانية هي أن هؤلاء الذين اختارهم القرآن الكريم ليقص قصصهم لم يكونوا جميعا من البيئة العربية وإنما كانت الكثرة الكاثرة منهم من غيرها، من بلاد المصريين والعبريين والسبئيين ومن بلاد اليونان والرومان وأقاموا فيها وأرسلوا الى أهلها ووقعت أحداثهم في هذه البلاد وجرى الحوار فيما بينهم وبين من أرسلوا إليهم بلغات هذه الأقاليم بل جرى الحوار أحيانا بلغات قد لا نعرفها وقد لا يستطيع عقلنا القاصر أن يتصورها وإلا فبأي لغة تحدث الخالق جلَّ وعلا الى كل من الملائكة وإبليس في قصة خلق آدم وبأي لغة تحدث إبليس الى آدم في قصة الخروج من الجنة. إنها الأمور التي لا نعرف منها إلا الفروض الخيالية (٣٧).

هذه الكثرة الكاثرة من الرسل والأنبياء عليهم السلام من أمثال آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وسليمان وداود ويوسف وموسى وأيوب ويونس والياس وغيرهم لم يكونوا مجهولين في بيئتهم الأولى وإنما كانوا معروفين تعرف كلا منهم بيئته وتقص أخباره على بنيها وتنقل هذه الأخبار الى الأمم المجاورة ونعتقد أن ليس هناك من يدعي أن الذي قد حدث غير هذا وأن هذه الأمور من المسائل التي استأثر الله بعلمها وأنها من الغيب الذي لا يعرفه إلا من يطلعه الله عليه لأن هذا القول مما يخالف طبائع الأشياء.
كانت هذه الأشياء من الأمور المعروفة في بيئات الرسل عليهم السلام وفي البيئات التي انتقلت إليها هذه الأخبار, والذي نريده الآن هو الوقوف على الصلة التي كانت قائمة بين هذه الأقاصيص وبين البيئة العربية عامة والمكية بصفة خاصة قبل البعثة المحمدية وقبل نزول القرآن فهل كانت البيئة تعرف من أمر هؤلاء الرسل شيئا أو كانت تجهل من أمرهم كل شيء؟ إن الإجابة عن هذا السؤال من الخطورة بمكان ذلك لإنها التي ستحدد لنا المسائل التالية:

(١) المصدر الذي صدرت عنه هذه العناصر القصصية التي استخدمها القرآن الكريم في بناء القصص فهل كانت العقلية العربية أو كانت بيئات أخرى هي بيئات الرسل والأقوام؟ إن هذا هو الذي سيبين لنا مذهب القرآن الكريم في بناء القصة من حيث صلة العناصر بالبيئة فهل كان يذهب الى بناء القصة على ما هو المألوف من العناصر أو على ما هو الغريب النادر؟

(٢) الصنيع البلاغي الذي قام به القرآن والدور الفني الذي لعبه في تاريخ الحياة الأدبية للأمة العربية وذلك بجوره سيمكننا من الوقوف على أسرار الأعجاز في القصص القرآني ويجعلنا نفهم الحكمة التي من أجلها تحدى القرآن العرب بالسور المفتريات.

(٣) الوصول الى قاعدة أو نظرية يمكننا تطبيقها من حل المشكلات ورد الإعتراضات والخروج بالقصص القرآني من دائرة المتشابه.

والصلة بين هذه الأقاصيص وبين البيئة العربية تتحدد بما يلي:

(١) نوع نستطيع أن نسلم منذ اللحظة الأولى بأنه كان مجهولا في البيئة المكية جهلا يكاد يكون تاما وذلك هو النوع الذي نزل ليثبت نبوة النبي عليه السلام والذي جاء إجابة عن تلك

الأسئلة التي يتوجه بها المشركون من أهل مكة الى النبي ليعرفوا صدق رسالته وصحة نبوته، ومن أمثلته قصص أصحاب الكهف وذي القرنين. والظاهرة الجديرة بالتسجيل في هذا الموقف هي أن هذا القصص لم يرد إلا مرة واحدة فهو لم يتكرر تكرر غيره ولم يجيء لأغراض كثيرة ومختلفة. والتفسير الذي نرى أنه الصحيح بالنسبة الى هذه الظاهرة هو أن القرآن الكريم ما كان يذهب مذهب أولئك الذين يبنون أقاصيصهم على ما هو الغريب النادر من العناصر إلا حين تدعو الى ذلك ضرورة ملحة كأن تكون الغرابة نفسها هي المقصد والغرض كما هو الحال بالنسبة الى الأقاصيص السابقة. أما حين لا تدعو الى ذلك ضرورة من الضرورات فإنه لم يكن ليبعد عن العقلية العربية.

(٢) ونوع نستطيع أن نسلم أيضا منذ اللحظة الأولى بأنه كان معروفا في البيئة العربية وذلك من أمثال هذه الأقاصيص التي وردت إشارات عنها في الشعر الجاهلي كقصص أحمر عاد وأحمر ثمود وقصص الجن مع سليمان أو تلك التي بدأت بالتعبير القصصي **{ أم تر }** فيما يذهب إليه المفسرون (٣٨)

والظاهرة الجديرة بالتسجيل في هذا المقام هي أن أقاصيص هذا النوع قد كررت وجاءت في أكثر من موطن ولأكثر من غرض وتشهد بذلك أقاصيص عاد وثمود أو هود وصالح. والتفسير الذي نعتقده صحيحا في هذا المقام وهو أن القرآن الكريم كان يذهب مذهب من يبني الأقاصيص على ما هو المألوف أو ما هو المشهور المتداول من مسائل التاريخ وقضاياه.

(٣) نوع ثالث وهو الكثرة قد يشتبه فيه القاريء فلا يدري أهو من النوع الأول أم هو من النوع الثاني وأمثلته أقاصيص آدم مع إبليس وقصة الخلق وقصص لوط ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وأيوب وغيرهم. وهو نوع نستطيع أن نصل الى حقيقة الأمر في الصلة بينه وبين البيئة العربية وبخاصة المكية بأمرين الأول طريقة القص والثاني التكرار.

(أ) أما طريقة القص فتشعرنا بأنه كان معروفا ذلك لأن القرآن كان يجري في القصص أول الأمر على اسلوب موجز فكانت أقاصيصه أشبه بالإشارات الى ما هو المعروف. أو كانت لفتات الى أحداث تعرفها البيئة ولا تجهل من أمرها شيئا وذلك هو الواضح تماما من مجموعة أقاصيص سورة القمر. ولعل مما يؤكد هذا الذي نذهب إليه أن القصص القرآني كان يقصد منه أول الأمر الإنذار والعظة والعبرة وكلها من المقاصد التي تطلب من الأحداث المعروفة حتى يكون للإنذار خطره وللعبرة أثرها.

وأما التكرارا فإنه يؤدي الى النتيجة نفسها حين يفيد أن القرآن الكريم كان يجري على مذهب أدبي معين هو بناء القصة القرآنية من مواد معروفة ومشهورة ومتداولة في البيئة ذلك لأنه على فرض أن هذه المواد التاريخية ما كانت معروفة في البيئة العربية قبل البعثة المحمدية ونزول القرآن فإن ما نزل منها أولا كان يكفي بالتعريف بها وما نزل ثانيا وثالثا ورابعا... إلخ يعتبر من قبيل بناء القرآن للقصة على ما هو المعروف أو المشهور المتداول.

ومما يؤيد ما نذهب إليه أن دوران هذه المواد في القرآن كان يتبع الشهرة فالشخصية التي عرفت واشتهرت والأحداث التي شاعت في البيئة كانت أكثر المواد إستخداما في بناء القصة القرآنية. وعلى العكس من ذلك الأحداث التي لم تعرف والشخصيات التي لم تشتهر.

ولعله من هنا كانت شخصية موسى أكثر دورانا من شخصية أيوب مثلا بل أكثر من أي شخصية أخرى. ذلك لأن موسى كان نبي اليهود ولقد كان اليهود في ذلك الزمن يسيطرون على البيئة العربية من حيث التفكير الديني حتى لقد كان العرب أنفسهم يستشيرونهم في أمر محمد عليه السلام. وهذه السيطرة تجعلهم يقصون كثيرا أخبار موسى وفرعون وقليلا أخبار غيره من الأنبياء.

إن مذهب القرآن فيما يتضح من الظواهر السابقة هو بناء القصة القرآنية على عناصر يستمدها من البيئة أو من العقلية العربية وليس ذلك إلا ليكون القصص أشد تأثيرا وأقوى سلطانا وإلا ليمضي القص بين المألوف العادي من الأحداث والأشخاص والغريب النادر من الأفكار والآراء.

مصادر القصص القرآني في الغالب هي العقلية العربية فالقرآن لم يبعد عنها إلا في القليل النادر ومن هنا جاءت فكرة الأقدمين القائلة بأن القرآن ليس إلا أساطير الأولين ذلك لأنهم نظروا فوجدوا الشخصيات القصصية والأحداث القصصية مما يعرفون ومن هنا أيضا كان كل من الرازي والنيسابوري في غاية اللباقة والدقة في الفهم حين فرَّقا بين جسم القصة وهيكل الحكاية وبين ما جاء فيها من توجيهات دينية وحين قالا بأن هذه التوجيهات هي المقصد الأول من القصص القرآني أما الجسم والهيكل فليست له قيمة كبيرة لأنه ليس المقصد والغرض وليس هناك ما يمنع من أن يكون الجسم أو الهيكل من أساطير الأولين. ولعلك لا زلت تذكر نص الرازي الذي وضعناه بين يديك في الفصل الأول من هذا الباب عند حديثنا عن القصة الأسطورية، فإنه النص الذي يشير إليه في هذا المقام.

يأخذ القرآن كما ترى عناصره القصصية من البيئة العربية ويبني من هذه العناصر أقاصيص هي التي نراها في القرآن الكريم.

نكتفي بهذا الجزء من كتاب " الفن القصصي في القرآن" ونضيف إليه أن الأستاذ محمد أسد في ترجمته الإنجليزية للقرآن اشار الى وجود الأساطير في القرآن في موضعين. أولا في تعليقه على الآية ٧٧ من سورة الأنبياء والذي فيها يتكلم القرآن عن جن سليمان. وثانيا في تعليقه على الآية ١٧ من سورة النمل. وفيما يلي النص الإنجليزي للتعليقين:

(१३) But when Our light-giving messages came unto them, they said" This is clearly [but] spellbinding deception!" (१४)-and in their wickedness and self- exaltation they rejected them, although their minds were convinced of their truth: and behold what happened in the end to those spreaders of corruption! (१५) AND INDEED, We granted [true] knowledge unto David and Solomon [as well]; and both were wont to say:" All praise is due to God, who has [thus] favoured us above many of His believing servants!"

(१६) And [in this insight] Solomon was [truly] David's heir; and he would say:" O you people! We have been taught the speech of birds, and have been given [in abundance] of all [good] things; this, behold, is indeed a manifest favour [from God]!" (१७) And [one day] there were assembled before Solomon his hosts of invisible beings, and of men. And of birds: and then they were led forth in orderly ranks. (१८) Till, when they came upon a valley [full] of ants, an ant exclaimed:" O you ants! Get into your dwellings, lest Solomon and his hosts crush you without [even] being aware [of you]!" (१९) Thereupon [Solomon] smiled joyously at her words, and said:" O my Sustainer! Inspire me so that I may forever be grateful for those blessings of Thine with which. Thou hast graced me and my parents,(१७) and that I may do what is right [in a manner] that will please. Thee; and include me, by Thy grace, among Thy righteous servants!"

१७-In this instance, Solomon evidently refers to his own understanding and admiration of nature (cf.३८:३१-३३ and the corresponding notes) as well as to his loving compassion for the humblest of God's creatures, as a great divine blessing: and this is the Qur'anic moral of the legendary story of the ant.

.. فلما جاءتهم ءَايتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (١٣) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عقبةُ المفسدين (١٤) ولقد ءَاتينا داوود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (١٥) وورث سُليمن داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين(١٦) وحُشر لسُليمن جُنُوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعُون(١٧) حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سُليمن وجنوده وهم لا يشعرون (١٨) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين (١٩) وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (٢٠) لأعذبنه عذابا شديدا أو لأ أذبحنهُ.

And among the rebellious forces {which We made subservient to him] there were some that dived for him [into the sea] and performed other works besides: but it was We who kept watch over them.(८२) And

...ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكُنا لهم حافظين (٨٢) * وأيوب إذ نادى ربه

[remember] Job, when he cried out to his Sustainer,"Affliction has befallen me: but Thou art the most merciful of the merciful!"-	أنـــي مسَّـــنى الضـُّــرُّ وأنـــت أرحـــمُ الرحمين.

82- In this as well as in several other passages relating to Solomon, the Qur'an alludes to the many poetic legends which were associated with his name since

early antiquity and has become part and parcel of Judaeo-Christian and Arabian lore long before the advent of Islam. Although it is undoubtedly possible to interpret such passages in a "rationalistic" manner, I do not think that this is really necessary. Because they were so deeply ingrained in the imagination of the people to whom the Qur'an addressed itself in the first instance, these legendary accounts of Solomon's wisdom and magic powers bad acquired a cultural reality of their own and were, therefore, eminently suited to serve as a medium for the parabolic exposition of certain ethical truths with which this book is concerned: and so, without denying or confirming their mythical character, the Qur'an uses them as a foil for the idea that God is the ultimate source of all human power and glory, and that all achievements of human ingenuity, even though they may sometimes border on the miraculous, are but an expression of His transcendental creativity.

الهــوامــش

١ - سورة **يونس**، الآية ,٣٩
٢ - **التفسير الكبير**، جـ ٤، ص ,٥٩١
٣ - سورة **البقرة**، الآية ,٢٧٥
٤ - سورة **الكهف**، الآية ٩٠.
٥ - **المنار**، جـ ١، ص ,٣٩٩
٦ - سورة **الأنعام**، الآية ,٢٥
٧ - سورة **الأنفال**، الآيتان ٣١- ,٣٢
٨ - سورة **النحل**، الآية ,٢٤
٩ - سورة **المؤمنون**، الآيتان ٨٣- ,٨٤
١٠ - سورة **الفرقان**، الآيتان ٥- ,٦
١١ - سورة **النمل**، الآيتان ٦٧- ,٦٨
١٢ - سورة **الأحقاف**، الآية ,١٧
١٣ - سورة **القلم**، الآية ١٠- ,١٥
١٤ - سورة **المطففين**، الآيات ١٠- ,١٣
١٥ - سورة **الأنعام**، الآية ,٢٥
١٦ - سورة **الأنفال**، الآية ,٣١
١٧ - نفس السورة، الآية ,٣٢
١٨- سورة **الأحقاف**، الآية ,١٧
١٩- سورة **الفرقان**، الآيتان ٥- ,٦
٢٠ - **التفسير الكبير**، جـ ٦، ص ,٣٥٤
٢١ - سورة **النحل**، الآية ,٢٤
٢٢ - سورة **البقرة**، الآيتان ٢٥٩- ,٢٦٠
٢٣ - **المنار**، جـ ٣، ص ,٥٢
٢٤ - الرازي، جـ ٢، ص ,٣٣٣
٢٥ - مادة **أصحاب الكهف**، في دائرة المعارف الإسلامية.
٢٦ - راجع مادة **أصحاب الكهف** ومادة **إلياس** من دائرة المعارف الإسلامية.
٢٧ - سورة **فصلت**، الآية ,٢٦
٢٨ - سورة **النحل**، الآية ,١٠٣
٢٩ - سورة **الشورى**، الآية ,١٣
٣٠ - سورة **المائدة**، الآية ,٤٨
٣١ - راجع **إخوان الصفاء**، جـ ٤، ص ,٢٢
٣٢ - **المحبر**، لأبي محمد بن المتوفي سنة ٢٤٥، ص ٢٣٦- ٢٤٣، ط حيدر آباد سنة ١٢٦١.
٣٣ - سورة **الفتح**، الآية ٢٩.
٣٤ - سورة **فصلت**، الآية ,٢٦
٣٥ - سورة **غافر**، الآيتان ٥١- ,٥٢

٣٦ - سورة **النساء**، الآية ١٦٤,

٣٧ - راجع **المستصفى**، للغزالي، جـ ١، ص ٣٢٨- ٣٢٩,

٣٨ - راجع **تفسير سورة الفجر** في كل من الرازي والكشاف.

صاحب الكتاب لم يكن أميا

في كتابه القيم " مدخل الى القرآن الكريم – الجزء الأول" يتناول الدكتور محمد عابد الجابري موضوع أمية نبي الإسلام من جوانب عدة ويناقش الآراء المتباينة فيه ويخلص بنتيجة راجحة مفادها أن النبي كان يقرأ ويكتب. ونحن هنا ننقل عنه الفصل الثالث من الكتاب.

النبي الأمي: هل كان يقرأ ويكتب؟

الأفكار المُتَلَقَّاة ... عوائق معرفية

يدور الكلام في هذا الفصل حول مسألة كانت منذُ القديم موضوع نقاش وجدل: مسألة ما إذا كان نبينا محمد (ص) يعرف القراءة والكتابة! ومع أن هذه المسألة تتعلق بالتاريخ أساسا، وتاريخ السيرة النبوية المحمدية خصوصا، فإن كون القرآن قد وصف النبي محمدا (ص) بأنه " أمي" يجعل منها عنصرا مهما في الفضاء القرآني بحيث لا يمكن التعامل مع هذا الفضاء من دون تحديد مدلولها داخله ودورها فيه.

سننطلق في بحثنا هنا من فحص ما ذكره كُتاب السيرة والمفسرون أولا، لننتقل بعد ذلك الى محاولة بناء فهم موضوعي لما ورد في القرآن في هذا الشأن، لنطل بعد ذلك على جملة وقائع وشهادات في الموضوع.

أولا: اقرأ: ماذا أقرأ؟... أو ما أنا بقارئ! روايتان!

إن أول واقعة في السيرة النبوية وضعت كتاب هذه السيرة والمؤرخون، وغيرهم، امام مسألة ما إذا كان الرسول يقرأ ويكتب أو لا، هي تلك التي رويت على لسان النبي نفسه حول الظروف التي رافقت أول اتصال للملاك جبريل به ليبشره بالنبوة والرسالة. وقد حفظ لنا كُل من كتاب السيرة وجامعي الحديث وقدماء المؤرخين روايتين مرجعيتين لحديث يشرح فيه النبي بنفسه تفاصيل ذلك الحدث التاريخي الذي دشن عهدا جديدا في تاريخ البشرية، عهدا قوامه قيام دين سماوي جديد – الى جانب اليهودية والنصرانية – سرعان ما أنشأ عالما جديدا هو ما يعرف اليوم بالعالم الإسلامي.

١- رواية ابن إسحاق:

نبدأ برواية ابن اسحاق لأنه أسبق زمنا (٨٥-١٥٢ هـ)، وقد ورد فيها ما يلي: " كان رسول الله يجاور (يعتكف للعبادة) في حراء (غار بجبل قرب مكة) شهرا من كُل سنة، وكان ذلك مما تحنَّثُ (تتعبد) به قريش في الجاهلية (...)، فكان رسول الله يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به- إذا انصرف من جواره – الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها

سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع الى بيته؛ حتى اذا كان الشهر – الذي أراد الله تعالى فيه ما أراد من كرامته – من السَّنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله (ص) الى (غار) حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاء جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله (ص): فجاءني جبريل، وأنا نائم (في رؤيا المنام)، بنمط (وعاء) من ديباج (ثوب فارسي مزركش) فيه كتاب، فقال: اقرأ ! قال (النبي): ما أقرأ؟ قال: فغَّتني به (ضمني وعصرني) حتى ظننت أنه الموت! ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال النبي: قلت: ما أقرأ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ماذا اقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ قال النبي فقلت: ماذا أقرأ؟ (ويضيف النبي): ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي؛ فقال: **{ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}** (١). قال النبي: فقرأتها، ثُم انتهى. فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا".

٢- رواية البخاري :

وفي صحيح البخاري (١٩٤- ٢٥٦ هـ) عن عائشة زوج النبي (بعد خديجة) أنها قالت:" أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي، الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثُمَّ حُبب إليه الخلاء، وكان يخلوا بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة (زوجته) فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء. فجاءه المَـلَك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ! قال النبي فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني ثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:**{ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}**. فرجع بها رسول الله (ص) برجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمّلوني، زملوني (لففوني)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.(٢)

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري(٣) (٢٢٤ – ٣١٠هـ) في تاريخه عدة روايات في نفس الموضوع، جاء فيها كلها جواب النبي على جبريل بصيغة: " ما أقرأ؟" و "ماذا أقرأ". وبعض تلك الروايات رويت عن نفس المصدر الذي روى عنه البخاري، أعني: عائشة زوج النبي (ص).

٣ - استفهام .... أم نفي؟

ما نريد لفت النظر إليه هنا أمران:

أولهما ذلك الاختلاف الذي بين صيغة جواب النبي لجبريل في كل من رواية ابن اسحق وروايات الطبري من جهة (" ما أقرأ"؟، " ماذا أقرأ"؟)، والصيغة الواردة في رواية البخاري (ما أنا بقارئ!)، من جهة أخرى(٤). الصيغة الأولى استفهام يفيد ضمنيا أن النبي

يعرف القراءة، فهو يطلب ماذا يقرأ؟ أما الصيغة الثانية فهي تنفي عنه معرفة القراءة: ما أنا بقارئ!.

وإذا كان من الممكن حمل "ما" في "ما أقرأ" على النفي أيضا (إضافة الى الاستفهام)، فمن الممكن فعل عكس ذلك بالنسبة الى الصيغة الأخرى " ما أنا بقارئ"، أعني حملها على الاستفهام (إضافة الى النفي) على اعتبار الباء زائدة (قارن: ما أنا فاعل بكم؟). غير أن عبارة " ماذا أقرأ"؟ التي تكررت في روايات ابن اسحاق والطبري، لا يمكن حملها إلا على الاستفهام، وبالتالي يكون رد النبي على جبريل استفسارا عما يريد منه أن يقرأ، وليس نفيا لمعرفة القراءة.

يمكن أن يقال إن المقصود بالقراءة هنا ليس القراءة التي تعني التهجي في كتاب أو في ورق أو غيره، بل المقصود هو مجرد التلفظ بالأصوات التي تفيد معنى في اللغة، أعني القراءة، لا بمعنى " التتبع بالعين لحروف نص مكتوب والتعرف عليها ومعرفة الأصوات التي تخصها (Lire, Read) ، بل بمعنى استظهار ما تم حفظه وتلاوته (Reciter, Recite) . وفي هذه الحالة سيكون مضمون طلب جبريل "اقرأ"، هو: أعد التلفظ بما ستسمع! والجواب المناسب في هذه الحالة هو الاستفسار:"ماذا أقرأ"؟ وليس النفي، إذ لا يعقل أن ينفي النبي عن نفسه القدرة على إعادة التلفظ بما يسمع ! وإذا كان من الممكن القول إن عبارة " ما أنا بقارئ" تعني: ما أنا ممن يعرف " القراءة"، بمعنى القراءة في الكتاب، فهذا غير وارد لأن جبريل لم يطلب من النبي أن يقرأ في كتاب، وإن كان " لفظ " الكتاب" قد ذكر مرتين في رواية ابن إسحاق كما رأينا. وإذا فرضنا أن جبريل وضع أمامه كتابا وقال له: " اقرأ"، فإنه لا يمكن أن يفعل ذلك لو لم يكن يعرف أن النبي يحسن القراءة في كتاب!.

على أن الصيغة التي تفيد مجرد القراءة بمعنى التلاوة تناسب سؤال جبريل كما تناسب جوهر المسألة عند من يفهم من الوصف الذي وصف به القرآن النبي محمدا (ص)، أعني " الأمي" في قوله " النبي الأمي"، على أنه "عدم المعرفة بالقراءة والكتابة". غير أن هذا النوع من الفهم ليس ضروريا في نظرنا، فليس من شرط النبي أن لا يعرف القراءة ولا الكتابة. ثم إنه لا يليق بنا أن نتصور أن من كمالات الإنسان الذي يختاره الله للنبوة أن يكون لا يعرف القراءة والكتابة! أما ما يوظف فيه هذا النوع من الفهم، من أن القرآن وحي من الله بدليل أن الموحى إليه به كان لا يعرف القراءة والكتابة، الأمر الذي يستدلون عليه بقوله تعالى: **{ وما كُنتَ تتلُو من قبله من كتاب ولا تَخُطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون}**(٥)، فالحاجة الى هذا النوع من الدليل غير قائمة، فضلا عن أن معنى الآية لا يخدم هذا "الدليل"، كما سنرى لاحقا.

هناك قرينة أخرى تدل على أن معنى القراءة، في رد النبي على جبريل بقوله " ماذا أقرا؟"، ينصرف الى "القراءة"، بمعنى القراءة في كتاب. هذه القرينة هي ورود لفظ " كتاب" في العبارة التى قال فيها النبي: فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب" وقوله " وهببت من نومي، فكأنما كتبت (الآيات التي قرأها عليه جبريل) في قلبي كتابا". إن ذكر الكتاب في سياق هذه الحديث، مرتين، قرينة واضحة تشير الى أن الأمر يتعلق بشخص يعرف الكتابة والقراءة ويقرأ في كتاب، ويريد أن يبين لمخاطبه نوع مشاعره عندما كان يخوض هذه التجربة مع جبريل. ومن دون إعطاء هذه الوظيفة للعبارتين

اللتين ذكر فيهما النبي " الكتاب"، ستكونان فضلا من القول، ونحن ننزه النبي(ص) عن ذلك.

ثانيا: النبي الأمي.... والأمة الأمية

١- الأمي والأميون في القرآن والحديث:

على أن المسألة لا تنحصر في الحديث النبوي الذي يروي كيفية ابتداء الوحي، فهناك آيات من القرآن الكريم تصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه "أمي"، وأخرى تصف العرب وبعض الذين يدعون أنهم من أهل الكتاب بـ"الأميين". وقد وردت هذه الآيات متسلسلة كما يلي، بحسب ترتيب النزول (تاريخ نزولها):

١ - قوله تعالى: **{ الَّذينَ يّتبعُونَ الرسول النبي الأمي الذي يجدونهُ مكتوبا عندهم في التوراةِ والإنجيل}**(٦) والمقصود النبي محمد.

٢- وقوله: **{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنُّونَ}**(٧).
المقصود: أناس من العرب اعتنقوا اليهودية ولا علم لهم بالتوراة، وإنما يختلقون كلاما ويقولون إنه من التوراة(٨).

٣ - وقوله: **{ ومن اتبعن وقل للذين اوتُوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلمُوا فقد اهتدوا}**(٩). الذين أوتوا الكتاب: هم اليهود والنصارى، أما الأميون فهم العرب.

٤ – وقوله: **{ ومن أهل الكتاب من إن تأمنهُ بقنطار يُؤدهِ إليك ومنهم من إن تأمنهُ بدينار لا يُؤدهِ إليك إلا ما دُمتَ عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}**(١٠). المقصود بـ" الأميين" هنا هم العرب، ومعنى العبارة: ليس علينا في غش العرب من حرج.

٥ – وقوله: **{هوَ الذي بعثَ في الأميينَ رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمةَ}**(١١). والمقصود: العرب.

الفهم السائد هو أن "الأمي" من لا يعرف القراءة والكتابة، فهل يصدق هذا على الآيات السابقة؟ الجواب عندنا بالنفي، لأن التقابل في كثير من هذه الأيات (١٢) هو بين طرف هو " الأمي" و " الأميون" من جهة، وبين طرف آخر هم " أهل الكتاب"، والمقصود بهم اليهود والنصارى، ومن جهة أخرى. وما به يفترق الطرفان هو أن الطرف الثاني لديه " كتاب" هو التوراة والإنجيل، والطرف الأول ليس لدية كتاب، فالأميون إذا هم الذين ليس لديهم كتاب سماوي. وقد جاء القرآن ليكون لهم كتابا خاصا بهم.

نعم هناك حديث نبوي يروى بصيغة: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب". وواضح أن لفظ هذا الحديث يفتح المجال لتأويلين: أحدهما أن تكون جملة " لا نكتب ولا نحسب" وصفا لـ" الأمية" كأنك قلت: " نحن أمة أمية، من صفاتها أنها لا تكتب ولا تحسب"، أو تكون الجملة بدلا أو عطف بيان، بمعنى أنها تفسر المعنى المقصود بـ"الأمية" في قوله " إنا أمة أميه". وفي الحالتين معا لا يمكن أن يكون معنى " أمية" هو الجهل بالكتابة والحساب، لأن معنى هذا الحديث سيصبح حينئذ كما يلي:" نحن أمة تجهل الكتابة والحساب، لا تكتب ولا

تحسب". وهذا تكرار لا معنى له. ومن هنا يبدو واضحا أن معنى " الأمية" شئ آخر غير "لانكتب ولا نحسب"! فكيف نفصل في هذه المسألة؟

٢ – الأمي والأميون في اللغة والاصطلاح:

للفصل في هذه المسألة لا بد من الرجوع الى المعنى اللغوي والمعني الاصطلاحي لكلمة "أمي".

- المعنى اللغوي: تمدنا المعاجم العربية بما تعتبره المعنى الأولي الأصلي للفظ "أمي"، فنقرأ فيها: " الأمي، الذي على خِلقة الأمةِ لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلة أمه، أي لا يكتُبُ، فكأنه نُسب الى ما يُولد عليه أي على ما ولدته أمهُ عليه ". وبهذا الاعتبار: " قيل للعرب: " الأميون "، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ". وقيل أيضا: والأمي: العَيي الجلف الجافي القليل الكلام؛ قيل له أمي لأنه على ما ولدته امه عليه من قلة الكلام وعُجمَة اللسان (١٣).

هذا المعنى اللغوي ليس نقلا عن العرب، بل هو اجتهاد من علماء اللغة في إيجاد أصل لكلمة " أمي" في لغة العرب، وهو "أصل" لا يستقيم مع الحديث المذكور والآيات السابقة لأنه يقوم على نسبة "الأمي" الى الأم كما وضعته، على "عجمة اللسان والعي والجفاء"، وهي صفات لا تليق لا بمقام النبي محمد (ص) ولا بمقام قومه وأمته.

والواقع أن لفظ "أمي" لفظ مُعرب، لا أصل له في اللغة العربية، وهذا ما يتضح من خلال معناه الاصطلاحي.

- المعنى الاصطلاحي: يرى كثير من اللغويين والمتكلمين والمفسرين أن لفظ "الأميين" يعني الذين ليس لهم كتاب ديني سماوي، فهم إذا في مقابل "أهل الكتاب، وبالتحديد اليهود أصحاب التوراة والنصارى أصحاب الإنجيل. وقد ذكر الراغب الإصبهاني نقلا عن الفرا قوله: الأميون: "هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"! وفي هذا المعنى يقول الشهرستاني:" وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الأسباط ويذهبون مذهب بني إسرائيل، والأميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بني إسماعيل"(١٤)

ويرى كثير من الباحثين أن اليهود كانوا يطلقون لفظ " الأمم" على غيرهم من الشعوب، أي على "الوثنيين" من عبدة الأصنام وغيرهم، وأن "الأمي" بهذا الاعتبار منسوب الى "الأمم". فكما كان الرومان يطلقون على غيرهم من الأمم اسم "باربار" بمعنى " المتوحشون"، وكما كان العرب يطلقون على غيرهم من الشعوب لفظ " العجم" لكون كلامهم (بالنسبة الى العربي) فيه عجمة لا يفهم، فكذلك كان اليهود يطلقون على غيرهم من الشعوب لفظ "الأميون"، أي المنسوبون الى "الأمم" الأخرى التي ليس لديها كتاب منزل.

بهذا المعنى الاصطلاحي يجب فهم العبارات التي وردت فيها كلمة "أمي" و" أميين"، في الآيات السابقة: فـ" الأميون" في سياق الخطاب في تلك الآيات هم " العرب" وبالتحديد القبائل العربية في مكة. يشهد لهذا المعنى ما ورد في القرآن من آيات تربط " القرآن" بالعرب الى جانب أخرى تربط " الكتاب"- والتوراة تحديدا – ببني اسرائيل، وذاك مثل قوله تعالى: **{ وَكَذَلِكَ أَوحَينَا إليكَ قُرآنَاً عَربِياً لِتُنذرِ أُمَ القُرَى وَمَنْ حَولَهَا}** (١٥) وقوله:

{ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسى إماماً وِ َرَحْمَة وَهَذا كِتابٌ مُصدقٌ لِساناً عَربيا لينذر الذين ظَلَمُوا وبُشْرَى لِلمُحسنين} (١٦).

وواضح أن هذه الآيات تتحدث عن "القرآن" العربي اللسان في مقابل كتاب أهل "الكتاب"، وهم اليهود والنصارى. وهناك آيات أخرى تتحدث عن "المؤمنين" كطرف مقابل لـ "أهل الكتاب" أو "الذين أوتوا الكتاب" مثل قوله تعالى: **(وَما جَعَلنَا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتُوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتو الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا}**(١٧)

تلك هي النصوص القرآنية التي لها علاقة بالسؤال الذي طرحناه في مستهل هذا الفصل:" هل كان النبي يقرأ ويكتب"؟ ومن خلالها تبين لنا أن كونه " نبيا أميا" لا يعني بالضرورة أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، كما أن وصف القرآن للعرب بكونهم "أميين" لا يفيد بالضرورة أنهم كانوا لا يقرؤن ولا يكتبون.

يبقى بعد ذلك قوله تعالى: **{وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخُطُهُ بيمينك اذا لارتاب المُبُطلون}**، وهي الآية التي يستدل بها جل المفسريني، إن لم نقل جميعهم، على أن النبي لم يكن يعرف القراءة والكتابة. وسنعود الى هذه الآية بتفصيل في فقرة لاحقة.

٣- شهادات تفصل في الأمر...

أ - انتشار القراءة والكتابة في قريش:

بعد التدقيق في مضمون كلمة "أمي" في القرآن، وبعد أن تأكد لدينا أن معنى هذا اللفظ لا يفيد - بالضرورة - أنه(ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، يبقى علينا البحث في الشهادات التي يمكن أن تفصل في هذا الأمر، أعني الشهادات التي من شأنها أن تثبت أنه (ص) كان فعلا يقرأ ويكتب.

ولعل أول ما تجب الإشارة إليه في هذا الشأن أن الكتابة كانت منتشرة في مكة زمن النبي (ص) وقبله. تشهد لذلك تلك اللائحة الطويلة من أسماء الصحابة الذين كتبوا للنبي (ص)، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعلي وعثمان. أضف الى ذلك أن بعض الروايات تشير الى أنهم كانوا يقرؤون التوراة أيضا. فـ" في رواية مالك عن عمر رضي الله عنه أنه قال: رآني رسول الله وأنا أمسك مصحفا قد تشرمت حواشيه، فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة. فغضب وقال: والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي"(١٨) هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر ابن اسحاق في قصة إسلام عمر بن الخطاب أن هذا الأخير ذهب الى بيت أخته غاضبا عندما قيل له إنها أسلمت، فدخل عليها في بيتها فوجدها مع ختنه وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو، وعندهما خباب بن الأرث معه صحيفة فيها سورة (طه) يقرؤهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما". وبعد مشاجرة طلب عمر الصحيفة وقرأ صدرا من سورة طه ثم قال:" ما أحسن هذا الكلام وأكرمه"! وكان ذلك سبب إسلامه.

ليس هذا وحسب، بل تؤكد مصادرنا أن قصي بن كلاب الجد الأعلى للنبي (ص) كان يعرف القراءة والكتابة، وأن جده المباشر عبد المطلب بن هشام كان يقرأ ويكتب (١٩)، وفي خبر آخر لابن إسحاق أن عبد المطلب كان قد نذر إن وُلد له عشرة أولاد ثُم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم الى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل واحد منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمع، ثم ائتوني، ففعلوا". إن ذلك يعني أن عبد المطلب جد النبي وأولاده العشرة، بما فيهم عبد الله والد النبي، كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

وإذا أضفنا الى ذلك كله أن النبي كان قبل النبوة يتردد على الشام في تجارة لخديجة، التي تزوجته بسبب ما لمسته من أخلاقه وكفاءته، وأنه من غير المتوقع أن يكون جاهلا بالكتابة والحساب وهو يقوم بمهام التجارة – بينما كان أقرانه ممن هم أقل شأنا منه يعرفون ذلك – أدركنا كم هي راجحة الآراء التي قالت بأن النبي كان يعرف الكتابة والقراءة. وهذا في نظرنا لا ينال شيئا من كونه كان نبيا رسولا. فليس من شرط النبوة عدم المعرفة بالكتابة والقراءة. فالنبوة قائمة على الوحي، وليس على قراءة الكتب، كتب الدين أو غيرها.

ب - كتابة وثيقة صلح الحديبية، وشهادات أخرى!

على أن المسألة ليست مجرد أستدلال، فهناك روايات وأخبار نقلت عن الصحابة تفيد - وبعضها يؤكد - أن النبي (ص) كتب وقرأ بهذه المناسبة أو تلك، وفي مقدمة تلك الأخبار ما روي بصدد صحيفة الحديبية، ففي الحديث المعروف بـ"حديث البراء"، الذي رواه مسلم في صحيحه بصدد صلح الحديبية، أن النبي كلف عليا بن أبي طالب بكتابة عقد الصلح مع قريش، فقال له: " اكتب الشرط بيننا:" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله". فاعترض مُمثل قريش قائلا:" لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله". ويقول الراوي:" فأمر (النبي) عليا أن يَمْحَاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاها وكتب (النبي) ابن عبد الله(٢٠)، وقد روى البخاري في صحيحه الحديث نفسه مع إضافة الراوي عبارة " وليس يحسن يكتب" كجملة اعتراضية فجاءت العبارة كما يلي:" فأخذ رسول الله (ص) الكتاب – وليس يحسن يكتب – فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله" (٢١).

وقد علق القرطبي في تفسيره (٢٢)على ذلك بقوله:" قال علماؤنا رضي الله عنهم:
وظاهر هذا أنه (ص) محا تلك الكلمة التي هي رسول الله (ص) بيده وكتب مكانها ابن عبد الله".

وأضاف القرطبي:" ذكر النقاش عن الشعبي أنه قال: ما مات النبي(ص) حتى كتب".
وأشار القرطبي أيضا الى" حديث أبي كشة السلولي" ومضمنه: أنه (ص) قرأ صحيفة لعُيَيتى بن حصن وأخبر بمعناه. وأضاف:" ونقل عن القاضي عياض أن معاوية كان يكتب بين يدي النبي (ص) فقال له النبي:" ألق الدواة وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومدّ الرحمن، وجود الرحيم". ويرى بعضهم في كلامه (ص) عن الحروف، بما ذكر، دليلا على أنه كان يعرف أشكالها. وشبيه بهذا ما ورد في حديث رواه البخاري جاء فيه أن النبي قال:" الدَّجَّالُ مَمسُوحُ العَين، مكتُوبٌ بين عينيه كافر، ثُمَّ تهجاها: " ك ف ر ، يقرؤهُ كل مسلم" (٢٣). كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثا ورد فيه

ان ابن عباس قال:" اشتد برسول الله وجعه (في مرض وفاته) فقال: أئتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فتنازعوا "(٢٤). كما روى البخاري الحديث نفسه في صيغة أخرى ورد فيها أن النبي قال لمن حضروا بيته لعيادته أثناء مرض وفاته: " هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده". ويضيف الراوي:" فقال بعضهم: إن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله (ص):" قوموا". ويضيف الراوي:" فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كُل الرزية (هي) ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم" (٢٥). ويقال إن ابن عباس قصد بهذا أنه لو استجابوا لطلب النبي وأعطوه كتابا يكتب فيه، لكتب وصية يوصي فيها بالخلافة لعلي بن أبي طالب من بعده. غير أن هذا مجرد تخمين، وما يهمنا نحن هنا هو أن النبي طلب ان يكتب وأنه لا أحد من المحيطين به استغرب منه ذلك، بل بالعكس كان فيهم من قال:" قربوا يكتب لكم كتابا".

ج - تأويلات وتنازلات:

وبما أن معظم المفسرين قد ربطوا بين إعجاز القرآن وبين "أمية" الرسول (ص)، جاعلين من عدم معرفته للكتابة دليلا على أن القرآن معجزة له، لم يستطع أن يأتي بمثلها من كان يقرأ ويكتب من خصوم دعوته رغم تحدي القرآن لهم، بما أنهم قد ذهبوا هذا المذهب، فقد صعب عليهم التسليم بكونه كان (ص) يكتب ويقرأ، منذ طفولته حتى وفاته، فاضطربوا اضطرابا ملحوظا أمام الأحداث والأخبار المذكورة أعلاه، التي تفيد صراحة أو ضمنا أنه (ص) كان يقرأ ويكتب. ومن مظاهر هذا الاضطراب تقديمهم "بعض التنازلات" وكأن الأمر يتعلق بموضوع من الموضوعات التي يقال فيها " الضرورات تبيح المحظورات".

وقد جمع الآلوسي البغدادي (٢٦) في تفسيره عدة أقوال بصدد هذا الموضوع فقال: واختُلف في أنه (ص) هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا؟ فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة، واختاره البغوي في **التهذيب**، وقال: إنه الأصح. وادعى بعضهم أنه (ص) كان يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها... فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تَعَرف الكتابة حينئذ". ويضيف الآلوسي:" وروى ابن أبي شيبة وغيره: ما مات (ص) حتى كتب وقرأ". وقال:" وروى ابن ماجة عن أنس قال: قال: رسول الله: رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة " الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر". وعلق الراوي قائلا: " والقدرة على القراءة فرع الكتابة". وأضاف الآلوسي:" وممن ذهب الى ذلك أبو زيد عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة (الفقيه الأندلسي الشهير، القرن الخامس الهجري)، وصنف فيه كتابا، وسبقه اليه ابن منية. ولما قال أبو الوليد (الباجي) ذلك طُعن فيه ورمي بالزندقة وسُب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على ما ادعاه وكتب به الى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه".

د - مسألة لا يمنعها العقل ولا الشرع:

ويعلق الآلوسي على ما تقدم قائلا:" ومعرفة الكتابة بعد أميتهِ (ص) لا تنافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم. ولا يخفى أن قوله عليه الصلاة والسلام:" إنا

أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" ليس نصبا في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام، ولعل ذلك باعتبار أنه بعث عليه الصلاة والسلام وهو – وكذا أكثر من بعث إليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب – أميون لا يكتبون ولا يحسبون. فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد. وأما ما ذُكر من تأويل "كتب" في حديث البراء بـ"أمر بالكتابة" فخلاف الظاهر. ويضيف الآلوسي: وفي شرح **صحيح مسلم** للنووي عليه الرحمة، نقلا عن القاضي عياض، أن قوله في الرواية التي ذكرناها:" ولا يحسن يكتب، فكتب"، كالنص في أنه (ص) كتب بنفسه، فالعدول عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه. ثم قال: وقد طال كلام كُل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا فالله تعالى أعلم".

وفي هذا الاتجاه علق القرطبي على رأي من ينكر القول بكون النبي (ص) كان يعرف القراءة والكتابة، ناقلا كلام شيخه فقال:" قال شيخنا ابو العباس أحمد بن عمر: وقد أنكر هذا كثير من متفقهة الأندلس وغيرهم، وشددوا النكير فيه، ونسبوا قائله الى الكفر، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية، وعدم التوقف في تكفير المسلمين، ولن يتفطنوا؛ لأن تكفير المسلم كقتله، على ما جاء عنه (ص) في الصحيح، ولا سيما رميُ من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة؛ على أن المسألة ليست قطعية، بل مستندها ظواهر أخبار آحادٍ صحيحة، غير أن العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها".

ثالثا" وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبلِهِ مِن كِتابٍ وَلا تُّخطهُ

١ - روايات فيها تخبط:

نأتي الآن الى الآية التي يتمسك بها جل المفسرين كدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وهي قوله تعالى: **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}.** ولإعطاء فكرة عن تخبط بعض المفسرين في تفسير هذه الآية نورد ما يلي على سبيل المثال فقط. نقرأ في ما ذكره صاحب **تفسير روح البيان** (٢٧) بصدد شرح هذه الآية أن الشيعة قالت:" إنه (ص) كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نهي عنه بالوحي، وقالوا إن قوله:" ولا تخطه" نهي، فليس ينفي الخط. وأضاف صاحب **روح البيان**: وفي " الأسئلة المقحمة": قول الشيعة مردود، لأن " لا تخطه" لو كان نهيا لكان بنصب الطاء أو قال: لا تخططه بطريق التضعيف". وتساءل صاحب " الأسئلة المقحمة": كيف منّ الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال ولا من قبيل النقص"؟ ثم أجاب" إنما وصفه (الله) بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فإراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه، ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم، ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غُنية عن ذلك".

٢ - مسألة منهجية أساسية:

ونحن نرى أن السبب في مثل هذا الاضطراب إن لم نقل " التخبط" في تفسير كثير من الأيات القرآنية يرجع في الغالب - عندما لا يكون هناك تعصب مذهبي - الى عدم اعتبار

مسألة منهجية أساسية، وهي النظر الى كل آية داخل السياق الذي وردت فيه وتجنب اقتطاعها منه والتعامل معها كنص مستقل بذاته، والسياق في القرآن يتحدد بأمرين اثنين: **أولهما** الأيات التي تشكل كلا واحدا تندرج تحته الآية المراد تفسيرها، أي التي قبل هذه والتي بعدها، **ثانيهما** ظروف النزول، ونعني بها مرتبة السورة، التي تقع فيها الآية المراد تفسيرها، على سلم ترتيب النزول، ومناسبة نزول تلك الآية أو الأيات، وتبين المخاطب فيه، هذا فضلا عن التقيد بمبدأ: " القرآن يفسر بعضه بعضا"، كل ذلك حتى لا يبتعد التأويل بصاحبه عن معهود العرب، أعني عن فضائهم الحضاري الثقافي.

وبخصوص الآية التي نحن بصددها لا بُد من مراعاة الأمور التالي:

أ - يجب الانتباه الى أن سورة العنكبوت التي تقع فيها هذه الآية سورة مكية وأنها آخر ما نزل في مكة، وهذا يستلزم فهم آيات هذه السورة (٢٨) في ضوء ظروف استعداد النبي للهجرة الى يثرب (المدينة) حيث يقوم واقع جديد يختلف عن الذي كان في مكة. كانت في " يثرب" قبائل يهودية تشكل فيها نسبة كبيرة من سكانها، الأمر الذي يطرح تحديد الأسلوب الذي ينبغي أن يتعامل به النبي والمسلمون مع هؤلاء اليهود، وهم أهل كتاب؛ ومن المتوقع أن يجادلوا النبي في كثير من الأمور التي يختلف فيها القرآن مع كتابهم أو مع ما لديهم منه. وقد سبق لهم أن اقترحوا على مشركي قريش طرح أسئلة على النبي (ص) بقصد امتحانه وإحراجه وتحديه، والآيات التي تقع ضمنها الآية التي نحن بصددها، تشرح الأسلوب المطلوب في هذه الحالة.

ب - هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا بُد من استحضار الآيات التي تشكل معها كلا واحدا، يضفي على كل جزء منه معنى داخل إطار هذا الكل. وبالنسبة الى الآية التي نحن بصددها يجب فهمها في اطار السياق الذي يتحدد داخل الآيات السبع التي تندرج معها في سياق واحد (٢٩) . إن عدم استحضار المفسرين للسياق – كما يتحدد من خلال هذه الآيات – هو الذي جعلهم يقحمون فيها مسألة ما إذا كان الرسول (ص) يعرف القراءة والكتابة ويأتون بتفسيرات وتأويلات مترددة بين النفي والإثبات، وبأخرى بعيدة تماما عن مجال هذه الآيات! وأكثر من ذلك نجدهم يتحيرون في فهم عبارات في هذه الآيات فيخرجونها عن إطارها بإقحام أمور لا علاقة لها بها.

وسيطول بنا المقال لو أخذنا في بيان ذلك انطلاقا من الآية رقم ٤٦. سنقتصر إذا على الآية التي تخص موضوعنا. قال تعالى: **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينِكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}**، إنها الآية التي يتخذ منها المفسرون جميعهم دليلا على أن النبي (ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وإن كان بعضهم يضطر الى القول إنه تعلم ذلك في مرحلة متقدمة من الدعوى المحمدية. وهنا يجب أن نلاحظ أن هذه الآية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالآية السابقة لها، أعني قوله تعالى: **{ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون}**(٣٠). وقد عبر القرآن عن مضمون جحدهم في آية أخرى فقال تعالى: **{ وقال الذين كَفَروا إن هذا إلا إفكٌ افتراهُ وأعانهُ عليهِ قوم آخرونَ فقد جاءوا ظُلما وزُورا}**(٣١). ولذلك يرد عليهم القرآن بتوجيه الخطاب الى النبي (ص): إن هذا الجحود والاتهام بافتراء القرآن كان يمكن أن يكون مبررا ومقبولا لو كان حالك، قبل نزول القرآن عليك، كحال الأساقفة والرهبان الذي يقرؤون التوراة أو الإنجيل وينسخونها. وهذا ما لم يحصل ولم يعرف عنك أنك كنت "

تتلو" التوراة و " تخطها"، تنسخها، " بيمينك". فالمقصود في قوله تعالى{ **وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتاب}** هو أحد كتب " أهل الكتاب". فهي وحدها التي يمكن أن ينصرف إليها اتهام قريش بكونه كان ينسخ منها. وهذا ما تشهد له آيات أخرى منها قوله تعالى: **{ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان }**(٣٢) وقوله: **{ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا}**(٣٣) وقوله: **{ ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربي مبين}**(٣٤) والمشار إليهم نصارى من الموالي والعبيد.

وأكثر من هذا وذاك فهؤلاء " المبطلون" الذين يعرفون أن النبي لم يكن يستنسخ التوراة ولا الإنجيل يعرفون أن القرآن لم ينزل عليه مرة واحدة **كتابا جاهزا، فهم يشاهدونه ينزل عليه منجما مفرقا، آيات، آيات.**

ذلك قوله تعالى مباشرة بعد التي نحن بصددها:" **{ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون}** (٣٥).

تأتي هذه الآية إذا لتؤكد للنبي: أن هذا القرآن ينزل عليك آيات، آيات منجمة، تأتيك وحيا فتقرؤها على أصحابك فيحفظونها في صدورهم ناقلة إليهم العلم الحق. أما الذين ينكرون هذا، وهم يرونه ويشاهدونه فهم مبطلون ظالمون، جاحدون.

ولما كان هؤلاء الجاحدون يعرفون أنه لا يمكن أن يصدقهم الناس في ادعائهم أن القرآن كتاب ألفه محمد، في حين أنهم يرونه ينزل عليه منجما، آيات بعد أخرى وحسب مقتضيات الأحوال، لما كانوا يعرفون ذلك لجأوا الى اعتراض آخر فقالوا: لماذا لا يأتي محمد بمعجزات تعضد دعواه، كما أتى بها الأنبياء والرسل السابقون**؟!**

ذلك قوله تعالى: **{ يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه}**(٣٦)

ويأتي الرد عليهم في نفس الآية، قل يا محمد: المعجزات من عند الله. وليس لبشر أن يأتي بمعجزة من عنده، أما أنا فمجرد رسول: مهمتي تبليغ رسالة الله إليكم، أنذركم وأحذركم من عاقبة أعمالكم بكلام مبين تفهمونه، يدعوكم الى استعمال عقولكم.

ذلك قوله تعالى: **{ قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين}**(٣٧)

يلي ذلك استفهام استنكاري: **{ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون}** (٣٨)، وهذا يشير الى أن معجزة النبي محمد هي القرآن لا غيره.

بعد ذلك يأتي ختم السياق: **{قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون}**(٣٩)

رابعا: الأمية ليست علامة على المعجزة

" وكُل شيء عند العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام"

ليس في القرآن، إذا، ما يدل على أن النبي محمد كان يجهل القراءة والكتابة. لقد أوضحنا أن وصفه بـ" النبي الأمي" لا يعني أنه " أمي" بمعنى عدم المعرفة بالقراءة

والكتابة بل لأنه من " الأمم" التي ليس لها كتاب منزل. وكذلك الشأن في لفظ " الأميين" الوارد في القرآن كقوله تعالى **{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم}**، فالمقصود هم العرب في مقابل أهل الكتاب من اليهود والنصارى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بينا بتفصيل كيف أن قوله تعالى **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينِكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}**، لا يدل على أنه كان يجهل القراءة والكتابة، فهذا المعنى يقع خارج سياق هذه الآية.

ومع أن في ما تقدم ما يكفي في هذا الموضوع فإنه من المناسب هنا بيان كيف أن خصوم النبي من قريش لم يتهموه بكونه كتب القرآن. لقد اتهموه بكونه كان يتلقى ما ورد فيه، وخاصة القصص، من أشخاص من أهل الكتاب (نصارى) كانوا في مكة وكان يجلس الى بعضهم، ولكن لم يذكر أحد من الرواة أن خصوم الدعوة المحمدية من قريش قد نسبوا إليه كتابة القرآن، ليس لأنهم كانوا يعرفون أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل لأن المعرفة بالكتابة والقراءة عندهم، وعند جميع الأمم الى اليوم، ليست شرطا في الإتيان بالكلام البليغ. فالقول البليغ ليس مرهونا بالمعرفة بالقراءة والكتابة، وقد كان شعراء العرب وخطباؤهم يقولون الشعر ويخطبون ارتجالا من دون إعداد، لا قولا ولا كتابة.

وفي هذا يقول الجاحظ عن العرب:" وكل شيء عند العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو (العربي) أن يصرف همه الى الكلام والى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر (...)، فما هو إلا أن يصرف همه الى جملة المذهب، والى العمود الذي اليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتنثال الألفاظ انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدسه أحد من ولده (...)، وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب". وهذا يصدق ليس على العرب وحدهم، بل على الخطاب الإبداعي: ما ينسب منه الى الفطرة والسليقة الإلهام، فكيف بما هو من قبيل الوحي!.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا بُد من أن نستحضر في أذهاننا أن ما حمل علماء المسلمين من جميع الفرق على نفي المعرفة بالقراءة والكتابة عن النبي، سواء قبل البعثة فقط أو بعدها الى مرحلة ما من حياته، هو - حسب ما فهمنا من احتجاجاتهم – تأكيد الطابع المعجز للقرآن، بدعوى أنه إذا كان الذين يعرفون القراءة والكتابة من قريش لم يستطيعوا الإتيان بمثله، على الرغم من تحديه لهم، وكان النبي لا يعرف القراءة والكتابة وأتى بهذا القرآن، فذاك دليل على أنه وحي من الله.

وهذا النوع من الاحتجاج ان كان له مفعول في زمن، كالعصور الوسطى، حيث كان الناس ينظرون الى العارفين بالقراءة والكتابة بوصفهم أشخاصا حاصلين على امتياز خاص ليس عند جميع الناس، ومنهم من كان يوظف هذا الامتياز في ادعاء معرفة كل شئ، والإطلاع على الغيب بالكهانة والتأثير بالسحر وما أشبه، فإن الناس اليوم في عصر تعميم التعليم ونشر المعرفة لا يعطون المعرفة بالقراءة والكتابة كل تلك الأهمية. وهل يستطيع اليوم أمهر الكتاب وأعلاهم شأنا أن يأتي بمثل القرآن أو بمثل سورة من سوره؟ بل إنه لا أحد من الشعراء اليوم يمكن أن يأتي بشعر يماثل شعر المتنبي مثلا، ولا بخطبة مماثلة

لخطبة قس بن ساعدة، أو بمقامة من جنس مقامات الهمذاني أو الحريري، بل ولا بقصائد تتطابق مع قصائد نزار قباني. ذلك لأن الإبداع في القول، كما في الرسم والنحت، كما في الفكر والفلسفة، لا يمكن تقليده، لسبب بسيط هو أن التقليد هو بالتعريف: غير الإبداع.
والوحي المحمدي – القرآن – إذا نظر إليه من المنظور الأدبي فهو قمة البلاغة والإبداع، أما من المنظور الديني فهو تجربة روحية فريدة. وفي الفصول التالية البيان:

خامسا: عَود على بدء: الأفكار المتلقاة ... عوائق معرفية

عندما نبهت في فقرة سابقة (ثانيا/٢) الى خلو اللغة العربية من أصل للفظ " أمي" وما اشتق منه ("أمية " و"أميون")، وقلت إن هذه الكلمة معربة وأن أصلها يرجع الى لفظ " الأمم" الذي أطلقه اليهود على غيرهم ممن ليس لهم كتاب مُنزل، لم أكن أنطق عن الهوى، بل كان ذلك عندي نتيجة بحث واستقصاء ترتب عليهما موقف نقدي لتلك الفكرة التي تلقيتها (لست أدري كيف ومتى!) والتي تربط اسم" الأمي" والمصدر الاصطناعي"الأمية" بعدم معرفة القراءة والكتابة، وهو المعنى الذي نستعملهما فيه الى اليوم من دون أن يكون لهذا الاستعمال أصل في اللغة العربية يسنده، سوى ما جرت عليه العادة في مجال اللغة والفكر قتَّالة. فكم من كلمات نستعملها من دون أن نكلف أنفسنا السؤال عن أصلها ومصدرها، وكم من فكرة نتمسك بها من دون أن نعي أننا لا نعرف لها أصلا، بل كم من لفظ نستعمله في لغتنا العربية القديمة/الجديدة من دون أن ننتبه الى أننا نُحمل ذلك اللفظ معنى لا أصل له في اللغة.

نعم، العادة والاستعمال من المرجعيات الأساسية في كل لغة، ما في ذلك شك. لكن ليس هذا شأن "الأمي"! فهذا اللفظ – مفردا وجمعا – مصطلح قرآني خاص، مثله مثل المصطلحات القرآنية الأخرى التي ليس لها أصل في اللغة العربية. دليل ذلك أن أيا من المعاجم العربية لم تذكر شاهدا من الشعر أو النثر العربي قبل الإسلام ورد فيه لفظ " الأمي" بمعنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة. كل ما فعلته تلك المعاجم هو أنها حاولت أن تجد لهذا اللفظ صلة مع لفظ "الأم". وكان اللغوي الزجاج قد اقترح أن يكون لفظ " الأمي" نسبة الى الأم، ثم أوله تأويلا فقال: سمّي بذلك لأنه يكون على الحال التي تلده عليه أمه: لا يقرأ ولا يكتب! وقد أخذ عنه آخرون هذا " التأويل" وتبناه صاحب **لسان العرب** مما أعطى له صدقية. فصار" الأمي" هو " من لا يعرف القراءة والكتابة".

وواضح أن هذا مجرد تأويل! وهو في نظري تأويل ضعيف. ذلك أن الزجاج توفى سنة ٣١٠ هـ، فليس هو من جامعي اللغة، فعصر جمع اللغة كان قد انتهى وجاء بعده عصر "الكلام" في اللغة والعقائد إلخ. والزجاج " متكلم" فيهما، والمتكلم "مؤول"، صاحب مذهب! فهو عندما يشرح معاني ألفاظ القرآن، كلفظ " النبي الأمي"، يفعل ذلك ليس كلغوي وحسب بل كمتكلم أيضا. ويبدو أنه لم يسبق لأحد من اللغويين أن فسر لفظ " الأمي" بما فسره به الزجاج. دليل ذلك أن صاحب لسان العرب قد نسبه إليه وحده.

وإذاً فتأويل لفظ " الأمي" بعدم المعرفة بالقراءة والكتابة حدث في عصرلا يعد علماؤه مرجعا في اللغة. لكن بما أن هذا اللفظ قد وُصف به النبي في القرآن (" النبي الأمي") فقد حُملَ ذلك المعنى الذي أعطاه له الزجاج، ومن ثم استقر في أذهان الناس أن رسول الإسلام

عليه الصلاة والسلام كان " أميا" بمعنى أنه " لا يقرأ ولا يكتب". وبسرعة وظف هذا الفهم في تأكيد كون القرآن معجزة له (ص)، لكونه تحدى خصومه أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، بينما جاء به هو، (ص)، وهو " لا يعرف القراءة والكتابة". حصل ذلك في عصر انشغل فيه المتكلمون والبلاغيون بمسألة إعجاز القرآن (٤٠). وهكذا صار تأويل الزجاج لكلمة " أمي"، في خدمة " المذهب" الكلامي البلاغي، لا بل في خدمة " المقدس" أيضا، الأمر الذي جعل فكرة كون " الأمي" هو من لا يعرف القراءة والكتابة، تتحول الى واحدة من الأفكار المسماة بـ (Idees recues, Received Ideas) ، الأفكار التي يسلم بها الناس من دون أن يعوا أنهم يسلمون بها من دون فحص ولا نقد. وهكذا صار من الصعب قبول المس بها لأن "الأفكار المتلقاة" تصوغ عالم المتلقي لها، وذلك الى درجة أن هذا الأخير يقوم بصورة آليه برد فعل سلبي رافض أمام كل نقد يمُسها وكأنه يخاف أن ينهار عالمه ذلك. ومن جملة ردود الفعل السلبية هذه ما يكون لا شعوريا – وهذا أخطر- ويتجلى في كون العقل المكبل بـ" الأفكار المتلقاة" لا " يرى"، لا بقلبه ولا ببصره، أي وجهة نظر تقترح رأيا مخالفا حتى ولو قرأ وجهة النظر تلك ألف مرة!

ذلك ما يفسر كون العقل المكبل بـ" الأفكار المتلقاه" لا يسأل نفسه: هل تستقيم نسبة " الأمي" الى " الأم"؟ إن طرح سؤال مثل هذا، بدافع الرغبة في البحث عن الحقيقة، كان سيدفع صاحبه الى الرجوع الى "مقاييس اللغة"، أعني المقاييس التي تضبط بها ألفاظ اللغة العربية من حيثُ ارتباط الفروع فيها بأصولها. وسواء قبلنا بمثل هذه المقاييس من ناحية ما تقرر في " اللسانيات الحديثة " أم لا، فإن مما لا يمكن إنكاره هو أن " صانعي" اللغة العربية الفصحى، وأعني الذين وضعوا قواعد وضوابط لأوزانها وصيغها قد استلهموا نموذج " القبيلة" في بناء صرحها الدلالي، فأرجعوا جميع ألفاظها الى أصول معينة (شيوخ القبائل)، ثم عينوا لكل واحد من هذه الأصول معنى لا يتغير بتغير موقع حروفه بعضها بالنسبة لبعض، وجعلوا ذلك المعنى ينساب في فروع تلك الأصول، وسموا هذا بالاشتقاق الأكبر (مثل: ضرب، ضبر، ربض، رضب إلخ..).

ذلك ما دونه ابن فارس في كتابه الشهير **مقاييس اللغة** حيثُ نقرأ بصدد الأصل المؤلف من الهمزة والميم "أم" (أصل كلمة أمي) ما يلي: وأما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب وهي: الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي: القامة، والحِين، والقَصد"! وسواء قبلنا بهذا النوع من التنميط للغة العربية أم لا، فإن الشاهد عندنا هو أنه ليس في الأصول ولا في الفروع التي قال بها اللغويون المقعدون للغة العربية ما يجعل لفظ " الأمي" يتضمن معنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة"! هذا يؤكد ما سبق أن قلناه من أن لفظ " الأمي" – مفردا وجمعا – مصطلح قرآني خاص.

وأمام غياب أصل لغوي للفظ " أمي"، في العربية، ذهب كثير من المتأخرين مذاهب مختلفة في البحث عن أصل مرجعي قرآني لهذا اللفظ في القرآن نفسه، خارج تأويل الزجاج الذي لا يستقيم مع كثير من الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ، كما بينا قبل. قال بعضهم: إن المقصود بـ" الأمي" في قوله تعالى " النبي الأمي" أنه المنسوب الى " أم القرى"، أي مكة وأن " الأميين" هم أهلها، وذلك استنادا الى قوله تعالى: **{ ولتنذر أمُ القرى ومن حولها}** (٤١)، وقال آخرون إن النسبة في " النبي الأمي" هي الى " أم الكتاب" لقوله تعالى عن

القرآن **{ وإنه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم}**(٤٢) وهكذا صارت كلمة " أم" مرجعا للفظ " أمي" سواء قصد بها " الأم" في مقابل الأب، أو" الأم" بمعنى اصل الشيء أو. أو.

والحق أن لفظ " أم" بهذا المعنى قد صار يشكل عائقا معرفيا.

ذلك ما يفسر كون العقل المكبل بـ " الأفكار المتلقاة" لا يعير أي اهتمام لآراء علماء في اللغة في مستوى الزجاج مثل الفراء الذي قال:" الأميون" هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"! هذا مع أن الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) كان أحق أن يتبع، بدلا من الزجاج. ذلك لأن الفراء سبق الزجاج بقرن من الزمن (توفى سنة ٢٠٧هـ) وألف عدة كتب من بينها كتاب **معاني القرآن** الذي قال فيه اللغوي المشهور أبو العباس ثعلب:" لم يعمل أحد قبله ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه".

ذلك ما يفسر أيضا كون العقل المكبل بالأفكار المتلقاة لا يعير أي انتباه لكون علماء كبار، مفسرين وفقهاء، قد ترددوا في قبول تأويل الزجاج، وأخذوا برأي الفراء، فجعلوا لفظ " الأمي" منسوبا لا الى" الأم"، بل الى" الأمة" وبالتالي الى الأمم التي ليس لديها كتاب مُنزل.

من هؤلاء العلماء الفقيه والباحث المحقق ابن تيمية: الذي اختار هذا الرأي، رأي الفراء. قال:" الأميون نسبة الى الأمة. قال بعضهم: الى الأمة وما عليه العامة. فمعنى الأمي: العامي الذي لا تمييز له. وقال الزجاج: هو على خلق الأمة التي لم تتعلم فهو على جبلته، وقال غيره: هو نسبة الى أمة، لأن الكتابة كانت في الرجال من دون النساء؛ ولأنه على ما ولدته أمه". ويضيف الشيخ ابن تيمية معترضا على هذا الرأي قائلا:" والصواب: أنه نسبة الى الأمة، كما يقال: عامي نسبة العامة التي لم تتميز بما تمتاز به الخاصة، وكذلك هذا (يعني الأمي) لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة". ثم أضاف:" ويقال الأمي لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه وإن كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل، وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين، فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله، قال الله تعالى: **{ ومن اتبعن وقل للذين أوتُوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا}** وقال: **{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم}**.

وقد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب، وكلهم أميون (...) فالمسلمون أمة أميه بعد نزول القرآن وحفظه". وقال في معنى " الأمي" في قوله تعالى: **{ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي}** (٤٣) " هو أمي بهذا الاعتبار؛ لأنه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب (يعني التوراة والإنجيل)، لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ". ثم أضاف:" وقد يقال: إن قوله:**{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون}** أي: لا يحسنون الخط، وإنما يحسنون التلاوة، ويتناول – أيضا- من يحسن الخط والتلاوة، ولا يفهم ما يقرؤه ويكتبه كما قال ابن عباس وقتادة: غير عارفين معاني الكتاب، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم، ولا يدرون ما فيه". ويشرح ابن تيمية المقصود بالكتاب هنا فيقول:" والكتاب هنا المراد به: الكتاب المنزل، وهو التوراة؛ ليس المراد به الخط، فإنه قال:**{ وإن هم إلا يظنون}** فهذا يدل على أنه نفى عنهم العلم بمعاني الكتاب (...)، وهؤلاء وإن كانوا يكتبون ويقرؤون فهم أميون من أهل الكتاب، كما نقول نحن لمن

كان كذلك: هو أمي، وساذج، وعامي، وإن كان يحفظ القرآن ويقرآ المكتوب إذا كان يعرف معناه" (٤٤).

هل تحررنا من "العائق" اللغوي الذي وضعه الزجاج من دون أن يقصد ذلك (لأنه كان يريد الشرح والبيان، أي إزالة عائق الجهل، فاجتهد فأخطأ، والمخطئ في هذا المجال، وبهذا القصد، غير ملام؟!).

لا أعتقد! فالعوائق عندما تلتصق بالمقدس. والمقدس هنا هو " المعجزة" التي دليلاها – ويا للعجب – عدم المعرفة بالقراءة والكتابة!

ومهما يكن، فليس تأويل الزجاج للمعنى " النبي الأمي" هو وحده الذي يجب التحرر منه. هناك عوائق أخرى من هذا القبيل!

الهــوامــش

* القرآن"سورة العلق،" الآيات ١- ٥.

١- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**،ج ٣، الحديث رقم ٦٥٨١.
٢- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، ٦ج، ط٢(بيروت:دار الكتب العلمية،١٩٨٨)ج١، ص٥٣١.
٣- اقتصرنا على هذه الروايات الثلاث وحدها لأن الروايات الأخرى منقولة عنها.
٤- **القران الكريم**، "سورة العنكبوت،" الآية ٤٨.
٥- ٦- نفس المرجع، "سورة الأعراف،" الآية ١٥٧.
٧- نفس المرجع، "سورة البقرة،" الآية ٧٨.
٨- يميل جميع المفسرين تقريبا الى تفسيركلمة "أميون" في هذه الآية بالذين يجهلون القراءة والكتابة من اليهود. ونحن الذين نرى أن معنى "الأمي" و"الأميين" و"الأمة الأمية" في القرآن والحديث ليس عدم المعرفة بالقراءة والكتابة نرجح ما قاله ابن عباس في معنى "أميون" في الآية أعلاه. قال في ما رواه الطبري:"الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال:هذا من عند الله. وقال: قد أخبر- القرآن – أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله".
٩- نفس المرجع، "سورة آل عمران،" الآية ٢٠.
١٠- نفس المرجع، "سورة آل عمران،" الآية ٧٥.
١١- نفس المرجع، "سورة الجمعة،" الآية ٢.
١٢- {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم.ذلك فضل الله يؤيته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين{ [نفس المرجع،"سورة الجمعة،" الآيات ٣- ٥].
١٣- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ١٥ج (بيروت: دار صادر،[١٩٥٥- ١٩٥٦])، ج١٢، ص٣٤.
١٤- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل،٣ج في ١مج (القاهرة:مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٩٦٨)، ج٢،ص١٣.
١٥- القرآن الكريم،"سورة الشورى،" الآية ٧.
١٦- نقس المرجع، "سورة الأحقاف،" الآية ١٢.
١٧- نفس المرجع، "سورة المدثر،" الآية٣١. ويقصد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى. ويقصد بالذين آمنوا أولئك الذين آمنوا بالرسول محمد(ص)، أما "الكافرون" فهم مشركو مكة.
١٨- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي.راجع أيضا:أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام بن حنبل**، الحديث رقم١٤٣٤١.
١٩- أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر،٢ج في١مج (ليبزغ: فوغل، ١٨٧١- ١٨٧٢).
٢٠- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، الحديث رقم ٣٣٣٦.
٢١- البخاري، **صحيح البخاري**، باب عمرة القضاء، الحديث رقم ٤٠٠٥.
٢٢- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ج (القاهرة: دار الكتب المصرية،١٩٣٣- ١٩٥٠)، ج١٣، ص٣٥١.
٢٣- البخاري، نفس المرجع، الحديث رقم ٥٢٢١.
٢٤- نفس المرجع، الحديث رقم ٣٠٨٩.
٢٥- نفس المرجع، باب مرض النبي(ص) ووفاته، الحديث رقم ٤٢٣.

٢٦- أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي الكبير، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ٣٠ج (بيروت:دار إحياء التراث العربي، [د.ت.])، ج٢١،ص٤. والآلوسي من علماء القرن الثالث عشر الهجري.

٢٧- أبو الفداء إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ط٧(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٤).

٢٨- هناك من سيتثني بضع آيات منها قالوا إنها نزلت في المدينة ولكن ليس من بينها الآيات التي نحن بصددها.

٢٩- {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوآمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون. وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون. وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون. بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقو يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين أمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون} [القرآن الكريم، "سورة العنكبوت،" الآيات ٤٦- ٥٢].

٣٠- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية ٤٧.

٣١- نفس المرجع، " سورة الفرقان،" الآية ٤.

٣٢- نفس المرجع، " سورة الشورى" الآية ,٥٢

٣٣- نفس المرجع، " سورة الفرقان،" الآية ٥.

٣٤- نفس المرجع، " سورة النحل،" الآية ,١٠٣

٣٥- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية ,٤٩

٣٦- نفس المرجع، " سورة يونس،" الآية ٢٠.

٣٧- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية ٥٠.

٣٨- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية ٢٩.

٣٩- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" ٥٢.

٤٠- كان ذلك في وقت انتشرت فيه كتب منكري النبوة وقد لجأ المتكلمون المسلمون الى الرد عليهم بالقول إن علامة نبوة محمد(ص) هو أنه جاء بالقرآن على ما هو عليه من الفصاحة والبيان وهو أمي" لا يقرأ ولا يكتب"، بينما عجز العرب عن الإتيان بمثله وهم المعروفون بالفصاحة والبلاغة إلخ. وإذا فتأويل "الأمي" بـ" عدم المعرفة بالقراءة والكتابة" كان لضرورة حجاجية ظرفية، ولم يكن له علاقة بأي أصل في اللغة العربية. راجع: الفصل ٤ من هذا الكتاب.

٤١- **القرآن الكريم**، " سورة الأنعام،" الآية ٩٢.

٤٢- نفس المرجع، " سورة الزخرف،" الآية ٤.

٤٣- نفس المرجع، " سورة الأعراف،" الآية ١٥٨.

٤٤- راجع: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،" تفسير صورة الإخلاص،" في: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **الفتوي** (الرباط: مكتبة المعارف، [د.ت.])، ص ٤٣٥.

القرآن غير معجز علميا

منذ أكثر من نصف قرن هاجم الشيخ الراحل الإمام الأكبر محمود شلتوت خرافة الإعجاز العلمي للقرآن قائلا: لسنا نستبعد إذا راجت عند الناس في يوم ما نظرية دارون مثلا أن يأتي إلينا مفسر من المفسرين الحديثين فيقول أن نظرية دارون قد قال بها القرآن منذ مئات السنين. وفي كتابه تفسير للقرآن الكريم ص ١٣ يقول عن التفسير بالإعجاز العلمي " إن هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك. أولا: لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف. ثانيا: لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ولا يستسيغه الذوق السليم. ثالثا: لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات."

وعلى نفس منهج الإمام الأكبر محمود شلتوت كتبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء:

" لا بد أن يكون فهمنا لكتاب الإسلام محررا من كل الشوائب المقحمة والبدع المدسوسة، بأن نلتزم في تفسيره ضوابط منهجية تصون حرمة كلماته فنرفض بها الزيف والباطل، ونتقى أخذة السحر، وفتنة التمويه، وسكرة التخدير"، أن " الكلام عن التفسير العصري للقرآن يبدو في ظاهره منطقيا ومعقولا يلقي إليه الناس أسماعهم، ويبلغ منهم غاية الإقناع، دون أن يلتفتوا الى مزالقه الخطرة التي تمسخ العقيدة والعقل معا، وتختلط فيها المفاهيم وتتشابه السبل فتفضى الى ضلال بعيد، إلا أن نعتصم بإيماننا وعقولنا لنميز هذا الخلط الماسخ لحرمة الدين المُهين لمنطق العصر وكرامة العلم"." الدعوة الى فهم القرآن بتفسير عصري ـ علمي ـ على غير ما بينه نبي الإسلام، تسوق الى الإقناع بالفكرة السامة التي تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أميين، في عصر كان يركب الناقة والجمل لا المرسيدس والرولز رويس والبوينج وأبوللو، ويستضئ بالحطب لا بالكهرباء والنيون، ويستقي من نبع زمزم ومياه الآبار والأمطار لا من مصفاة الترشيح ومياه فيشي ومرطبات الكولا!! ونتورط من هذا الى المنزلق الخطر، يتسلل الى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا وأسرار البيولوجيا والإلكترون والذرة فليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري".

" الذي لا أفهمه، وما ينبغي لي أن أفهمه، هو أن يجرؤ مفسرون عصريون على أن يخرجوا على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعه وكيمياء وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجيا وبيولوجيا وفسيولوجيا ... الخ، إلا أن أتخلى

عن منطق عصري وكرامة عقلي فآخذ في المجال العلمي بضاعة ألف صنف معروضة في الأسواق!، وإلا أن أتخلى عن كبرياء علمي وعزة أصالتي فأعيش في عصر العلم بمنطق قريتي حين يفد عليها الباعة الجوالون بألف صنف، يروج لها ضجيج إعلاني بالطبل والزمر عن كل شئ، أو بتاع كله في فكاهتنا الشعبية الساخرة بالإدعاء".

يقول الدكتور خالد منتصر في كتابه الشهير " وهم الإعجاز العلمي":

تشبيه بنت الشاطئ لدعاة الإعجاز العلمي بالحواة هو تشبيه دقيق ومهذب فالتشبيه الأكثر دقة هو أنهم نصابون متاجرون بمشاعر المسلمين المتعطشين لأي تفوق أو إنتصار علمي في عصر هم فيه في مؤخرة العالم، ويكفي هذا الدليل البسيط المسمى بإعجاز بيت العنكبوت والذي ردت عليه الكاتبة بشكل منطقي وواضح ولا يحتمل اللبس مما جعلهم يقعون في حيص بيص ويتحولون الى مسخرة ويتعرون أمام مؤيديهم، والمسألة ببساطة أن دعاة الإعجاز العلمي إكتشفوا في تأنيث القرآن للعنكبوت إعجازا علميا في قوله تعالى " مثل الذين إتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت إتخذت بيتا"، وتبنى د. مصطفى محمود هذا الرأي وإعتبره من الإعجاز العلمي قائلا " لأن العلم كشف مؤخرا أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن" وترد د. بنت الشاطئ ساخرة أنه وقع في خطأ لا يقع فيه المبتدئون من طلاب اللغة العربية فالقرآن في هذه الآية يجري على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم الوثنية، كما أنثوا مفرد النمل والنحل والدود، فلم يقولوا في الواحدة منها إلا نملة ونحلة ودودة، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم المفسر العصري، فأي عربي وثني من أجلاف البادية كان ينطقها هكذا فأين الإعجاز العلمي في هذا الكلام؟ والمصيبة أن المفسر العصري يوقع نفسه في فخ يقرب المسلم من الكفر وليس من الإيمان نتيجة البلبلة والتناقض "واللخبطة" التي يقع فيها، فالقرآن الذي يصف بيت العنكبوت بالوهن والضعف يأتي المفسر العصري تحت شهوة الإعجاز العلمي فيهدم المعبد على ساكنيه ويصرح بأن " خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من بيت الحرير وأكثر مرونة" ص ٢١١ كتاب التفسير العصري لمصطفى محمود!!! وعلى هذا المنوال يمضي إمام الإعجاز العلمي في كتابه فيستنبط الإعجاز العلمي من قوله تعالى " أتاها أمرنا ليلا أو نهارا" بأنه لا تفسير لها إلا أن تكون الأرض كروية دوارة نصفها ليل ونصفها نهار! ص ١٤٦، وهذا تفسير في منتهى التعسف فقد جرى على لسان العرب آتيك ليلا أو نهارا دون أن يدعي أعرابي أنه قد أتى بالإعجاز العلمي، أما ثالثة الأثافى فهي إستنباطاته العلمية من آية آل عمران " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون"، فقد توصلت عبقريته الإعجازية الى ما لم يخطر على عقل بشر فقد إستنبط منها كل هذه القوانين" قانون الضغط الأوسموزي وقانون التوتر السطحي وتماسك العمود المائي والتوازن الأيوني وقانون التفاضل الكيميائي بين هورمون وهورمون وقانون رفض الفراغ والفعل ورد الفعل!.

ظاهرة د. زغلول النجار. تحت هذا العنوان يكتب د. خالد منتصر:

أخطر خلل في ممارسة أصحاب بازارات الإعجاز العلمي هو كيفية التعامل مع اللغة، فهم يتعاملون مع اللغة على أنها مطية لتفسيراتهم الوهمية، وعجينة تتشكل في أيديهم حسب

الرغبة، فتارة تصبح الكلمة لها معنى وتارة أخرى يحملونها معنى آخر تماما لم يكن على البال أو الخاطر إلا بال وخاطر أصحاب فضيلة وفخامة البيزنس الإعجازي. إستعمال اللغة المتعسف، ولوى عنق العبارات لتتفق مع تفسيرات سماسرة الإعجاز، كل هذا خلق فجوة واسعة وعميقة بيننا وبين فهم القرآن على حقيقته، وحول المسألة الى لعبة جلا جلا نستطيع بها إخراج أي معنى مسبق في أذهاننا بمجرد فرد الكلمة وثنيها وتشكيلها وعجنها وفعصها حتى تخدم أوهام البعض العنصرية المريضة بداء التفوق المزيف المخلوق من سراب، والأمثلة على هذا التعسف المضحك المبكي الذي يمارسه الإعجازيون كثيرة وسنختار منها بعض الأمثلة التي تشير الى عملية النصب الإعجازي في مولد سيدي زغلول، وسأورد الآية ثم أورد إعجازها العلمي الذي يدعونه ويليها معنى الكلمة الحقيقي المتعارف عليه في قاموس العرب

حينذاك والذي أوصل الدلالة اللغوية الصحيحة وإعتمد عليها المفسرون:

- **الآية:"** فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء".

الإعجاز: الآية أخبرتنا بالحقيقة العلمية أنه كلما إرتفع الإنسان في السماء إنخفض الضغط الجوي وقل الأوكسيجين وصعب التنفس.

المعنى الحقيقي في قاموس العرب: يصعد في "كذا" بتشديد الصاد تعنى محاولة على مشقة في عمل مستحيل، فالمراد من الآية هنا هو تشبيه ضيق الصدر الكافر بضيق الشخص الذي يحاول الصعود الى السماء فلا يستطيع لأنها عملية مستحيلة، ولا علاقة لهذا بما يقوله الإعجازيون أنه صعد الى السماء فعلا.

- **الاية:"** والأرض بعد ذلك دحاها".

- **الإعجاز**: أثبت القرآن قبل ١٤٠٠ سنة أن الأرض ليست كروية فحسب بل إنها بيضاوية كبيضة النعامة أو كالأدحية.

- **المعنى الحقيقي في قاموس العرب**: دحا الأرض أي بسطها ومدها، أما الأدحية التي يزعم سماسرة الإعجاز أنها أشارت لأحدث البحوث الفلكية التي أثبتت الشكل البيضاوي الأرض فهي لا تعني بيضة النعامة ولكنها تعني مبيض النعامة أي المكان الذي تبيض فيه وسُميَ كذلك لأن النعامة تدحوه أي تبسطه وتوسعه، فكيف يصبح بقدرة قادر دليلا على الشكل البيضاوي، ولو سلمنا مع الإعجازيين أنها بمعنى البيضة فسنوقع أنفسنا في فخ شائك ومطب خطير وهو أننا سنجد أنفسنا مطالبين بإثبات أن الشعراء كانوا يملكون في أشعارهم إعجازا علميا، والأخطر أنه سيأتي البعض ويطلبون منا أن نعتبر الشعر الجاهلي كتابا سماويا ينافس القرآن حاشا لله، وإلا فليرد الإعجازيون ويفسرون هذا البيت الشعري الذي قاله شاعر عربي قبل عصر النبوة وهو زيد بن عمرو بن نفيل، تقول الأبيات:

لـــه الأرض تحمـل صخرا ثقـالا	أسلمـت وجـهي لمـن أسلمـت
على الأرض أرسى عليها الجبال	دحــاهـا فلمـا رآهـا إستـــوت

وإذا سايرنا الإعجازيين في إستنتاجاتهم الوهمية علينا وقتها أن نمنح هذا الشاعر لقب نبي ونطلق على شعره الشعر المقدس المُنزل لأنه يحتوي على إعجاز!!!.

- **الآية**: " خلق الإنسان من علق". والآية الأخرى "ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة".

الإعجاز العلمي: كما كتبه د. زغلول النجار في جريدة الأهرام ١١ أكتوبر ٢٠٠٤ فالآية تشير الى مرحلة جنينية محددة هي مرحلة العلق وهي ديدان خلقية تحيا في الماء العذب وتعيش متطفلة على العديد من العوائل الفقارية، والجنين في مطلع الأسبوع الثالث يأخذ هيئة دودة العلق في شكلها.

المعنى الحقيقي في قاموس العرب: العلق هو الدم الغليظ ولا علاقة له بهذه الدودة التي يتخيلها د. زغلول والتي لا تمت بصلة لشكل الجنين في الإسبوع الثالث الذي لا يشبه الدودة من قريب أو بعيد ولكنه التعسف ولوى الحقائق ومعاملة اللغة بشكل إنتهازي، يجعل إستنتاجاتهم من المضحكات المبكيات.

أدى هذا العبث والتدليس اللغوي الى فتح طرق عبث وتدليس جديدة من أهمها قولهم أن هذه الإشارات الكونية الإعجازية التي يدعونها لم تذكر من قبل في أي كتاب، وبهذا وقع الإعجازيون وأوقعونا معهم في بلبلة وشك وتخبط فقد وجدنا الكثير مما يتحدثون عنه موجود في أشعار عربية وأساطير سومرية وبابلية وفرعونية وفي كتب مقدسة أخرى، والحل الذي يريحنا من هذه البلبلة أن نتخلص من مرض جنون العظمة وعقدة الإضطهاد ونعترف بأن ما تم ذكره هو تفاعل مع وإستجابة لمعطيات ومعارف ومعلومات الواقع العربي حينذاك، وأنها ليست من الإعجاز العلمي ولا تمت له بصلة، وأن هذه الأساطير أو الكتب المقدسة لا تحتوي هي الأخرى على أي نوع من الإعجاز العلمي، وسندلل على كلامنا بالأدلة الدامغة مثل:

- **الأية** رقم ٤٥ من سورة النجم والتي قام سماسرة الإعجاز بلوي عُنقها لكي تتسق مع شعاراتهم كنوع من تحلية البضاعة أمام الزبون، الآية هي " وإنه خلق الزوجين الذكر والأنتى من نطفة إذا تمنى" واستخدموها لإثبات أن القرآن قد سبق الغرب في إثبات أن الرجل هو المسئول عن تحديد جنس المولود، ولنسمع شعر زوجة أبي حمزة العيني والذي هجرها بعد أن ولدت بنتا فقالت:

ظل في البيت الذي يلينا — ما لأبي حمزة لا يأتينا
تالله ما ذلك في أيدينا — غضبان ألا نلد البنينا
ننبت ما قد زرعوه فينا — ونحن كالأرض لزراعينا

هل نصرخ كما صرخ الإعجازيون ونقول إن هذه المرأة البدوية البسيطة يتساقط من فمها إعجاز علمي ويجب أن نقيم لها مقاما وكعبة!!.

- **الآية** ١٢ سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين"، وقد كتب د. زغلول النجار في مدى إعجازها صفحة كاملة يوم ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٤وعن تشابه تركيب جسم الإنسان مع التركيب الكيميائي للطين، وأخذ يعطينا د. زغلول محاضرة في نسبة الألومنيوم والسليكون والماغنسيوم والبوتاسيوم وأكاسيد الحديد

في كل من الإنسان والتراب، ولكن ما هو رأي د. زغلول إذا أحضرنا له أدلة على أن هذا الكلام قد قيل في أساطير سومرية وبابلية، ونرجوه الرجوع لكتاب فراس السواح مغامرة العقل الأولى ليعرف من خلال الأساطير أن الإله مردوخ البابلي خلق الإنسان من طين وكذلك إنكي السومري والإله خنوم الفرعوني الذي كان يصور في النقوش على هيئة صانع الفخار، وحتى في الأساطير الإغريقية يخلق بروميثيوس الإنسان من تراب وماء

<u>تجارة الإعجاز العلمي تقودنا الى الضلال:</u>

تحت هذا العنوان يمضي د. خالد منتصر فيقول:

وهم الإعجاز العلمي القرآني سيطر على عقول القدماء كما سيطر على عقول المعاصرين، وكما تصدى الشيخ شلتوت وبنت الشاطئ لأكاذيب أصحاب بوتيكات الإعجاز حديثا، تصدى لهم الإمام الشاطبي قديما في كتابه المهم " الموافقات في أصول الشريعة"، فبعد أن تحدث الشاطبي عن عدم جواز تحميل القرآن من المعاني ما لا يتناسب مع كون العرب أمة أمية قال بوضوح " يجب أن لا نلتمس في القرآن ولا في الحديث ما يخرج عن معهود العرب من العلوم والمعارف، وعلوم العرب مذكورة معروفة كالعلم بمواقع النجوم وما يختص بالإهتداء بها في البر والبحر والعلم بالأنواء وأوقات نزول الأمطار وإنتشار السحاب والعلم بالتاريخ وأخبار الأمم الماضية، وهذا الصنف من المعارف ذكره القرآن في غير ما آية".. هذه هي أنواع وحدود العلوم التي كانت متداولة حينذاك ولم يطلب الشاطبي من القرآن أن يتخطى هذه الحدود العلمية الضيقة، بل وأنكر أن نبحث في القرآن عن معارف وعلوم أعلى من مستوى الأمية التي كان عليها العرب، ونقتبس هنا هذا الإستنكار في قوله " أن كثيرا من الناس قد تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها"، ويوضح الشاطبي سبب إستنكاره لأننا " إذا عرضناه على ما تقدم. من أمية العرب. لم يصح"، ولذلك السبب " ليس بجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الإقتصار في الإستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه الى العرب خاصة، فيه يوصل الى لم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل فهمه".

الضلال هو المصير الذي يتوقعه الإمام الشاطبي لمن يطلبون الإعجاز العلمي والتفسير الكوني في القرآن، تخيلوا عملية التضليل والتدليس التي يقوم بها دعاة الإعجاز ويغسلون بها أدمغتنا ويزيفون وعينا بدعوى وتحت شعار أنهم يرسخون إيماننا ويثبتون لنا أننا أفضل من الجميع دينا وعلما، وأولى أسباب الضلال هي الكارثة المنتظرة إذا إلتمسنا علوم الطبيعة في القرآن فإننا إن فعلنا ذلك وقلنا عن آيات أنها تحتوي على إعجاز علمي فنحن نفتح الباب لكي يرد علينا من يثبت العكس بأن هذه الآيات بها خطأ علمي، وإذا لم نلجأ للحل الذي طرحته في البداية وهو أن نعترف بأن القرآن كان يتفاعل مع معارف وعلوم هذه الأمة الأمية كما قال الإمام الشاطبي، ونخرج من هذا الفخ ونرفع عنا الحرج بأن نطلق على ما يصفونه خطأ علميا بأنه مجرد إنعكاس وترديد ورصد لعلوم هذا العصر الذي من الممكن بل من الأكيد أن علوم زماننا تجاوزته بمراحل، إذا لم نفعل ذلك فنحن نرتكب جريمة في

حق القرآن، ولكن أن نعاند ونصر على أن هذه الآيات بها إعجاز علمي فبذلك نكون قد فتحنا على أنفسنا أبواب جهنم وقمنا بجر وشد القرآن الى ملعب ليس بملعبه، وجعلناه مطروحا على بساط البحوث العلمية الكيميائية ومتأرجحا على أرجوحة النظريات الفيزيائية والبيولوجية وبذلك نكون قد عبدنا ومهدنا أقصر الطرق لضلال المسلمين وإضلالهم وتزييف وعيهم، وسأضرب بعض الأمثلة من أشهر ما يقدمه تجار الإعجاز العلمي تحت إسم إعجاز تطور الجنين، حين يتناولون الآيات الخاصة بها في سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"، وهي آيات تتحدث الى المجتمع حينذاك بلغته المتداولة حينذاك عن معجزة الخلق التي هي مجرد خلق هذا الجنين بدون التفاصيل العلمية التي يدعونها، وعملية خلق الجنين والحمل والولادة في حد ذاتها إقشعر لها بدن الإنسان منذ العصر الحجري، ولم يكن وقتها محتاجا لأي تفاصيل علمية دقيقة بأن هذه معجزة كانوا ينسبونها قديما لقوى غامضة ثم نسبت بعد ذلك الى قدرة سماوية خارقة هي الله خالق الخلق أجمعين، وما يدعيه أصحاب بازارات الإعجاز العلمي من أن هذه الآيات تتحدث عن أمور علمية معاصرة قول مغلوط، وعدم وجود هذه المعلومات والمفاهيم الحديثة عن تكوين الجنين ليس فيها أي إنتقاص من قدر القرآن وقدسيته، فالمفاهيم القديمة المتداولة وقت نزول القرآن كانت تتحدث عن أن الجماع وما ينزل منه من سائل منوي هو سبب الحمل، وحتى في سفر التكوين عندما أدين أونان لممارسته العادة السرية كانت الإدانة بسبب أنه بهذه العادة يمنع النسل، وهذه معلومة متداولة لا تعني أي إعجاز إذا كانت النطفة تعني الحيوانات المنوية كما يدعون، وبالطبع لا بد أن نفهم الآيات من السياق ومن معاني الكلمات التي تشكل الآيات، فالنطفة هي قطرة الماء، والعلقة هي الدم الغليظ ولا علاقة لها بالدودة التي يتحدث عنها د. زغلول النجار، والمضغة وغيرها من الأشكال لا علاقة لها بأطوار تكون الجنين ولكنها ببساطة مراحل شاهدتها القابلات والأمهات والناس حينذاك من ملاحظة بسيطة أثناء الإجهاض، فالإجهاض يتم في أي مرحلة ومن الوارد جدا عندما يحدث الإجهاض أن يصفه هؤلاء بأنه شبه العلقة أو المضغة ... الخ، كل هذا لا يعكس أي معجزة علمية حديثة فالمفاهيم القديمة لا تذكر أبدا دور البويضة ولكن تذكر ماء الرجل وماء المرأة وهو الماء الذي ينزل منها قبل الإيلاج ولا علاقة له بتكون الجنين بدليل أن فهم الرسول (ص) لهذه الأشياء كان مرتبطا بمعتقدات ذلك الزمان، فعلى سبيل المثال هناك الحديث الذي يجيب فيه الرسول (ص) عن سؤال المرأة: هل تغتسل إذا إحتلمت؟ فرد الرسول ـ عندما قالت عائشة تربت يداك. قائلا: دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه"، هذه المفاهيم وغيرها هي التي كانت سائدة ولا نستطيع أن ندعي أنها تعبر عن معلومات علمية معاصرة مثل مفهوم إتحاد الحيوان المنوي بالبويضة التي لم نجد لها أي ذكر في ثقافة العرب القدماء وبالتالي في القرآن، أما آية فكسونا العظام لحما فهي تتحدث أيضا عن مفهوم قديم أيضا تفاعل معه القرآن لإقناعهم من داخل ثقافتهم وبلسان معارفهم، وهذا المفهوم يتحدث عن خلق العظام قبل العضلات وهو ما يعتبره د. زغلول إعجازا علميا، ولكن سيندهش د. زغلول ولن يستطيع التخلص من هذا الفخ الذي أوقع نفسه وأوقعنا فيه حين يعرف أن العظام واللحم خلقا في نفس الزمن لأن أي دارس لعلم الأجنة يعرف أن خلايا الجنين تنقسم الى ثلاث طبقات: إكتوديرم وميزودرم وإندوديرم،

والأولى يتكون منها المخ والأعصاب والجلد والثانية وهو محور حديثنا يتكون منها العظام والعضلات بالتزامن والتوازي وليس عظم قبل لحم كما كان القدماء يتصورون، أما الطبقة الأخيرة فمنها الأمعاء والكبد ...الخ، وأيضا مفهوم تشكيل الجنين من الماء الدافق بين الصلب والترائب هو مفهوم أيضا يتسق مع المفهوم الذي كان يقول قديما هذا الإبن من ظهري أو من صلبي وبالطبع كان يقولها القدماء قبل القرآن بدون أي إدعاء إعجازه، وكان رجال الدين اليهود والمسيحيون يحاولون نفس المحاولة مع سفر التكوين حين خاطب الله يعقوب قائلا وملوك سيخرجون من صلبك، وبالطبع تغيرت تلك الفكرة الآن وعرفنا أن الحيوانات المنوية تفرز من الخصيتين وتسبح في سائل من البروستاتا والحويصلات المنوية، وبذلك نكون قد تأكدنا من أن محاولات رجال الدين في كافة الأديان لإثبات الإعجاز العلمي محاولة مكتوب عليها الفشل المزمن .

السبب الثاني للضلال كما يسميه الإمام الشاطبي والذي يدعونا لإنكار الإعجاز العلمي هو تحويل العبادات والأوامر الإلهية القرآنية الى فوائد علمية ولا أعرف لماذا هذه التعسف والعناء؟، فنحن نصوم لأن الله أمرنا بذلك وليس لأن الصوم أفضل للكبد والقلب والبنكرياس ... الخ ولأنه ببساطة إذا كان الأمر يحتوي على كل هذه الفوائد لماذا نأكل الطعام في كل الشهور الأخرى ولا نصومها؟! وأنا أصلي لأن الله أمرني بالصلاة وليس لأنها تمارين رياضية وإلا كانت تمارين الجمباز أفضل !!، وهكذا فتحويل العبادات وتسويقها للبشر بحجة أن فيها فوائد علمية ونظريات فسيولوجية فيه إمتهان للدين والعلم على السواء، ومن أشهر هذه الأوامر الإلهية التي حاول الإعجازيون تبريرها بأسباب علمية وتمريرها على أنها إعجاز علمي أمر الإمتناع عن تناول لحم الخنزير، فأنا كمسلم مُطالب بعدم تناول هذا اللحم لأنه أمر إلهي ولكن أن تقدمه لي على أنه إعجاز علمي فأنت تدفعني بلا مُبرر على الرد عليك يا دكتور زغلول وأقول أن حديثك عن أضرار لحم الخنزير بأنها إعجاز علمي حديث مُضلل، وأقول لك لماذا؟ أولا لأن الدين الإسلامي ليس الدين الوحيد الذي حرم لحم الخنزير فهناك الدين اليهودي يحرمه أيضا، ففي سفر اللاويين والتثنية تقول التوراه عن الخنزير" من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا"، وحتى الديانة المصرية القديمة حضت على كراهية الخنزير فيكفي أن إله الشر ست قتل الإله حورس بينما كان الأول على هيئة خنزير، وفي الأساطير الكنعانية مات كبير الآلهة على يد خنزير بري أيضا، إذن مسألة الإعجاز العلمي لمنع الخنزير ستجرنا الى مقارنة غير مطلوبة، ثانية: مسألة أن لحم الخنزير من الممكن أن تصيبه دودة شريطية تسمى التينيا سوليم فإن الإعجازيين يخفون عنا أن البقر من الممكن أن تصيبه دودة شريطية أخرى تسمى التينيا ساجيناتا فلماذا لم نحرم أكل البقر أيضا؟ ويقال أن الخنازير تربى في حظائر قذرة ولكن إذا عرف د. زغلول أن حظائر الخنازير في أوروبا أكثر نظافة من بيوت كثيرة موجودة في بلادنا، وأنه لو شاهد ماذا يأكل الدجاج في حارات وشوارع القرى سيمتنع فورا عن أكل الدجاج الذي يتناول أحيانا الفضلات!، هل وقتها سيبيح لحم الخنازير إذا ربيت في حظائر نظيفة؟!، أما العجب العجاب فهو ما سمعته من الإعجازيين عن أن لحم الخنزير يجعل الرجل ديوثا أي لا يغار على إمرأته، وهذا كلام فارغ لا أساس علمي له ولا عقلي والحديث فيه إضاعة للوقت!.

ثالث أسباب الضلال هو أن حق اللجوء العلمي للقرآن وإعتباره مرجعا كيميائيا وفلكيا وبيولوجيا يجعل بعض رجال الدين يفرضون على العلم الحديث تفسيراتهم الدينية فيتناقضوا معه ويجعلوننا أضحوكة العالم، كما حدث مع الشيخ بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية الذي قال في فتواه عام ١٩٧٦ بأن " القول بأن الشمس ثابته وأن الأرض دائرة هو قول شنيع ومنكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل ويجب أن يستتاب وإلا قتل كافرا ومرتدا ويكون ماله فيئا لبيت مال المسلمين"، وقد إستند بن باز للدلالة على جريان الشمس والقمر الى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى " وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى"، " والشمس تجري لمستقر لها"، " وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"، " فلا أقسم برب المشارق والمغارب" ويقول بن باز في تفسيره أن الجرى في لغة العرب هو السير والإنتقال من مكان الى مكان، أما أدلة ثبوت الأرض فقد جمعها بن باز في الآيات القرآنية مثل " جعل لكم الأرض قرارا"، " جعل لكم الأرض مهادا"، " الذي جعل لكم الأرض فراشا"، " وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" ومن تفسيراته أن كون الأرض فراشا مشروط بكونها ساكنة لأنها لو كانت متحركة لما كانت فراشا على الإطلاق، وهكذا أصبح القرآن الكريم بين مطرقة زغلول النجار وسندان بن باز، ولكن هل توقف الإعجاز العلمي عند حدود القرآن أم جذبه البعض الى حدود السنة النبوية؟.

إن الرد المنطقي على جمعية المنتفعين بالإعجاز العلمي هو أن منهج تناولهم للكشوف والتنبؤات العلمية للقرآن منهج مقلوب ومغلوط، فنحن ننتظر الغرب الكافر الزنديق حتى يكتشف الإكتشاف أو يخرج النظرية من معمله ثم نخرج لساننا له ونقول كنت حأقولها ما هي موجودة عندنا بين دفتي القرآن ونتهمهم بالغباء والمعاندة والتكبر ولا نسأل أنفسنا إذا كانت تخريجاتهم ودعبساتهم في القرآن الكريم التي يقولون عنها أعجازا علميا بهذا الوضوح فلماذا لم يحدث العكس فنخرج النظريات بعد دراسة القرآن ونسبق بها الغرب ونغيظهم ونقهرهم بعلمنا الفياض بدلا من الإنتظار على محطة الكسل المشمسة المخدرة كل منا يعبث في لحيته ويلعب في أصابع قدميه ويفلى في رأس جاره متربصين بالكشوف والقوانين والإنجازات الغربية التي ما أن تمر علينا حتى نصرخ دي بتاعتنا يا حرامية مع أن الحقيقة أننا نحن اللصوص المتطفلين على موائدهم العلمية العامرة؟!!، وللأسف نظل نحن المسلمين نتحدث عن العلاج بالحجامة وبول الإبل وحبة البركة وهم يعالجون بالهندسة الوراثية ويقرأون الخريطة الجينية، ونظل حتى هذه اللحظة غير متفقين على تحديد بدايات الشهور الهجرية فلكيا بينما هم يهبطون على سطح القمر ويرتادون المريخ ويراقبون دبة النملة من خلال أقمارهم الصناعية. القرآن كما ذكرنا من قبل ليس كتابا في الفيزياء ولا البيولوجيا ولا الجيولوجيا، وليس مطلوبا منه ذلك، ولكنه كتاب ديني يضع ضوابط وخطوطا عامة للأخلاقيات والسلوك والمعاملات، ويتعامل مع المطلق والعموميات وربطه بالعلم الذي يتعامل مع النسبى والمتغير فيه خطورة شديدة على الدين وعلى العلم كليهما على السواء، فالدين سيتأثر عندما نربط بين آية ونظرية علمية تثبت عدم صحتها بعد فترة، والعلم أيضا سيتأثرعندما نكبح جماحه ونخلخل منهجه الأساسي وهو منهج التساؤل الدائم والقلق المستمر، فالدين إكتفاء والعلم ظمأ، الدين إنسان يعيش في يقين جاد والعلم مريض بالشك المزمن، الدين يجمع في جعبته أقصى ما يستطيع من البديهايات والعلم يلقي أقصى

ما يمكنه منها في سلة المهملات، الأول وهو الدين مجاله الأساسي ما وراء الواقع أما الثاني فملعبه الأساسي هو الواقع.

عن كتاب " وهم الإعجاز العلمي"

د. خالد منتصر – دار العين للنشر - الطبعة الأولى ٢٠٠٥

كتاب به أخطاء علمية

١ - مغيب الشمس في بئر
جاء في سورة الكهف ١٨ : ٨٣ - ٨٦ ,, ويسألونك عن ذي القرنين قال : سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما ،،.
إذا كانت الشمس أكبر من الأرض مليونا وثلاثين ألف مرة ، فكيف تغرب في بئر رآها ذو القرنين ورأى ماءها وطينا ورأى الناس الذين عندها ؟؟

٢ - الأرض ثابتة لا تتحرك
جاء في سورة لقمان ٣١ : ١٠ ,, خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ،،.
وجاء في سورة الرعد ١٣ : ٣ ,, وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي ،،. وجاء في سورة الحجر ١٥ : ١٩ ,, والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ،،. وجاء في سورة النحل ,, وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ،،. وجاء في سورة الأنبياء ٢١ :٣١ ,, وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ،،.
إذا كان واضحا أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة وينشأ عن تلك الحركة الليل والنهار . وتدور حول الشمس مرة كل سنة ، وينشأ عن ذلك الدوران الفصول الأربعة . فكيف تكون الأرض ممدودة مبسوطة ثابتة لا تتحرك ، وأن الجبال تمنعها عن أن تميد ؟

٣ - النجوم رجوم للشياطين
جاء في سورة الملك ٦٧ : ٥ ,, ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين اعتدنا لهم عذاب السعير ،،.
إذا كان كل كوكب هو عالم ضخم ، والكواكب هي ملايين العوالم الضخمة تسبح علي أبعاد شاسعة في فضاء لا نهائي ، فكيف نتصور الكواكب كالحجارة يمسك بها ملاك في حجم الإنسان ليضرب بها الشيطان منعا له من استماع أصوات سكان السماء؟ هل كل هذه الأجرام السماوية خلقت لتكون ذخيرة أو عتادا حربيا كالحجارة لرجم الشيطان حتى اشتهر اسمه بالشيطان الرجيم ؟! وكيف يطرح الملائكة الكواكب ؟ وكيف يحفظ توازن الكون إذا سارت في غير فلكها؟

٤ - السموات السبع والأرضي السبع
جاء في سورة الطلاق ٦٥ : ١٢ ,, الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ،،.
وجاء في سورة البقرة ٢ : ٢٩ ,, هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم،،. وجاء في سورة فصلت ٤١ : ١٢ ,, فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح

وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ،،. وجاء في سورة الأنبياء ٢١ : ٣٢ ,, وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ،،. وجاء قي سورة الحج ٢٢ : ٦٥
" ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رجيم". وجاء في سورة ق ٥٠ : ٦ ,, أفلم ينظروا إلي السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ،،.
كيف يقول عن الفضاء المتسامي سموا لا متناهي فوقنا إنه سقف أملس قابل للسقوط ، وإنه يوجد سبعة سقوف من هذا النوع؟ وإن ملايين الكواكب التي تسبح في الفضاء غير المحدود مصابيح مركزة في هذا السقف الموهوم؟ وكيف يقول إن أرضنا ، وهي واحدة من ملايين الكواكب والسيارات والأقمار والشموس يوجد سبعة مثلها؟

٥ - جريان الشمس

جاء في سورة يس ٣٦ : ٣٨ ,, والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ،،...الشمس ثابتة تدور حول نفسها ولا تنتقل من مكانها ، والأرض هي التي تدور حولها . فكيف يقول القرآن إن الشمس تجري ، وإن لها مستقرا تسير إليه ؟
وأما القول بوجود قراءة في القرآن أن الشمس تجري ولا مستقر لها ، فيدل علي اختلاف قراءات القرآن اختلافا يغير المعنى ، مما يطعن في سلامة القرآن وصحته .

٦ - العجل الذهبي من صنع السامري!!

جاء في سورة طه ٢٠ : ٨٥ - ٨٨ ,, قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلي قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعد كم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ،،.
السامرة مدينة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر وسافروا في سيناء ، فعمل لهم هارون العجل الذهبي كطلبهم . فكيف نتخيل سامريا يصنع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود ؟

٧ - روح الإنسان في الحيوان!

جاء في سورة الأعراف ٧ : ١٦٦ ,, فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ،،.
هل من المعقول أن نقابل إنسانا مسخ قردا أو خنزيرا ؟ ألا تعلمنا الطبيعة أن كل شئ يبذر بذرا كجنسه؟ أليس من يقول إن القمح صار شعيرا وإن العنب صار تينا كمن يقول إن الإنسان صار قردا أو خنزيرا؟

٨ - ميت يتوكأ على عصا مدة سنة !

جاء في سورة سبأ ٣٤ : ١٤ ,, فلما قضينا عليه (سليمان) الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته (العصا) فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ،،.

كيف يموت سليمان الملك ويستمر سنة دون أن يعلم به أحد ؟ أين نساؤه ؟ وأين أولاده ؟ وأين حاشيته؟ وأين شعبه ؟ ألا يوجد أحد من كل هؤلاء يسأل عنه ؟ وهل يتصورونه قائما يصلي علي عصاه سنة كاملة بدون نوم ولا أكل ولا شرب ولا استحمام ؟ وكيف لما مات متكئا علي العصا لم يسقط ؟ ألم يتحلل جسده ويصبه النتن والتعفن . ولما أكلت الأرضة جزءا من العصا ألم يختل توازنه ويسقط ؟ أليس تآكل العصا في يوم يكفي لسقوط جسد الميت كتآكلها ألي آخرها لمدة سنة ؟ وإذا كان سليمان قد بني علي نفسه صرحا من قوارير ليعمي عين الإنس والجن عن موته ، فلماذا لم يعلم مقدما الدور الذي ستلعبه الأرضة ؟

٩ - الطير تحارب بالحجارة!

جاء في سورة الفيل ١٠٥ : ١ - ٥ ,, ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل وترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ،،.

قال البيضاوي : ,, روي أن واقعة الفيل وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله (صلعم) . وقصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك علي اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج إليها . فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة . فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيله أخري . فلما تهيأ للدخول وعبا جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه إلي الحرم برك ولم يبرح . وإذا وجهوه إلي اليمن أو إلي جهة أخري هرول . فأرسل الله تعالي طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره ! فهلكوا جميعا .

ونحن نسأل : كيف آثر الفيل أن يعاون الوثنيين ويهرب من معاونة المسيحيين ، فكلما وجهوه لكعبة الأوثان رفض السير وكلما وجهوه إلى اليمن هرول ؟ وكيف أدركت الطير ذلك فاشتركت في الحرب مع الوثنيين ضد المسيحيين ؟ وكيف تفاهمت جماعات الطير وعرفت مكان الموقعة وأحضرت الحجارة وملأت أفواهها وأرجلها ورمت بها جيش المسيحيين دون الوثنيين ؟ وكيف انحاز الرب للفيل وللطير ولأصحاب الكعبة الوثنيين ضد المسيحيين ؟ وكيف ينزل الحجر الذي هو أصغر من الحمصة من فم الطير إلي رأس الرجل فيخترق رأسه وعنقه وصدره وبطنه ويخرج من دبره؟

١٠ - نومه ثلاثمائة وتسع سنين !

جاء في سورة الكهف ١٨: ٩ - ٢٦ ,, أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلي الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمر كم مرفقا وتري الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد

له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلي المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا،،.

كيف يتسنى لسبعة غلمان وكلبهم أن يعيشوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين بدون أكل ولا شرب ولا مشي ولا تبول ولا تبرز ، تحسبهم أيقاظا وهم رقود ، يتقلبون ذات الشمال وذات اليمين وكلبهم باسط ذراعية بفناء المغارة ؟ وما هو الدرس المستفاد من هذه القصة لنا اليوم؟!

كتاب به أخطاء نحوية

عن كتاب" هل القرآن معصوم" لعبد الله عبد الفادي

١- رفع المعطوف على المنصوب

جاء في سورة المائدة ٥:٦٩ " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون". وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول " والصابئين" كما فعل هذا في سورة البقرة ٢:٦٢ والحج ٢٢:١٧,

٢- نصب الفاعل

جاء في سورة البقرة ٢:١٢٤ " لا ينال عهدي الظالمين". وكان يجب أن يرفع الفاعل فيقول " الظالمون".

٣- تذكير خبر الاسم المؤنث

جاء في سورة الأعراف ٧:٥٦ " ان رحمة الله قريب من المحيينين". وكان يجب أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث فيقول " قريبة".

٤- تأنيث العدد وجمع المعدود

جاء في سورة الأعراف ٧:١٦٠ " وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما" وكان يجب أي يذكر العدد ويأتي بمفرد المعدود فيقول " اثنى عشر سبطا".

٥- جمع الضمير العائد على المثنى

جاء في سورة الحج ٢٢:١٩ " هذان خصمان اختصموا في ربهم" وكان يجب أن يثني الضمير العائد على المثنى فيقول " خصمان اختصما في ربهما".

٦- أتى باسم الموصول العائد على الجمع مفردا

جاء في سورة التوبة ٩:٦٩" وخضتم كالذي خاضوا" وكان يجب أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول " خضتم كالذين خاضوا".

٧- تذكير خبر الاسم المؤنث

جاء في سورة الشورى ٤٢:١٧ " الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب". فلماذا لم يتبع خبر لعل اسمها في التأنيث فيقول " قريبة"؟

٨- أتى بتوضيح الواضح

جاء في سورة البقرة ١٩٦:٢ " فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة". فلماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة " كاملة" تلافيا لإيضاح الواضح، لأنه من يظن العشرة تسعة؟

٩- جزم الفعل المعطوف على المنصوب

جاء في سورة المنافقون ١٠:٦٣ " وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين" وكان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المصوب " فأصدق وأكون".

١٠- جعل الضمير العائد على المفرد جمعا

جاء في سورة البقرة ١٧:٢ "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم". وكان يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفردا فيقول " استوقد... ذهب الله بنوره".

٥- نصب المعطوف على المرفوع

جاء في سورة النساء ١٦٢:٤ " لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما". وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول " والمقيمون الصلاة".

١٢- نصب المضاف إليه

جاء في سورة هود ١٠:١١ " ولئن أذقناه نعماء بعد ضراءَ مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخورٌ". وكان يجب أن يجر المضاف اليه فيقول " بعد ضراءٍ".

١٣- أتى بجمع كثرة حيث أريد القلة

جاء في سورة البقرة ٨٠:٢ " لن تمسنا النار إلا اياما معدودة" وكان يجب أن يجمعها جمع قلة حيث أنهم أراد القلة فيقول " أياما معدودات".

١٤- أتى بجمع قلة حيث أريد الكثرة

جاء في سورة البقرة ١٨٣:٢ و١٨٤" كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات". وكان يجب أن يجمعها جمع كثرة حيث أن المراد جمع كثرة عدته ٣٠ يوما فيقول " أياما معدودة".

١٥- جمع اسم علم حيث يجب إفراده

جاء في سورة الصافات ٣٧:١٢٣- ١٣٢ وإن إلْيَاسَ لِمن المرسلين... سلام على إلياسين... إنه من عبادنا المؤمنين" فلماذا قال "إلياسين" بالجمع عن "إلياس" المفرد؟ فمن الخطأ لغويا تغيير اسم العلم حيا في السجع المتكلف، وجاء في سورة التين ٩٥:١-٣ " والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمِين" فلماذا قال "سنين" بالجمع عن سيناء؟ فمن الخطأ لغويا تغيير اسم العلم حبا في السجع المتكلف.

١٦- أتى باسم الفاعل بدل المصدر

جاء في سورة البقرة ٢:١٧٧ " ليس البرَّ أن تولوا وجُوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. والصواب أن يُقال " ولكن البر أن تؤمنوا بالله" لأن البر هو الأيمان لا المؤمن.

١٧- نصب المعطوف على المرفوع

جاء في سورة البقرة " ٢:١٧٧ " والمُوفُون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس" وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول " والموفون... والصابرون".

١٨- وضع الفعل المضارع بدل الماضي

جاء في سورة أل عمران ٣:٥٩ " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون". وكان يجب أن يعتبر المقام الذي يقتضي صيغة الماضي لا المضارع فيقول " قال له كن فكان".

١٩- لم يأتي بجواب لمّا

جاء في سورة يوسف ١٢:١٥ " فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوهُ في غيابةِ الجُبِّ وأوحينا اليهِ لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون". فأين جواب لما؟ ولو حذف الواو التي قبل أوحينا لاستقام المعنى.

٢٠- أتى بتركيب يؤدي الى اضطراب المعنى

جاء في سورة الفتح ٤٨:٨ و ٩ " إنا أرسلناك شاهدا ومُبشرا ونذيرا لتُؤمنوا بالله ورسوله وتعزروهُ وتوقروهُ وتسبحُوهُ بُكرة وأصيلا". وهنا ترى اضطرابا في المعنى بسبب الالتفات من خطاب محمد الى خطاب غيره. ولأن الضمير المنصوب في قوله " تعزروه وتوقروه" عائد على الرسول المذكور آخرا وفي قوله " تسبحوه" عائد على اسم الجلالة المذكور أولا. هذا ما يقتضيه المعنى. وليس في اللفظ ما يعينه تعيينا يزيل اللبس. فإن كان القول " تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا" عائدا على الرسول يكون كفرا، لآن التسبيح لله فقط. وإن كان القول " تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا" عائدا على الله يكون كفرا، لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه!!

٢١- نوَّن الممنوع من الصرف

جاء في سورة الإنسان ٧٦:١٥ " ويُطافُ عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا" بالتنوين مع أنها لا تنون لامتناعها عن الصرف؟ إنها على وزن مصابيح. وجاء في سورة الإنسان ٧٦:٤ " إنا اعتدنا للكافرين سَلا سِلا وأغلالا وسعيرا". فلماذا قال:" سلا سلا" بالتنوين مع أنها لا تنون لامتناعها من الصرف؟

٢٢- الالتفات من المخاطب الى الغائب قبل إتمام المعنى

جاء في سورة يونس ١٠:٢١" حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصفٌ " فلماذا التفت عن المخاطب الى الغائب قبل تمام المعنى؟ والأصح أن يستمر على خطاب المخاطب.

٢٣- أتى بضمير المفرد للعائد على المثنى

جاء في سورة التوبة ٩:٦٢ " واللهُ ورسُولهُ أحق أن يُرضوهُ". فلماذا لم يثن الضمير العائد على الاثنين اسم الجلالة ورسوله فيقول " أن يرضوهما"؟

٢٤- اتى باسم جمع بدل المثنى

جاء في سورة التحريم ٦٦:٤ " إن تتوبا الى اللهِ فقد صغت قلوبكما". والخطاب (كما يقول البيضاوي) موجه لحفصة وعائشة. فلماذا لم يقل " صغا قلباكما" بدل " صغت قلوبكما" إذ أنه ليس للاثنتين أكثر من قلبين؟

كتاب غير معجز بلاغيا

سجع القرآن:

لم يكن السجع غريبا على محمد فقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام قال: لما تحدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس فكنت ممن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته يقول: افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" مختصر السيرة لإبن كثير ص ١٧٢. والسجع هو العمود الفقري للقرآن لدرجة أن الآيات قد غيرت اسماء أماكن بل وأشخاص لكي تتماشى مع السجع.

" التين والزيتون وطورسنين" سورة التين ١ ، ٢.
" طور سيناء تحول الى طور سنين" لكي يتماشى مع السجع.
" سلام على الياسين" الأنعام ١٣٠.
" الياس" تحول الى " الياسين" لكي يتماشى مع السجع.

بل إن كلمات معينة اشتقت بالمخالفة لقواعد اللغة العربية لمجرد حفظ السجع على سبيل المثال الآية ٣٥ من سورة النبأ " ولا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا". واضح جدا أن المصدر هو " كذبا" ولكن إشتقت كلمة "كذابا" لتتماشى مع السجع.

تغيير القافية:

مثال: سورة قريش:

١ ـ لإيلاف قريش
٢ ـ إلافهم رحلة الشتاء والصيف
٣ ـ فليعبدوا رب البيت
٤ ـ الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف

التكرار الممل:

مثال: سورة الرحمن تحوي ٧٨ آية تتكرر فيها " فبأي آلاء ربكما تكذبان" ٣١ مرة.
مثال آخر: كلمة " قل" تتكرر في سورة الأنعام ٣٩ مرة.
مثال ثالث: سورة الناس المكونة من ٦ آيات تنتهي خمسة منهم بكلمة " الناس".
مثال رابع: سورة الكافرون المكونة من ستة آيات تتكرر فيها " ولا أنتم عابدون ما أعبد".

تضارب اسم المتكلم وزمن الفعل:

مثال: الآية التاسعة من سورة فاطر: والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها. سورة فاطر ٩.

الآية تبدأ بالكلام " عن الله" وتنتهي في صيغة المتكلم فيها هو الله. الآية فيها أربعة أفعال ثلاثةمنهم في زمن الماضي والرابع في زمن المضارع.

الكلام المبهم:

مثال: سورة عبس

فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا" ٢٨.
وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ٣١.

لا أحد من المفسرين يعرف معنى " قضبا" أو " أبا". هذا طبعا بالإضافة الى الحروف وغيرها. "المبهمة في بدايات بعض السور مثل " الر" و" ألم

عكس المألوف:

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة " البينة ٢ و ٣ القرآن يقول أن الصحف فيها كتب والواقع أن الكتب فيها صحف.

مخالفة قواعد النحو:

١ - " هذان خصمان اختصوا في ربهم " ... سورة الحج ١٩. أمثلة:
٢ - " وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا "... سورة الحجرات ٩.
٣ - " قالوا إن هذا ن لساحران "... سورة طه ٦٣.
٤ - " وقطعناهم إثنتي عشرة أسباطا أمما " ... سورة الأعراف ١٦٠.
٥ - " بل الإنسان على نفسه بصيرة "... سورة القيامة ١٤.
٦ - " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون" ... سورة المائدة ٦٩.
٧ - " إن رحمة الله قريب " ... سورة الأعراف ٥٦.
٨ - " خضتم كالذي خاضوا " ... سورة التوبة ٦٩.

جمل إعتراضية لا تستقيم مع المعنى أو السياق:

مثال: " قل تعالوا أتل عليكم ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم
من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق".
سورة الأنعام ١٥١. الآية تتكلم عن أشياء حرمها الله. ما علاقة " وبالوالدين إحسانا" بهذا؟! .

إدخال آيات على سور ليست منها:

مثال: سورة لقمان: الآيات ١٣ الى ١٩: في الآيات ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ لقمان ينصح ابنه ولكن الآيتين ١٤، ١٥ يحتويان وصايا من الله للإنسان وواضح أنهما أدخلتا عن طريق الخطأ في وسط وصايا لقمان لإبنه.

بقية الآية في سورة أخرى:

مثال: الآية ٦١ من سورة البقرة:

عندما سأل قوم موسى رسولهم أن يغير طعامهم:" قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا

مصرا فإن لكم ما سألتم ". سورة البقرة ٦١.

تمام الآية في سورة المائدة الآية ٢٢:

" فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون."
سورة المائدة ٢٢.

آيات في غير مكانها"

مثال: سورة المدثر الآية ٣١:

السورة تحوي ٥٦ آية يتراوح عدد الكلمات في كل آية ما بين كلمتين وعشر كلمات إلا الآية ٣١ فهي
تحوي على ٥٧ كلمة. واضح أن الآية دخيلة على السورة.

زيادة كلمات في نهاية الآيات لمجرد الحفاظ على الفاصلة:

أمثلة:
- ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. سورة البقرة ٢٢٨.
- فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا إنفصام لها والله سميع عليم. سورة البقرة ٢٥٦.
- مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن
  يشاء والله واسع عليم. سورة البقرة ٢٦١.
- إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وأل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.
  سورة آل عمران ٣٣ـ ٣٤.
- وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم. آل عمران ١٢١.
- وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منهم شهداء والله لا يحب الظالمين. سورة آل عمران ١٤٠.

إذا أمعنا النظر في الكلمات الأخيرة في نهاية هذه الآيات من أمثال " والله سميع عليم" لوجدنا أنها مضافة لمجرد الحفاظ على الفاصلة وليس لها أي علاقة بسياق الكلام ولا تضيف شيء لمعنى الآيات. نفس الشئ ينطبق على " سيصلى نارا ذا لهب" سورة المسد ٣. وهل هناك نارا بلا لهب؟! ولكن " ذات لهب" أضيفت لمجرد الحفاظ على الفاصلة.

إضطراب المعاني"

أمثلة:

١ ـ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. سورة الإسراء ١٦.
كيف لله الرحيم أن تكون إرادته أن يهلك قرية ؟!
كيف لله الرحيم أن يهلك قرية بأكملها لأن مترفيها فقط قد فسقوا؟!

سياق الآية يوحي بأن الله هو الآمر بالفسق ـ رغم تمحك بعض المفسرين ـ وهذا يتنافى مع قداسة الله.

لقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده ٢ ـ
المؤمنين. سورة النمل ١٥.
المعنى يستقيم إذا استبدلنا " وقالا" بـ " فقالا.

وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير. ٣ ـ
سورة العنكبوت ٢٢.
المعنى يستقيم إذا إستبدلنا " ولا في السماء" بـ " ولا من في السماء".

وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما ٤ ـ
يستوي الأحياء ولا الأموات.
إن الله يسمع من يشأ وما أنت بمسمع من في القبور. سورة فاطر ١ت٩ـ ٢٢.
لكي يستقيم المعنى يجب أن تكون القراءة هكذا:" وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا
الظل والحرور وما يستوي الأحياء والأموات ..."

يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ٥ ـ
وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى
الكعبين. سورة المائدة ٦.
هذه الآية جاءت لبيان حكم واجب من واجبات الشرع في العبادة فكان يجب أن يكون نصها محكما لا
يتطرق إليه الإحتمال ليكون المكلفون على هدى وبصيرة من أمرهم في عبادة الله. يفهم من سياق الآية أن
على المسلم مسح رجليه الى الكعبين وليس غسلهما ولكن المقصود بها ـ كما يجمع المفسرون ـ هو غسل
الرجلين وهو ما يفعله المسلمون.

<u>الكلام الذي لا يليق بالله:</u>

أمثلة:

سنفرغ لكم أيها الثقلان. سورة الرحمن ٣١. ١ ـ
الله هنا يتوعد الأنس والجن بأنه بعد أن تنتهي مشاغله سوف ينتقم منهما. هل هذا كلام يليق بالله؟!

قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما ٢ ـ
يشركون. سورة يونس ١٨.
لا يليق أن يقال عن الله أنه " لا يعلم " حتى ولو في صيغة الإستنكار وكان الأجدر أن يقال" ليس هناك شيئا
لا يعلمه الله مما تنبئون".

هذه ناقة الله آية لكم. سور الأعراف ٧٣. ٣ ـ

لا يليق إضافة " ناقة" الى اسم الجلالة. إن هذا منافي للذوق السليم كقول " كلب الله" أو " حمار الله". هذا
أبعد ما يكون عن البلاغة.

الهوامش

٢ ـ سورة الإتقان، ٣٥,/١

١ ـ سورة البقرة، الآية: ٩٨,

٤ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٤٠,

٣ ـ سورة النور، الآية: ١٢؛ سورة الإتقان، ٣٥/١

٦ ـ سورة الإتقان، ٣٥,/١

٥ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٤٤,

٧ ـ سورة الأنعام، الآية:٣٥؛ سورة الأنفال، الآية:٣١؛ سورة المؤمنون، الآية: ٨٣؛ سورة النحل، الآية: ٢٧,

٩ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٢,

٨ ـ سورة الإسراء، الآية: ٨٨,

١١ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٤,

١٠ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٣,

١٣ ـ السيرة الحلبية، ٩٠,/٣

١٢ ـ سورة المؤمنون، الآية: ١٤,

١٥ ـ سورة الإسراء، الآية: ٨٨,

١٤ ـ سورة يونس، الآية: ٣٨.

١٦ ـ سيرة ابن هشام، ٢٤٦/١ ؛ السيرة الحلبية، ٢٦٨,/١

١٧ ـ سيرة دحلان، ١٨١/١ ـ ١٨٢؛ السيرة الحلبية، ٢٧٦,/١

١٨ ـ السيرة الحلبية، ٢٩٦/١ ـ ٥٩٧؛ سيرة ابن هشام، ٢٩١/١ ـ ٢٩٢,

١٩ ـ السيرة الحلبية، ٢٩٦/١ ـ ٢٩٧؛ سيرة ابن هشام، ٢٩١/١ ـ ٢٩٢,

٢١ ـ سنن النسائي، كتاب النكاح ، الحديث رقم: ٣٢٨٩,

٢٠ ـ السيرة الحلبية، ٢٨٠/١ ـ ٢٨١,

٢٣ ـ السيرة الحلبية، ٢٨٣,/٢

٢٢ ـ السيرة الحلبية، ٢٨٢,/٢

٢٥ ـ سيرة ابن هشام، ١٤٥,/٢

٢٤ ـ السيرة الحلبية، ٦٥,/٢

٢٧ ـ سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

٢٦ ـ سورة الإسراء، الآية: ١١.

كتاب ليس له نص محكم

تعدد القراءات واختلافها في القرآن:

من العجائب أنك إذا طالعت ما كتبه علماء المسلمين من كتب التفسير وغيرها مما يتعلق بالأمور الدينية رأيتهم في أقوالهم يعقلون ولا يعقلون في آن واحد ومسألة واحدة، تراهم اذا سلكوا طريقا للبحث والتحقيق يماشون العقل جنبا الى جنب ما لم يعارضهم شئ غير معقول مما له علاقة بالدين ولو من وجه بعيد. أما إذا عارضهم في طريقهم شئ من ذلك فإنهم عندئذ يتركون العقل وراءهم ويمشون خلف غير المعقول، والشواهد على ذلك كثيرة في كتبهم فلا حاجة الى إيرادها.

وأعجب كتبهم الإتقان لجلال الدين السيوطي صاحب التآليف الكثيرة في كل فن من فنون العلوم، فإنه في كتابه هذا ينقل لك من الأقوال المتناقضة ما يتركك في حيرة لا تدري كيف تخرج منها، وهو عند ذكر هذه الأقوال لم يبد لك رأيا ولم يقل لك قولا يهديك به الى ما تريد من نقلها أو يوجهك به الى جهة تؤديك منها الى غاية مقصودة.

فمثلا يتكلم في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن فيأتيك فيها بنحو أربعين قولا لا يوافق احدهما الآخر، ثم يذكر لك أحاديث وأقوالا يتفن في صحة أسانيدها وثقة رواتها وكلها تقول لك اقرأ القرآن بألفاظ مختلفة من المعاني المتفقة، فإذا كانت الكلمة أقبل فلا بأس أن تقرأ بدلها تعال وهلم وعجل وأسرع، ويقول لك كل شاف كاف ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب(١)، ويردف هذا القول بما أخرجه أبو داوود عن أبي قلت سميعا عليما أو عزيزا حكيما ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، وبما أخرجه عن أبي هريرة أنزل القرآن على سبعة احرف عليما حكيما غفورا رحيما، وبما عند أحمد أيضا من حديث ابن عمر أن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا او عذابا مغفرة(٢)، ثم يؤيد ذلك بما في فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله أن ابن مسعود أقرأ رجلا : { إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم}(٣)، فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقيم بها لسانه، فقال له: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل، فقرأ: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.(٤) وهو في كل ذلك يفهمك أن القرآن هو المعنى وأنه يجوز إن لم تقرأه بالمعنى فلا عليك أن تبدل منه كلمة بأخرى تؤدي معناها ما لم تغير المعنى بأن تجعل المغفرة عذابا والعذاب مغفرة. ثم إنه يأتيك بما يناقض هذه الأقوال ويجعلها هباء منثورا من دون أن ينقضها أو يرفضها فيقول: إن القرآن هو ما نزل جبريل بلفظه، وأن السنة ما نزل جبريل

بمعناه، ولذا جاز رواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أداها بالمعنى، ولم تجز قراءة القرآن بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، ويذكر لك قول من قال من العلماء من قال: إن الصحابة كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فقد كذب (٥). فيا للعجب ثم يا للعجب.

وقد سمى السيوطي كتابه هذا الإتقان وليس هو بالإتقان بل جمع كل ما قيل في القرآن، ببرهان وبلا برهان. أما نحن فلا نضيع الوقت في التوفيق بين هذه الأقوال المضطربة بل نقول إنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى، فكل ما صح به المعنى فهو قرآن عندهم، ولا ننكر أن في القراءات ما هو توقيفي، بمعنى أن النبي قرأه فرواه عنه من سمعه من الرواة، ولكن هذا قليل جدا بالنسبة الى ما قرأه الناس من القراءات الكثيرة التي كانوا يقرأونها بحسب المعنى لا بالتوقيف.

وأما عن جمع القرآن فنذكر هنا ما رواه البخاري عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل الى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف(٦) الى آخر الحديث.

فلماذا أفزع حذيفة اختلافهم في القراءة لو كانت توقيفا، ولماذا بادر عثمان الى استنساخ المصاحف وإرسالها الى الأقطار لكي يجمع الناس على قراءة واحدة، وعلام كل هذا الخوف إن كانت القراءات كلها توقيفية. وقد ذكر صاحب الإتقان نفسه نقلا عن ابن التين وغيره الفرق بين جمع أبي بكر للقرآن وجمع عثمان، فقال: إن جمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم(٧).

فهل من كلام صراحة أكثر من هذه الصراحة الدالة على أنهم كانوا يقرأون لا بتوقيف ولا بتعليم، بل يقرأ كل منهم بلغته فيبدلون الألفاظ ويغيرونها بحسب لغاتهم مع المحافظة على المعنى. فعثمان لم يجمع القرآن بل نسخه في مصحف بلغة قريش وحدها، وأرسل تلك المصاحف الى الأقطار ليجمع الناس على قراءة واحدة.

على أن الداعي الى تعدد القراءات واختلافها لم يكن اختلاف اللغات فحسب بل هناك دواع أخرى دعتهم الى قراءة القرآن بالمعنى كما سيتضح لك عند ذكر القراءات. أفلا يستحي بعد هذا من يقول: " من قال إنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فقد كذب"(٨)، وهو بكلامه هذه قد كذب على الله والحقيقة والتاريخ.

وها نحن نذكر ما تيسر من القراءات على اختلاف أنواها، وكلها شواهد على ما نقول، وقد نظرت فيها فتمكنت من حصرها في الأنواع الآتية:

أنواع القراءات (*)

قراءة بزيادة.
قراءة بتقديم وتأخير.
قراءة ناشئة من اختلاف اللغات.
قراءة بتبديل كلمة بأخرى بمعناها.
قراءة بتبديل كلمة بأخرى ليست بمعناها.
قراءة بإدغام حرف في حرف.
قراءة بفك الإدغام.
قراءة المفرد بالجمع.
قراءة الجمع بالمفرد.
قراءة بنقص
قراءة بتغيير الإعراب.
قراءة المثبت بالمنفي.
قراءة الجمع السالم بالمكسر.
قراءة المصغر بالمكبر.
قراءة المكبر بالمصغر.
قراءة المؤنث بالمذكر.
قراءة بتغيير صيغة الكلمة الى صيغة أخرى.

غير أننا نبدأ ا بما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فنقول:

١) قال السيوطي في الإتقان وفي فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله: إن ابن مسعود أقرأ رجلا: {إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم}(٩)، فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقيم بها لسانه، فقال له: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل(١٠)، اهـ . لما كان الأثيم هو الفاجر الكثير الآثام وكان الرجل لا يستطيع أن يقول الأثيم، بدلها له ابن مسعود بالفاجر التي هي بمعناها ولم يخل ذلك بكونها من القرآن.

٢) قال الزمخشري في الكشاف: يروى أن إعرابيا قرأ من سورة الزلزلة(١١) قوله: " فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره" بتقديم شرا يره وتأخير خيرا يره، ومعنى الآية واحد لم يتغير بالتقديم والتأخير، فقيل له: قدمت وأخرت، فقال:

كـلا جـانبي هـرش خذا بطن هرش أو قـفاهـا فـإنما
لهـــن طـريــق(١٢)

وهرش تثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر وهي بفتح فسكون مع القصر، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى به الى موضع واحد. ويروى أنف هرشي بدل بطن هرشي، والبيت مثل يضرب فيما تيسر الوصول

إليه من جهتين. وفي معجم البلدان عن أبي جعدة قال: عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش كانت أمه أخت عقيل بن علفة، فقال له: قبحك الله ما أشبهت خالك في الجفاء، فبلغ ذلك عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئا تعيره به إلا خؤولتي، فقبح الله شركما خالا. وكان صخر بن الجهم العدوي حاضرا وأمه قرشية، فقال: أمين يا أمير المؤمنين قبح الله شركما خالا، وأنا معكما، فقال عمر: إنك لأعرابي جلف جاف، أما لو تقدمت إليك لأجبتك، والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا، فقال: بلى إني لأقرأ، فقال: { إذا زلزلت الأرض زلزالها} حتى تبلغ الى آخرها، فقرأها حتى إذا بلغ آخرها قرأ " **فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"**، فقال له عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ فإن الله تعالى قدم الخير، وأنت قدمت الشر، فقال عقيل:

كـلا جـانبي هـرش خذا أنف هرش أو قـفاهـا فـإنما
لهـــن طـريــق

قال فجعل القوم يضحكون من عجرفته.

وقيل: هذا الخبر كان بين يعقوب بن سلمة وهو ابن بنت لعقيل وبين عمر بن عبد العزيز، وأنه قال لعمر: بلى والله إني لقارئ الآية وآيات، وقرأ: " إنا بعثنا نوحا الى قومه" فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن ليس هكذا، قال: فكيف؟ فقال: { إنا ارسلنا نوحا الى قومه} (١٣) فقال: ما الفرق بين أرسلنا وبعثنا؟ وأنشد البيت(١٤).

٣) وفي سورة النمل: { قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها} (١٥)، قال الزمخشري (١٦): وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز، قال ووجه أنه سمع سؤق (جمع ساق)، فأجرى عليه الواحد. ومعنى هذا أنه لما سمع الجمع مهموزا في بعض اللغات قاس عليه المفرد فقرأ سأقيها. وهذا صريح في أن قراءة ابن كثير هذه قرئت بالقياس لا بالتوقيف ولم يحدث بها إلا تغيير في اللفظ دون المعنى.

٤) وفي سورة النجم قوله: { ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى} (١٧)، في الكشاف (١٨) قرأ علي وابن الزبير وجماعة: " عندها جنه المأوى"، على أن تكون جن فعلا ماضيا وضمير الغائب المتصل مفعولا والمأوى فاعلا، والمعنى ستره المأوى بظلاله، قال: وعن عائشة أنها أنكرت هذه القراءة وقالت: من قرأ بها أجنه الله.

ويظهر لنا أن هذه القراءة حدثت بعد انتشار المصاحف المخطوطة، وأنها ناشئة من رسم الخط وعدم إعجام المصاحف، فإنهم كانوا لا يعتنون بإعجامها وكانوا يعرفون المعجم والمهمل من معنى الكلام وسياق العبارة وسياقها. فجنة وجنه في الخط واحد، فقرأ هؤلاء التاء المدورة هاء وجعلوها ضميرا عائدا الى عبده

المذكور في آية سابقة، ورأوا معنى الآية متجها صحيحا فقرأوها هكذا:" جنه المأوى" خصوصا وهي ملائمة لما سبقها من سدرة المنتهى، فجعلوها المأوى جنت أي سترت بظلالها محمدا.

هذا هو منشأ هذه القراءة، وقد علمنا أن كل ما صح به المعنى كان قرآنا عندهم ما لم يجعلوا آية الرحمة آية عذاب أو بالعكس. وإني أرى الحق مع عائشة في إنكارهما لأنها تخالف ما جاء في سور النازعات:{ فإن الجنة هي المأوى} (١٩) فإن هذه الآية تؤيد أن قراءة عندها { جنة المأوى} أصح من قراءة " جنه المأوي"، والقرآن يؤيد بعضه بعضا كما يفسر بعضه بعضا. وأما قول عائشة من قرأ بها أجنه الله فيحتمل أنه بمعنى جعله مجنونا كما يقال أحبه فهو محبوب، ويحتمل أن يكون بمعنى ستره وأخفاه إذ يقال أجنه الليل كما يقال جنه.

والقراءات الناشئة من مشابهة رسم الخط وعدم الإعجام كثيرة، فمنها ما جاء في سورة القصص من قوله: { فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه } (٢٠)، قرأها سيبوية فاستعانه (٢١) وما ذلك إلا لأنها إذا تركنا الإعجام فرسم الخط في الكلمتين واحد، كما أن معناهما واحد أيضا، فمعنى الآية متجه نحو قراءة سيبوية أيضا.

ومنها في سورة يس من قوله: { فأغشيناهم فهم لا يبصرون} (٢٢) وقرأها بعضهم فأعشيناهم (٢٣) من العشى وهو سوء البصر والمعنى في هذه القراءة متجه صحيح أيضا كالأولى.

ومنها في سورة الأعراف قوله:{ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء} (٢٤)، وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من دونه أولياء (٢٥) ، ولا شك أن الإعجام إذا ترك في الآية كان رسم الخط واحد في تتبعوا وتبتغوا إلا أن أول الآية " اتبعوا" والذي يناسب هذا الأمر أن يكون النهي ولا تتبعوا، غير أن القراءة الثانية أعني قراءة ابن دينار تناسب ما بعد النهي من قوله: { من دونه أولياء} أكثر من القراءة الأولى: فمن راعي أول الآية قرأ ولا تتبعوا، ومن راعى آخرها كابن دينار قرأ ولا تبتغوا، والمعنى في كلتي القرائتين متجه صحيح، إلا أن قراءة ابن دينار أنسب لنهج القرآن فإنه يعبر عن مثل هذا باتخذ دائما وأبدا، كما قال في سورة الإسراء: { أن لا تتخذوا من دوني وكيلا} (٢٦)، وفي سورة آل عمران: { لا تتخذوا بطانة من دونكم} (٢٧)، وفي سورة النساء: { ولا تتخذوا منهم أولياء} (٢٨) وفي سورة النحل: { لا تتخذوا إلهين اثنين} (٢٩)، وفي سورة النساء: { ولا تتخذوا الكافرين أولياء} (٣٠)، الى غير ذلك من السور، ولا شك أن الابتغاء والاتخاذ متقاربان جدا في معناهما وليس كذلك الاتباع.

ومنها في سورة ص قوله: { بل الذين كفروا في عزة وشقاق} (٣١)، وقرأها بعضهم في غرة (٣٢) أي في غفلة، وهذه القراءة على ما أرى تناسب المعنى المراد في الآية أكثر من قراءة عزة، ومنها في سورة ص أيضا قوله: { وظن داود إنما فتناه} (٣٣) ، وقرأ بعضهم فتّناه بتشديد التاء أيضا للمبالغة، وقرأ بعض آخر فتناه بتخفيف التاء والنون على أن تكون الألف فاعلا وهي ضمير

الاثنين يعود الى الملكين والخصمين المذكورين سابقا (٣٤). وقرأ بعضهم فتناه بتشديد التاء وتخفيف النون وهي بمعنى التي قبلها إلا أن التاء فيها شددت للمبالغة. فانظر الى كلمة " فتناه" تجدها تحتمل هذه الوجوه المقروءة كلها والمعنى في كل منها متجه صحيح، إلا أن هذه القراءات هنا ناشئة من عدم الشكل لا من عدم الإعجام، فالذي تصور المعنى أن الفاتن هو الله شدد النون وجعلها مع الألف ضمير جمع المتكلم للتعظيم، والذي تصور المعنى أن الفاتن هو الملكان أو الخصمان خفف النون وجعل الألف ضمير الاثنين يعود الى الملكين، وفي هذا دلالة واضحة أنهم ينظرون الى المعنى فيقرأون بمقتضاه ولا يتقيدون باللفظ ، ولا ينطبق هذا على كون القراءات توقيفية.

ومنها في سورة يونس قوله: { لتكون لمن خلفك آية}(٣٥) أي لمن وراءك أو لمن بعدك، وقرأ بعضهم لمن خلقك بالقاف أي لتكون لله خالقك آية كسائر آياته (٣٦). ورسم الخط في القراءتين واحد لا يميزه إلا الإعجام.

ومنها في سورة الأنفال: { يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال}(٣٧)، وجاء في قراءة حكاها الأخفش:" حرص المؤمنين" (٣٨) بالصاد المهملة والمعنيان متقاربان فمعنى الآية مستقيم في كل منهما. ومن القراءات الناشئة من رسم الخط ومن توجيه المعنى الى وجه صحيح ما جاء في سورة الجاثية من قوله: { وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} (٣٩) القراءة الشائعة هي أن" من" حرف جر والضمير العائد الى الذي سخر وهو الله مجرور بها محلا. غير أن كلمة منه على هذه القراءة قلقة غير متمكنة وقد حاروا في متعلق الجار والمجرور فأعربوه إعرابا متكلفا، انظر الكشاف للزمخشري (٤٠)، ولذا قرأ ابن عباس منه. ورسم الخط مساعد على قراءتها هكذا، إلا أن المعنى لم يزل قلقا على هذه القراءة أيضا لأن المنة وهي تعديد النعم على سبيل التقريع لا تناسب أن تكون من الله. فلذا قرأ سلمة بن محارب منه بفتح الميم وتشديد النون وضمها فتكون منه مضافا الى الضمير على أن يكون فاعلا لسخر على الإسناد المجازي، فيكون المعنى وسخر لكم أنعامه ما في السموات وما في الأرض جميعا، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف بمعنى ذلك منه أي أنعامه. ولولا رسم الخط لما استطاع ابن عباس ولا ابن محارب أن يقرأ قراءتيهما ولم يحملهما على هذه القراءة إلا توجيه المعنى، وسيأتي أن كثيرا من القراءات يكون فيها إصلاح للعبارة أو توجيه للمعنى.

٥) وفي سورة يوسف: { ليسجننه حتى حين}(٤١) وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل. قال الزمخشري وعن عمر أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال له من أقرأك هذا قال ابن مسعود، فكتب إليه ينهاه عن هذه القراءة، وقال له إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش، فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام (٤٢). ولو كانت القراءة توقيفية أي بتوقيف من النبي لما جاز لعمر أن ينهاه عنها وأن يقول له هذا القول.

٦) وفي سورة هود: { ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا} (٤٣) وقرأ علي ابنها والضمير لامرأته ولم يسبق ذكرها في الآيات المتقدمة، فيكون من قبيل الإضمار قبل الذكر. وفي القرآن له نظائر، والظاهر أن الذي حمل عليا على هذه القراءة اعتقاده أنه ليس بابنه بل هو ربيبه فنسبه الى أمه. قال الزمخشري: ولنسبته الى أمه وجهان، أحدهما: أن يكون ربيبا له، والثاني: أن يكون لغير رشدة أي ابن زنا. قال: وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء. وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء، يريد ابنها، فاكتفى بالفتحة عن الألف. قال الزمخشري: وبه ينصر مذهب الحسن – يعني الحسن البصري- فإنه كان من القائلين بأنه ابن امرأة نوح وكان ربيبا له. قال قتادة: سألت الحسن عن ذلك فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إن الله حكى عنه: { إن ابني من أهلي} (٤٤) وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل بقوله: { من أهلي}، ولم يقل: مني (٤٥). وما أدري هل مسألة كونه ابن نوح أو كونه ابن امرأته وربيبه هي من المسائل التي تستحق أن يختلف فيها العلماء ويشغلوا بها أفكارهم حتى أن الحسن البصري وهو كابن سيرين من سبي عين التمر يجعل لنفسه فيها مذهبا خاصا يذب عنه ويجادل فيه، وهي مسألة ليست من أصول الدين ولا من فروعه، وإنما ذكرت في القرآن ليعتبر بها أهل الإيمان ويعلموا إن الإيمان وحده هو المنجي من الهلاك، وأن النسب لا يغني من الله شيئا، حتى أن أبوة نوح لم تنج ابنه الكافر من الغرق مع شدة حرصه على نجاته. ولو كان الحسن البصري وأضرابه من طلاب الحقيقة العلمية بأفكارهم لانصرفوا الى جوهر الدين وأعملوا أفكارهم فيه وترفعوا عن الاختلاف في مثل هذه الأمور، فسبحان موقظ النفوس بالإيمان ومنيمها من الجمود في غيطان. ومهما يكن فإن هذه القراءات تدل بوضوح على أنهم كانوا يقرأون بالمعنى وبالرأي أيضا لا بتوقيف كما يدعون.

٧) وفي سورة الإنسان: { إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا} (٤٦)، القراءة الشائعة سلاسل غير منون لعدم انصرافه، وقرأ بعضهم بالتنوين، وتنوين ما لا ينصرف إنما يجوز في الشعر دون النثر ضرورة. وقد جعل الزمخشري (٤٧) في تفسيره لهذا التنوين وجهين أحدهما أن تكون هذه النون يعني نون التنوين بدلا من حرف الإطلاق، قال ويجري الوصل مجرى الوقف، ومعنى كلامه هذا أن نون التنوين هنا ليست للصرف بل بدل من ألف الإطلاق في الأسماء المنصرفة التي يكون تنوينها ألفا بعد الوقف ونونا عند الوصل، إلا أن هذه النون التي جعلت بدلا من حرف الإطلاق في " سلاسلا" أبقيت في الوصل والوقف إجراء للوصل مجرى الوقف.

والوجه الثاني أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضري أي ولع برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف. هذه كلامه. وإذا كان سبب هذه القراءة ولوع قارئها برواية الشعر ومرون لسانه على صرف ما لا ينصرف فهل يجوز أن يقال بأنها توقيفية، وهل هذا الكلام من الزمخشري سوى تصريح منه بأن قراءاتهم لم تكن كلها عن توقيف.

ومما يدل بوضوح على أنهم يقرأون لا عن توقيف: ما روي عن أنس في قوله في سورة المزمل: { إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا} (٤٨) أنه قرأ وأصوب قيلا، فقيل له: يا أبا حمزة إنما هي وأقوم، فقال: إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد (٤٩). ولو كانت القراءة بالتوقيف لقال: إني سمعتها من رسول الله، وكان من أشد الصحابة ملازمة لرسول الله، ولكنه قرأ بالمعنى فما صح به المعنى فهو قرآن, وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ:{ فحاسوا خلال الديار} (٥٠) بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا فقال جاسوا وحاسوا واحد.(٥١)

٨) وفي سورة الرعد قوله: { أفلم ييأس الذين أمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا} (٥٢)، ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم، قيل: هي لغة قوم من النخع، ورووا في ذلك بيتا لسحيم بن وثيل الرياحي:

أقول بهم بالشعب اذ ييسر ونبنى ألم تيأسوا انى ابن فارس زهدم

وأظن البيت منحولا موضوعا ولذا أخذ بعضهم يتأول في الآية فقال إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشئ عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمنه ذلك. وقرأ علي وابن عباس وجماعة من الصحابة أفلم يتبين الذين آمنوا، قالوا: وهو تفسر أفلم ييأس (٥٣)، فتكون قراءتهم هذه من قراءة القرآن بالمعنى ييأس. وادعى بعضهم في الآية دعوى على غرابتها قريبة من الحقيقة، فقال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات، يريد بالسينات الركزات التي تكتب في الخط ناتئة كأسنان المشط، ومعنى كلامه هذا أن ييئس ويتبين هما في رسم الخط واحد كلتاهما ترسمان في الخط بسينات أي بركزات متوالية سوى أن السينات في ييئس تكتب مستوية وفي يتبين غير مستوية بل بعضها أشد نتوءا من بعض، وأن الآية هي أفلم يتبين ولكن الكاتب كان ناعسا فلم يكتب السينات متفاوته بل كتبها متساوية بسبب ما استولى عليه من النعاس، فوقع التشابه بين خط ييئس وخط يتبين لعدم الإعجام، ولذا قرأها بعضهم أفلم ييئس لأنهم كانوا لا يعجمون المصاحف. وإلا فلفظ الآية هو أفلم يتبين كما قرأ علي وابن عباس. أما الزمخشري فإنه بعد أن ذكر هذا القول في تفسيره (٥٤) أخذ يزبد ويرعد بما لا حاجة الى ذكره هنا.

وآخر ما نذكره لك ههنا قراءة رؤبة بن العجاج الشاعر البدوي المشهور الذي يستشهد علماء العربية بشعره وأراجيزه، فإنه قرأ جفالا في قوله في سورة الرعد: { فأما الزبد فيذهب جفاءً} (٥٥)، والجفال والجفاء كلاهما بمعنى واحد

وهو ما نفاه السيل ورمى به. وقد أنكر أبو حاتم قراءة رؤبة هذه وقال لا يقرأ بقراءة رؤبة أنه كان يأكل الفأر. وما أدري ما علاقة أكل الفأر بالقراءة وكيف يكون أكل الفأر(٥٦) سببا لرفض القراءة، وكان العرب يأكلون الضباب واليرابيع وما هي إلا نوع من الفأر.

القراءة بزيادة:

إن ما يزيد في قراءاتهم قد لا يزيد في المعنى شيئا، وقد يزيد فيه ما يناسبه أو يكون متمما له. ففي سورة العلق: { اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم} (٥٧)، وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم. وفي سورة تبت قوله: { تبت يدا أبي لهب وتب} (٥٨)، وقرأ ابن مسعود وقد تب بزيادة قد. وفي سورة الكهف:{ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره} (٥٩)، وقرأ عبد الله أن أذكركه، وفي هذه القراءة تغيير صيغة الفعل مع زيادة ضمير المخاطب.

وفي سورة الكهف أيضا: { كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا} (٦٠)، وقرأ أبي وعبد الله كل سفينة صالحة، وبهذه الزيادة إصلاح لمعنى الآية فيها يستقيم المعنى، وإلا لم يبق معنى لخرق السفينة إذا كان الملك يأخذ كل سفينة غصبا.

وفي سورة الكهف أيضا: { فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا} (٦١)، وقرأ أبي فخاف ربك أن يرهقهما، وفي هذه القراءة مع الزيادة تبديل كلمة بكلمة أخرى.

وفي سورة طه:{ إن الساعة آتية أكاد أخفيها} (٦٢)، وفي مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي، وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها.

وفي سورة الأحزاب: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} (٦٣)، وقرأ ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم.

وفي سورة سبأ: { فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} (٦٤)، ظاهر المعنى في الآية لا يستقيم إلا بتأويل كأن يقال مثلا فلما خر تبينت الجن أن تبين المدعون العلم من الجن، أو نبين عوام الجن أن لو كان كبارهم يعلمون الغيب أو نحو ذلك، ولذا قرأ أبي تبينت الإنس فيكون المعنى تبينت الإنس أن لو كانوا (أي الجن) يعلمون الغيب، وليس في قراءة أبي هذه زيادة وإنما هي تبديل كلمة الجن بكلمة الإنس، ولكن ابن مسعود قرأ بزيادة كلمة الإنس مع إبقاء كلمة الجن، هكذا: فلما خر تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب، وعلى هاتين القراءتين يستقيم المعنى بلا تأويل.

وفي سورة البقرة: { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} (٦٥)، وقرأ ابن عباس ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج، وفي هذه القراءة إكمال للمعنى المراد من الآية وتخصيص لعمومه يتجه به المعنى ويستقيم. وبيان ذلك أن ظاهر المعنى في الآية غير مستقيم لأن ابتغاء فضل الله من الأمور الحميدة التى لا يوجد في الناس من يقول إنها إثم أو جناح حتى يحتاج الى بيان نفي الإثم أو الجناح، ولكن المراد نفي ذلك عنها في أيام الحج الذي هو

عبادة وركن من أركان دين الإسلام، كما يتضح ذلك من سبب نزول هذه الآية، وذلك أنهم كانوا يتجرون في أيام الموسم فيبيعون ويشترون وكانت معايشهم من هذه التجارة، فلما جاء الإسلام تأثموا وتحرجوا وصاروا يرون اشتغالهم بالتجارة في أيام أدائهم فريضة الحج إثما حتى جاء رجل الى رسول الله وسأله عن ذلك، فنزلت هذه الآية يرفع الجناح عنهم وإباحة التجارة لهم في مواسم الحج، أي ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم بالربح الذي تربحونه من البيع والشراء في أيام الحج. فقراءة ابن عباس أكملت المعنى المراد وأوضحته بتخصيصه في مواسم الحج، وإلا فالمعنى على عمومه غير مستقيم. وروي عن عمر أنه قيل له: هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال: وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج.

وقد ذكرنا فيما تقدم عند الكلام عن الحج أنه في الأصل إنما وضع لمنفعة أهل مكة الذين هم تجار العرب في الجاهلية ولا معيشة لهم إلا بالتجارة، فلما جاء الإسلام أقره لأسباب تقدم بيانها. ولما فرض الحج في الإسلام صار المسلمون والمشركون يحجون معا مختلطين الى أن نزلت سورة براءة التي أعلنت فيها الحرب العامة ونبذت الى المشركين عهودهم فمنعوا من الحج، حتى أن ذلك ساء قريشا أهل مكة لأنه يؤدي الى حرمانهم من الربح في تجارتهم أو الى حدوث النقصان في أرباحهم يمنع المشركين من الحج، فلذا عوضهم الله عن ذلك بالجزية يأخذنها من الكفار أهل الذمة كما تقدم بيان ذلك مفصلا.

وفي سورة البقرة: { حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} (٦٦)، وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف: إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله يقرأها، فأملت عليه: والصلاة الوسطى صلاة العصر. وروي عن عائشة وابن عباس: والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو. قال الزمخشري: فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى أما الظهر وأما الفجر وأما المغرب على اختلاف الروايات فيها، والثانية العصر، وقرأ عبد الله وعلي " وعلى الصلاة الوسطى بزيادة على" (٦٧).

وفي سورة النساء:{ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ وأخت فلكل واحد منهما السدس} (٦٨)، وقرأ أبي وله أخ أو أخت من الأم، وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم بلا حرف تعريف.

وفي سورة الأنعام:{ لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون} (٦٩)، من قرأ بنصب بينكم فقد أسند الفعل الى مصدره على تأويل وقع التقطع بينكم، ومن قرأ بالرفع فقد أسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم. وقرأ عبد الله لقد تقطع ما بينكم بزيادة ما، وعلى هذه القراءة لا إشكال في الإعراب.

وفي سورة ص: { إن هذا أخي له تسع وتسعو نعجة ولي نعجة واحدة} (٧٠)، وقرأ ابن مسعود ولي نعجة أنثى, قال الزمخشري في تفسيره (٧١): يقال امرأة أنثى للحسناء الجميله، والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنها. وفي سورة الزمر(٧٢) أيضا: { والذين اتخذوا

من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى} (٧٣)، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم إلا بزيادة قالوا.

وفي سورة فصلت:{ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط}(٧٤)، وقرأ ابن مسعود من دعاء الخير بزيادة الباء، وهي أفصح من القراءة الأولى.

وفي سورة الجاثية: { وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر} (٧٥)، وفي قراءة وما يهلكنا إلا دهر يمر.

وفي سورة الأحقاف: { وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا} (٧٦)، وفي قراءة مصدق لما بين يديه، وفيها أيضا: { ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده...} (٧٧)، وفي قراءة حتى إذا استوى وبلغ أشده.

وفي سورة الرحمن: { هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون} (٧٨)، وفي قراءة عبد الله : هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان، وهذه القراءة خرجت عن حد الزيادة وبلغت حد الإطالة ومع هذه الزيادة فيها حذف أيضا إذ حذف منها المجرمون.

وفي سورة المجادلة: { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا} (٧٩)، قال الزمخشري: وفي مصحف عبد الله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك إلا الله معهم وإذا أنتجوا (٨٠) ، كأن القراءة الأولى مختصرة من القراءة الثانية

وفي سورة هود: { قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق} (٨١)، وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد، والزيادة في هذه القراءة زيادة إكمال.

وفي سورة يونس: { حتى إذا كنتم في الفلك وجرينا بهم بريح طيبة} (٨٢)، قرأت أم الدرداء حتى إذا كنتم في الفلكي بزيادة ياء النسب المشددة، قال الزمخشري (٨٣): هي زائدة كما في الخارجي، قال ويجوز أن يراد به الماء الغمر، ونسب الى الفلك لأن الفلك لا تجري إلا فيه ولا تجري في الضحضاح.

القراءة بالنقص

في سورة الإخلاص قوله: { قل هو الله أحد} (٨٤)، وقرأ عبد الله وأبي هو الله أحد بلا قل. قال الزمخشري: وفي قراءة النبي الله أحد بغير قل وبغير هو ، وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد أو الأحد بمعنى الواحد (٨٥).

وفي سورة الأحزاب:{ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي}(٨٦)، وقرأ ابن مسعود وهبت نفسها للنبي بلا إن.

وفي سورة البقرة قوله: { قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي} (٨٧)، وقرأ عبد الله سل لنا ربك ما هي، ففي هذه القراءة نقص يبين لنا وفيها تبديل ادع بسل.

وفي سورة الأعراف قوله:{ ولباس التقوى ذلك خير} (٨٨)، وقرأ عبد الله وأبي لباس التقوى خير، وفي هذه القراءة إصلاح للعبارة لأنها تتضمن حذف ما هو زائد فيها.

وفي سورة حم أو سورة الشورى: { حم * عسق} (٨٩)، قرأ ابن عباس وابن مسعود **حم سق** بحذف العين وهذه القراءة عجيبة إذ ليس في المعنى ولا في اللفظ ما يدعو الى هذه القراءة، وهذه لا يجوز أن تكون إلا بتوقيف، فيظهر أن ابن عباس وابن مسعود سمعاها من النبي.

وفي سورة الحشر قوله: { فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين* فكان عاقبتهما إأهما في النار} (٩٠)، وجاء في بعض القراءات قال: أنا برئ منك وعاقبتهما أنهما.

وفي سورة الجمعة: { قل إن الموت الذي تفرون منه **فإنه** ملاقيكم} (٩١)، أشكل في هذه القراءة المشهورة دخول الفاء على خبر إن، فقالوا في تخريجها: إن الفاء دخلت لتضمن الذي معنى الشرح، وكذا قرأ زيد بن علي إنه ملاقيكم بلا فاء، وقرأ ابن مسعود ملاقيكم بلا فإنه وهي قراءة ظاهرة لا إشكال في إعرابها.

وفي سورة الأنفال:{ يسألونك عن الأنفال} (٩٢)، وقرأ ابن محيط يسألونك علنفال بحذف همزة أل وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام ، وقرأ ابن مسعود يسألونك الأنفال بلا عن فيكون السؤال على القراءة المشهورة بمعنى الاستخبار وعلى قراءة ابن مسعود بمعنى الطلب والاستعطاء.

وفي سورة الأنفال أيضا:{ ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين} (٩٣)، وقرأ ابن مسعود والله مع المؤمنين بلا إن.

القراءة بالتقديم والتأخير:

في سورة النصر:{ إذا جاء نصر الله والفتح} (٩٤)، وقرأ ابن عباس إذا جاء فتح الله والنصر، ولا فرق بين القراءتين في المعنى لأن الواو لا تفيد الترتيب وإنما هي لمطلق الجمع.

وفي سورة البقرة: { ما ننسخ من آية أو ننسها{ (٩٥)، وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها، وفيها قراءات أخرى.

وفي سورة آل عمران: { وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به} (٩٦)، وقرأ أبيّ ويقول الراسخون، وبهذه القراءة تكون الآية نصا في أن المتشابه لا يعلمه إلا الله.

وفي سورة ص: { هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب} (٩٧)، وقرأ ابن مسعود هذا ما منن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب، وفي سورة الفتح: { وألزمهم

كلمة التقوى وكانوا أحق بها أهلها } (٩٨)، وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أهلها وأحق بها.

وفي سورة نوح:{ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا } (٩٩)، وقرأ ابن مسعود من خطيئاتهم ما، بتأخير الصلة هي ما. وفي سورة هود:{ فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنه مصيبها ما أصابهم} (١٠٠)، وقرأ عبد الله فاسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك فإنه مصيبها ما أصابهم ولا يلتفت منكم أحد.

وفي سورة ابراهيم:{ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء } (١٠١)، وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها، قال الزمخشري والقراءة الأولى أقوى معنى، لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة، وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل (١٠٢)، أقول: ويلزم على قراءة أنس التقديم والتأخير في الجملة الثانية أيضا ليتطابق الكلام، فتكون الآية هكذا كشجرة طيبة ثابت اصلها وفي السماء فروعها، ولم يذكر الزمخشري ذلك.

القراءة الناشئة من اختلاف اللغات:

سورة الكوثر: {إنا أعطيناك الكوثر} (١٠٣)، قال الزمخشري: وفي قراءة رسول الله إنا أنطيناك بالنون، وأقول: ونسبته هذه الى رسول الله غريبة لأن أنطى لغة يمانية ورسول الله قرشي عدناني، ولكن يجوز أنه قرأ باللغة اليمانية تعليما لأمته أن يقرأوا بلغاتهم المختلفة ما لم يغيروا المعنى.

وفي سورة البقرة:{ إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت في سكينة من ربكم} (١٠٤)، وقرأ أبي وزيد بن ثابت أن يأتيكم التابوه بالهاء، قال الزمخشري (١٠٥): وهي لغة الأنصار يعني الأوس والخزرج. وفي سورة ص:{ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة} (١٠٦)، وجاء في بعض القراءات تسع وتسعون نعجة بفتح التاء وبكسر النون من نِعجة، قال الزمخشري وهذا من اختلاف اللغات (١٠٧).

وفي سورة الحجرات:{ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن} (١٠٨)، وقرأ عبد الله عسوا أن يكونوا، وعسين يكن، فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر، وعلى القراءة الأولى هي التي لا خبر لها، وهذا الاستعمال من اختلاف اللغة.

القراءة بتبديل كلمة بأخرى بمعناها أو بمعنى يقاربها:

في سورة أرأيت:{ فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون} (١٠٩)، وقرأ ابن مسعود عن صلاتهم لاهون، والمعنى واحد.

وفي سورة قريش:{لإيلاف قريش* إيلافهم رحلة الشتاء والصيف} (١١٠)، وقرأ عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف.

وفي سورة الإسراء:{ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها} (١١١)، وجاء في قراءة سيئة وفي أخرى سيئا، وفي بعض المصاحف سيئا وسيئات، وفي قراءة أبي بكر الصديق كان شأنه، وفي سورة الإسراء أيضا: { يوم ندعو كل أناس بإمامهم} (١١٢)، وفي قراءة الحسن بكتابهم.

وفي سورة الكهف:{ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد} (١١٣)، وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أي وصاحب كلبهم، وهي قراءة عجيبة لأنها لا تلائم قوله باسط ذراعيه بالوصيد، فإنما يفعل ذلك الكلب لا الكالب.

وفي سورة مريم:{ وإني خفت الموالي من ورائي} (١١٤)، وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين **خَفَّتْ** الموالي بفتح الخاء وتشديد الفاء وسكون التاء، والظاهر أن هذه القراءة ناشئة عن تشابه رسم الخط وعدم الشكل في المصاحف، وإلا فالقراءة الأولى أوضح وأنسب للمعنى المراد من الآية.

وفي سورة الأنبياء:{ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها} (١١٥)، وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة، وكونها مفاعلة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء. وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب ويساعد على هذه القراءة مشابهة الخط للقراءة الأولى لأن المصاحف غير معجمة، وقرأ ابي جئنا بها.

وفي سورة الحج:{ ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل} (١١٦)، قال بعضهم: الضمير في قوله:{ هو سماكم} يعود الى الله، ويؤيد قولهم قراءة ابي بن كعب الله سماكم المسلمين، وقال آخرون: الضمير يعود الى ابراهيم، ويؤيد قولهم قوله:{ من قبل}، فإنه يقتضي أن المسمى هو ابراهيم وفيه أن اسم الإسلام والمسلمين إنما حدث في الدين الذي جاء به محمد ولم يكن في عهد ابراهيم، فالذي سمى هذا الدين بالإسلام وسمى أهله بالمسلمين هو الله لا إبراهيم كما جاءت به قراءة أبي بن كعب.

وفي سورة النور:{ يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها} (١١٧)، وقرأ أبي بن كعب حتى تستأذنوا، وقرأ عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا، بتقديم وتأخير، وليست قراءة عبد الله هذه بمناسبة للحال لأن السلام يكون عند الدخول بعد الاستئذان. وقد اتفق عبد الله وأبي كلاهما على قراءة تستأذنوا بدل تستأنسوا، وقراءتها هي الموافقة لمقتضى الحال، فإن اللازم قبل الدخول هو الاستئذان لا الاستئناس. نعم، إن الاستئناس يأتي بمعنى الاستعلام والاستكشاف أيضا من أنس الشئ إذا أبصره ظاهرا مكشوفا، إلا أنه بهذا المعنى غير شائع فلا يعرفه كل أحد. وقال الزمخشري في تفسيره، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب، قال: ولا يعول على هذه الرواية (١١٨)، أقول: بل لا يعول على هذا القول منه. إن الاستئذان قبل الدخول من أهم الآداب الاجتماعية لا سيما عند الأمم المتمدنة في زماننا، ومن العجب أن أبعد الناس عن هذا الأدب الاجتماعي في زماننا هم المسلمون فلو رأيتهم كيف يدحرون دحورا على الناس بلا استئذان، وكيف يغضبون إذا منعوا

من الدخول بهذه الطريقة المنكرة لكنت في شك من أن هذه الآية مذكورة في قرآنهم الذي يقرأونه كل يوم، أو قلت في نفسك لعل هذه الآية منسوخة حكما لا قراءة، وإلا فكيف يكون المسلمون على هذه الحالة الهمجية المستنكرة.

وفي سورة الشعراء قوله: { أتأتون الذكران من العالمين* وتذرون ما خلق ربكم من أزواجكم} (١١٩)، قال الزمخشري: من بيانيه أي هي بيان لما خلق، قال: ويجوز أن تكون للتبعيض ويراد بما خلق العفو المباح منهن، يعني الفرج، وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم، قال: وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم (١٢٠)، أي أن قراءة ابن مسعود تقتضي ذلك وتشمل من يفعله.

وفي سورة الشعراء أيضا: { وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} (١٢١)، لا أشفي لقلوب المظلومين من همومها وآلامها، ولا أصدع لأكباد الظالمين، ولا أروع لنفوس المتمردين مما تضمنته هذه الآية من الوعيد المرهب الشديد. قال الزمخشري وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون، وقد تلاها أبو بكر لعمر حين عهد إليه بالخلافة (١٢٢). وقد جاءت في هذه الآية قراءة لابن عباس أفسدت منها المعنى المرعب الرهيب فقرأ وسيعلم الذين ظلموا أي منفلت ينفلتون (١٢٣)، إذ بهذه القراءة الفهّة قد خرجت عن الوعيد لأن في انفلات الظالمين نجاة لهم، فأين هذه من القراءة المشهورة تتضمن من الوعيد ما يصدع قلوب الظالمين ويهول عليهم أفعالهم الجائرة بوعيد بليغ ما عليه من مزيد. إن قراءة ابن عباس هذه هي على ما أرى دليل قاطع وبرهان ساطع على أنهم لا يقرأون بتوقيف، بل كل ما صح به المعنى على أي وجه كان فهو قرآن عندهم، وإلا فمن البعيد أن يقرأ النبي محمد هذه القراءة أو أن يسمعها من أحد فيقره ولم ينكرها عليه.

وفي سورة سبأ قوله: { حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق} (١٢٤)، ومعنى فزع عن قلوبهم كشف عنها الفزع، وفي قراءة فرّغ، أي فرغ ونفى عنها الوجل، وفي قراءة أخرى افرنقع عن قلوبهم أي انكشف عنها.

وفي سورة يس: { إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون} (١٢٥)، وقرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم، والغل كما يكون في العنق يكون في اليدين أيضا، فإنه يجمع اليدين في العنق فتكون به اليدان مرفوعتين الى الذقن أي الى مجتمع اللحيين.

وفي سورة يس أيضا:{ أن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون} (١٢٦)، وقرأ ابن مسعود إلا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي إذا صاح، ومنه المثل " أثقل من الزواقي" أي الديوك لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت تفرقوا, وفيها أيضا:{ لقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون}(١٢٧)، أي أضل منكم خلقا كثيرا. وفي قراءة جبلا بكسر ففتح جمع جبلة كفطر جمع فطرة وخلق جمع خلقة، وفي قراءة أخرى لعلي بن ابي طالب جيلا وهو واحد الأجيال، والظاهر أن تعدد القراءات هنا ناشئ من تشابه رسوم الخط وعدم الإعجام.

وفيها ايضا:{ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ} (١٢٨)، وفي قراءة ملكة وفي أخرى مملكة وفي أخرى ملك والمعنى واحد، وفي سورة الصافات:{ ثم إن

مرجعهم لإلى الجحيم} (١٢٩)، وجاء في قراءات متعددة ثم إن منقلبهم، ثم إن مصيرهم، ثم إن منفذهم الى الجحيم.

وفي سورة البقرة:{ الذي جعل لكم الأرض فراشا} (١٣٠)، وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا. وفيها أيضا: { ألا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم} (١٣١)، وفي مصحف عبد الله يعلمون أنهم ملاقو ربهم، وهذه القراءة تناسب المقام أكثر من الأولى.

وفيها أيضا:{ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا} (١٣٢)، وقرأ بعضهم لا تجزئ، وقرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا، والمعنى واحد.

وفيها أيضا:{ إن البقر تشابه علينا} (١٣٣)، وفي قراءة تشابه بمعنى تتشابه فطرحت إحدى التائين، وفي أخرى تشابهت، وفي أخرى متشابهة، وفي أخرى متشابه، وقرأ محمد ذو الشامة إن البقر يشابه علينا، بالياء والتشديد. وفيها أيضا:{ فول وجهك شطر المسجد الحرام} (١٣٤) وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام.

وفيها أيضا:{ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب} (١٣٥)، معنى القصاص إذا كان لزيد فرس مثلا عند عمرو فحبسها عمرو عنده ولم يؤدها لزيد، ولم يستطيع زيد أن يأخذها منه قهرا، ثم إن زيد بعد مدة من الزمن أظفره الله بفرس لعمرو فأخذها وحبسها عنده ولم يؤدها لعمرو، فحينئذ يكون زيد قد فعل بعمرو مثل ما فعل عمرو به، وعندئذ يقال إن زيدا قد قاص عمرا مقاصة وقصاصا، فالقصاص مصدر قاصه أي فعل به مثل ما فعل. وأطلق القصاص على القود لأنه يفعل بالقاتل مثل ما هو بالمقتول، وهو، أعني القصاص، مأخوذ من التساوي أو من معنى القطع، وفي التعريفات القصاص هو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل.

قال الزمخشري في تفسيره: وكانوا، أي العرب في الجاهلية، يقتلون بالواحد الجماعة، وكم قتل مهلهل بأخية كليب حتى يكاد يفنى بكر بن وائل، وكانوا يقتلون بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر. فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه لهم حياة أي حياة (١٣٦)، ثم قال: وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة، أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص، وقيل القصص القرآن، أي ولكم في القرآن حياة للقلوب (١٣٧)، ا هـ.

أقول: ينبغي أن لا يعبأ بقراءة أبي الجوزاء هذه فإنها تفسد معنى الآية ولا تؤدي إليه توأ، فلا تكون العبارة نصا في القصاص الذي هو القود كما هو ظاهر من كلام الزمخشري المذكور آنفا.

وفي سورة البقرة:{ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله} (١٣٨)، وقرأ اليماني من كالم الله من المكالمة. وفي سورة آل عمران:{ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء} (١٣٩) وقرأ طاوس هو الذي تصوركم، أي جعل صوركم نفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا، وتأثلته إذا أثلته لنفسك.

وفي سورة آل عمران:{ وما يعلم تأويله إلا الله} (١٤٠)، وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله ، وهذه القراءة لا تحتمل وجهين كالقراءة المشهورة، فلا مواربه فيها بل هي تجعل المتشابه مما استأثر الله بعلمه، إلا أنها بدلت جملة مكان جملة لا كلمة مكان كلمة. وفيها أيضا:{ إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله} (١٤١)، وقرأ عبد الله فأنفخها، ويلزم من هذه القراءة أن يقرأ ما بعدها هكذا فتكون طيرا.

وفي سورة النساء:{ إن يدعون من دونه إلا إناثا} (١٤٢)، وقرأت عائشة إلا أوثانا، والمعنى يستقيم بهذه أيضا. وفي سور الأنعام:{ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يطعَم} (١٤٣)، يطعم الأولى مبنى للفاعل والثاني للمفعول، أي هو يرزق ولا يُرزق والضمير يعود الى الله. وروى ابن المأمون عن يعقوب قراءة بعكس هذه وهو يطعَم ولا يطعِم، بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، والضمير يعود لغير الله المذكور في أول الآية.

وفي سورة الأعراف:{ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة} (١٤٤)، وقرأ ابي بن كعب والذين مسكوا بالكتاب، وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب، وفي هاتين إصلاح لعبارة القراءة الأول المشهورة التي جاءت بعطف الماضي على المضارع، وذلك لا يتمشى مع البلاغة.

وفي سورة الحج:{ ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين} (١٤٥)، وقرأ ابي بن كعب الله سماكم المسلمين، وفي هذه القراءة إصلاح للمعنى لأن التسمية بالإسلام والمسلمين لم تقع إلا في دين الإسلام ولن يسبق أن سمى بها أحد قبل الإسلام لا إبراهيم ولا غيره من الأنبياء.

وفي سورة الأعراف:{ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار} (١٤٦)، وقرأ الأعمش وإذا قلبت ابصارهم. وفي سورة الواقعة:{ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون} (١٤٧)، وفي قراءة فظلتم تفكنون، أي تندمون. وفي سورة المجادلة:{ قد سمع الله قول التي تجادلك في زواجها} (١٤٨)، وفي قراءة تحاورك في زواجها، وفي أخرى تحاولك، أي تسائلك. وفي سورة الحشر:{ ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا} (١٤٩)، وفي قراءة ولا تجعل في قلوبنا غمرا، والغل والغمر كالاهما بمعنى واحد وهو الحقة.

وفي سورة النساء: { إن يدعون من دونه إلا إناثا} (١٥٠)، وقرأت عائشة إلا أوثانا. وفي سورة الزخرف:{ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين } (١٥١)، الظاهر أن أم هنا منقطعة بمعنى بل، وقرأ بعضهم أما أنا خير. وفي سورة الواقعة:{ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} (١٥٢)، قد فسروا هذه الآية بأنها على حذف مضاف، وتقدير الكلام وتجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون، يريد أنهم يضعون التكذيب موضع الشكر، وقرأ علي وتجعلون شكركم أنكم تكذبون، وفي هذه القراءة إصلاح لعبارة القرآن، وقيل هي قراءة رسول الله.

وفي سورة براءة:{ ثم لم ينقصوكم شيئا} (١٥٣)، وقرأ بعضهم ثم لم ينقضوكم شيئا، على تقدير ثم لم ينقصوا عهدكم شيئا والظاهر أن هذه القراءة ناشئة من

تشابه رسم الخط وعدم الإعجام. وفي سورة يونس:{ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت} (١٥٤)، وقرأ بعضهم تتلو كل نفس، بمعنى تتبع أي كل نفس تتبع عملها السالف، أو بمعنى تقرأ اي كل نفس تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر. وهذه القراءة أيضا ناشئة من تشابه رسم الخط وعدم الإعجام.

وفي سورة يوسف:{ وجاءوا على قميصه بدم كذب} (١٥٥)، وقرأت عائشة بدم كدب، بالدال غير المعجمة بمعنى كدر وقيل بمعنى طري. وهذه القراءة تناسب المعنى أكثر من القراءة المشهورة، لأنهم على ما قالوا ذبحوا سخلة ولطخوا قميصه بدمها، فالدم ليس بكذب بل هو دم صحيح غاية ما هنالك أنه ليس بدم انسان.

وفي سورة براءة:{ براءة من الله ورسوله}(١٥٦)، وقرأ أهل نجران من الله بكسر نون من وهي لغتهم. وفي سورة يوسف:{ ليسجننه حتى حين}(١٥٧)، قرأن ابن مسعود عتى حين، بجعل الحاء عينا على لغة هذيل. ويروى أن عمر سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال له من أقراك، قال ابن مسعود، فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش، فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام(١٥٨). وهذا صريح في أنهم كانوا يقرأون بالرأي لا بالتوقيف من رسول الله وإلا لم يجز لعمر أن ينهاه عنها,

قراءة المفرد بالجمع والجمع بالمفرد:

من الأول ما جاء في أول سورة الفرقان:{ تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} (١٥٩)، وقرأ بن الزبير على عباده، ويكون الضمير في قوله ليكون على هذه القراءة راجعا الى الفرقان.

وفي سورة النمل:{ وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون* فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال}(١٦٠)، وقرأ ابن مسعود فلما جاءوا، وفي هذه القراءة إصلاح لعبارة القرآن، لأن قوله فلما جاء بضمير المفرد لا يوافق ما قبله من قول بلقيس:{ فناظره بمَ يرجع المرسلون}، ولا يوفق ما بعده من قول سليمان: { أتمدونني بمال}، فإن الخطاب فيه للجمع أي للذين جاؤا بالهدية. فقراءة ابن مسعود هي الصحيحة، وأما قول المفسرين إن الضمير في قوله:{ فما جاء} يعود الى الهدهد الذي ارسله سليمان الى بلقيس فبعيد، كما يقتضيه قول سليمان أتمدونني خطابا للذين جاءوا.

وفي سورة الجاثية: { أفرأيت من اتخذ إلهه هواه} (١٦١)، وقد ذكرت هذه الآية في سورة الفرقان أيضا هكذا: { أرأيت من اتخذ إلهه هواه}(١٦٢)، وهذه هي القراءة المشهورة الموجودة في جميع المصاحف، والمعنى على هذه القراءة غير مستقيم إذ لا شك أن المعنى المراد هو ذم أهل الكفر الذين يتخذون من دون الله آلهة تبعا لأهوائهم، وعبارة الآية لا تفيد الذم بل تفيد المدح لأن الذي يتخذ إلهه هوى له محمود غير مذموم، فيلزم أن يقال: أفرأيت من اتخذ هواه إلهه، أي جعل هواه إلها له يطيعه ويعبده من دون الله، وحينئذ يستقيم المعنى. فإن قلت: إن هواه

في الآية وهو المفعول الأول مقدم وأن إلهه وهو المفعول الثاني مؤخر، قلتُ: لو كان المفعول الثاني نكرة لجاز التقديم والتأخير ولكن كلا المفعولين في الآية معرفة فكل منهما يصح أن يكون هو المفعول الأول، فبالتقديم والتأخير يقع الالتباس وينعكس المعنى المراد.

ولمزيد الإيضاح نقول: إن اتخذ هنا بمعنى جعل من الأفعال الملحقة بكان وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر فتنصبهما مفعولين، ويجوز في المفعولين التقديم والتأخير إذا كان الخبر نكرة، كأن يقال: جعلت أميرا زيدا، إذ لا يكون التباس بين المبتدأ والخبر في الأصل، فزيد هو المبتدأ في الأصل سواء أخرته أو قدمته، بخلاف ما إذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفة يصح أن يكون هو المبتدأ، فحينئذ لا يجوز فيهما التقديم والتأخير، لأن المعنى ينعكس بذلك، كما إذا قيل: اتخذ زيد أخاه جليسه كان المعنى جعل أخاه جليسا له فليس لجليس سوى أخيه، فإذا قدم المفعول الثاني فقيل: اتخذ زيد جليسه أخاه انعكس المعنى وصار معنى الكلام أن زيدا جعل جليسه أخا له فليس له أخ سوى جليسه. وكذلك المعنى في الآية، فإذا قيل: اتخذ إلهه هواه كان المعنى جعل إلهه هوى له، فليس هوى سوى إلهه، وهذا شئ حميد لا يذم عليه الإنسان، بخلاف ما إذا قيل: اتخذ هواه إلهه، فإن المعنى يكون حينئذ أنه جعل هواه إلها له فليس له إله سوى هواه وهذا هو المذموم، فلذا كان التقديم والتأخير في الآية غير جائز.

وقد جاءت في الآية قراءة أخرى ذكرها الزمخشري في الكشاف(١٦٣)، قال : وقرئ آلهة هواه، فعلى هذه القراءة تكون آلهة وهي جمع إله مفعولا ثانيا مقدما لأنه نكرة فلا يقع الإلتباس في تقديمه، ويكون هواه هو المفعول الأول مؤخرا والأصل في تركيب الكلام هكذا أفرأيت من اتخذ هواه آلهة، أي أطاع هواه وجعله له آلهة يعبدها من دون الله، وهذا هو المعنى المراد من الآية.

ويؤيد هذه القراءة ما ذكره الزمخشري في سبب نزولها إذ قال: إنها نزلت في الحارث بن قيس السهمي(١٦٤) وأمثاله من عباد الأصنام، فقد ذكروا أنه كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه إتخذه صنما وترك الأول فهذا معنى اتخذ آلهة هواه.

ففي هذه القراءة تصحيح للقراءة الأولى المشهورة، والذي نراه هوه أن القراءة الأولى ناشئة من عدم الإعجام في المصاحف لأن رسم الخط في إلهه وآلهة واحد لا تمتاز الثانية من الأولى إلا بالنقطتين فوق التاء المدورة، فأدى ذلك الى قراءة التاء المدورة هاء فصارت إلهه في القراءة الأولى.

وفي سورة المائدة:{ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما}(١٦٥)، وقرأ عبد الله والسارقون والسارقات. وفي سورة الأعراف:{ ألا إنما طائرهم عند الله}(١٦٦)، وقرأ الحسن ألا إنما طيركم عندالله، وهو اسم جامع لطائر غير تكسير، ونظيره الشجر والركب، وعند أبي الحسن وهو تكسير.

وفي سورة ص:{ فسخرنا له الريح تجري بأمره}(١٦٧)، وقرأ بعضهم فسخرنا له الرياح، وكذلك في سورة حم عسق: { إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد } (١٦٨)

وقرأ بعضهم إن يشأ يسكن الرياح. وفي سورة الفتح: { سيماهم في وجوههم من أثر السجود}(١٦٩)، وجاء في قراءة من آثار السجود.

وفي سورة القمر:{ وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر}(١٧٠)، وقرأ بعضهم فالتقى الماءان، وقرأ الحسن فالتقى الماءان، بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان، وهاتان القراءتان تلتئمان مع قوله فالتقى أكثر من القراءة الأولى. وإنما ذكرنا قراءة المفرد بالمثنى هنا لأن التثنية والجمع شئ واحد. وفي سورة الأنفال: { ومن رباط الخيل}(١٧١)، وقرأ الحسن " ومن ربُط الخيل" بضم الباء وسكونها جمع رباط.

في سورة براءة:{ ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله}(١٧٢)، وقرأ بعضهم مساجد الله. وفيها أيضا:{ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم..} (١٧٣)، وجاء في بعض القراءات وعشيراتكم، وقرأ الحسن وعشائركم.

قراءة الجمع بالفرد:

جاء من قراءة الجمع بالمفرد في سورة البقرة قوله:{ فأخرج من الثمرات رزقا لكم} (١٧٤)، وقرأ محمد بن السميفع من الثمرة. وفي سورة الشعراء:{ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين} (١٧٥)، جعل خاضعين خبرا عن الأعناق ووجه الكلام أن يقال خاضعة، وقد وجهه المفسرون بما لا حاجة الى ذكره هنا. وقرأ بعضهم فظلت أعناقهم لها خاضعة، وفي هذه القراءة إصلاح لعبارة القراءة الأولى. والظاهر أن سبب القراءة الأولى هو مراعاة الفاصلة.

وفي سورة ص:{ فطفق مسحا بالسوق والأعناق} (١٧٦)، وقرأ بعضهم بالساق، وتوجيه هذه القراءة على ما قاله الزمخشري أنها قرئت بالإفراد اكتفاء بالواحد عن الجمع لا من اللبس، وإلا فوجه الكلام هو الجمع (١٧٧). وفي هذه السورة أيضا:{ واذكر عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب} (١٧٨)، وقرأ بعضهم واذكر عبدنا، وعلى القراءة الأولى يكون ابراهيم وإسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا، وأما على القراءة الثانية فيكون ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف إسحاق ويعقوب على عبدنا. وفي سورة المؤمن:{ ثم لتكونوا شيوخا} (١٧٩)، وقرأ بعضهم ثم لتكونوا شيخا، قال الزمخشري وهي كقوله طفلا والمعنى ليكون كل واحد منكم، قال اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس (١٨٠).

وفي سورة حم عسق:{ الذين يجتنبون كبائر الإثم} (١٨١)، وقرأ بعضهم كبير الإثم. وفي سورة الجاثية:{ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون} (١٨٢)، وقرأ بعضهم آية، وكذا في قوله بعد ذلك: { وتصريف الرياح} (١٨٣) قرأ بعضهم وتصريف الريح.

وفي سورة المجادلة: { يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم} (١٨٤)، وقرأ بعضهم في المجلس، بكسر اللام واحد المجالس، وفي المجلس، بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الجلوس.

وفي سورة نوح:{ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا} (١٨٥)، وقرأ بعضهم مما خطيئتهم، بالإفراد. وفي الآية قراءات أخرى فقرئ مما خطياتهم، بقلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء. وقرئ مما خطاياهم، بجمع التكسير، وقرأ ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا، بتأخير ما التي هي صلة. وفي سورة الأنفال: { ويريد الله أن يحق الحق بكلماته} (١٨٦)، وقرأ بعضهم بكلمته.

وفي سورة الأنفال أيضا:{ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم} (١٨٧)، وقرأ مجاهد ولا تخونوا أمانتكم، بالإفراد.

القراءة بتغيير الصيغة:

يدخل في هذه القراءة قراءة الفعل المعلوم بالمجهول أو المجهول بالمعلوم لأنه من قبيل تغيير صيغة الكلمة.

ففي سورة النور:{ الله نور السموات والأرض} (١٨٨)، وقرأ علي الله نوّر السموات والأرض، بتشديد الواو فيكون نوّر فعلا ماضيا، ولا شك أن القراءة الأولى على حذف مضاف أي ذو نور السموات أو صاحب نور السموات، فالقراءة الثانية ابلغ وأوحى بالمراد.

وفي سورة الشعرء:{ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين} (١٨٩)، وقرأ بعضهم لو شئنا لأنزلنا، وعلى هذه القراءة يتجه عطف قوله فظلت على أنزلنا.

وفي سورة الأنعام:{ قل أغير الله اتخذوا وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم} (١٩٠)، هذه هي القراءة المشهورة ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول، أي وهو يرزق ولا يُرزق، وقرأ بعضهم ولا يطعم بفتح ياء المضارعة أي لا يأكل، وفي قراءة رواها ابن المأمون عن يعقوب عكس القراءة الأولى وهو يطعم ولا يطعم ببناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، وعلى هذه القراءة يكون الضمير عائدا الى غير الله المذكور في اول الآية، وقرأ الأشهب ببناء الاثنين للفاعل وهي قراءة عجيبة ظاهرها التناقض. وقد فسروا ولا يطعم بلا يستطعم، قالوا: وحكى الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت. وقال الزمخشري في تأويلها: ويجوز أن يكون المعنى وهو تارة يطعم وتارة لا يطعم على حسب المصالح كقولك وهو يعطي ويمنع ويغني ويفقر (١٩١). ولا ريب أن هذه القراءات ناشئة من عدم الإعجام والشكل في المصاحف، وهي خير دليل على أنهم كانوا يقرأون بالرأي لا بالتوقيف، فكل ما صح به المعنى ولو على وجه بعيد فهو قرآن عندهم.

وفي سورة ص:{ وانطلق الملأ منهم إن أمشوا واصبروا على آلهتكم} (١٩٢)، وقرأ ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم، بتغيير

صيغة الأمر الى صيغة المضارع. وفي هذه القراءة شئ من التصرف في العبارة وذلك حذف واو العطف من واصبروا ونقل أن المفسرة من امشوا الى اصبروا .

وفي سورة الزمر:{ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار} (١٩٣)، وقرأ بعضهم من هو كذاب كفار، وفي قراءة أخرى من هو كذوب كفار، وفي هذه السورة أيضا:{ ثم يهيج فتراه مصفرا} (١٩٤)، وقرأ بعضهم مصفارا.

وفي سورة حم عسق:{ كذلك يوحي إليك والى الذين قبلك الله العزيز الحكيم} (١٩٥)، وقرأ بعضهم يوحي اليك بالبناء للمفعول. قال الزمخشري: وعلى هذه القراءة يكون الله خبرا لمبتدأ محذوف دل عليه يوحي، كأن قائلا قال: من الموحي؟ فقيل: الله، قال: وهذه كقراءة السلمى:{ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم} (١٩٦)، ببناء زين للمفعول، فيكون رفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (١٩٧). وفي سورة الزخرف:{ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين} (١٩٨)، وقرأ بعضهم فأنا أول العبدين، أى أول الآنفين من أن يكون له ولد، وذلك من قوله: عبد يعبد كفرح يفرح إذا اشتد أنفه فهو عبد. وذهب بعض المفسرين الى جعل إن في قوله:{ إن كان للرحمن ولد} نافية بمعنى ما، أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد، وأصبح لهذا التفسير بما روي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال: إن الملائكة بنات الله، فنزلت هذه الآية فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني؟ فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك، ولكن قال: ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة ان لا ولد له (١٩٩). ونحن نرى أن تفسير الوليد قوله أول العابدين بأول الموحدين يدل على أن الرواية مصطنعة موضوعة لا اصل لها.

وفي سورة الدخان:{ لا يذقون فيها الموت} (٢٠٠)، وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت، ببناء الفعل من أذاق للمفعول، وفيها قراءة لعبد الله بزيادة طعم، لا يذوقون طعم الموت. وفي سورة الأحقاف:{ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا} (٢٠١)، وقرأ بعضهم يتقبل بالياء لا بالنون والضمير فيه الى الله.

وفي سورة الصف:{ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا} (٢٠٢)، وقرأ زيد بن علي يقاتلون بالبناء للمفعول، وقرأ بعضهم يقتلون بالبناء للمفعول أيضا، وهاتان القراءتان أشرف معنى من القراءة الأولى لما فيهما من الدلالة على أن القتال المحبوب عند الله هو ما كان لدفاع لا للهجوم. وفي سور المنافقين:{ فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} (٢٠٣)، وقرأ زيد بن علي وطبع الله على قلوبهم.

وفي سورة الأنفال:{ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف}(٢٠٤)، وقرأ ابن مسعود إن تنتهوا يغفر لكم، على الخطاب ويلزم على هذه القراءة أن يقرأ ما بعدها بالخطاب أيضا:{ وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين} (٢٠٤)، وفي سورة الأنفال أيضا:{ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها} (٢٠٥)، وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح لها بضم النون على أن الفعل من باب نصر وهي لغة لبعضهم، وإنما ذكرناها هنا لأن القراءة فيها قائمة بتغيير الصيغة والبنية.

وفي سورة هود:{ إلا أإهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه} (٢٠٦)، وقرأ بعضهم تثنوني صدورهم، وتثنوني افعوعل من الثني كاحلولي من الحلاوة وهو بناء مبالغة، وقرأ ابن عباس باللام لتثنوني، وفيها قراءة أخرى تثنون صدورهم، تثنون تفعوعل من الثني وهو ما هش وضعف من الكلاء، يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات، وفيها قراءة أخرى تنثئن صدورهم من اثنأن افعال ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت. وفي قراءة أخرى تثنوي بوزن ترعوي، وهذا التعدد يدل على أن القراءة ليست توقيفية.

القراءة بتغيير الإعراب:

في سورة الأحزاب:{ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما} (٢٠٧)، قوله:{ ويتوب} معطوف على { ليعذب} فهو منصوب في القراءة الشائعة، وقرأ الأعمش ويتوب مرفوعا على جعله ابتداء واستئنافا للكلام، قال الزمخشري في الكشاف: وإنما قرأ الأعمش بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل أي حامل الأمانة. قال: ومعنى قراءة العامة، يعني القراءة بالنصب، ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره من لم يحملها (٢٠٨)، ا هـ. وأنت ترى علة التعذيب حمل الأمانة وحملها كناية من عدم أدائها. ولا يصح أن يكون حملها علة للتوبة أيضا، فلا يصح نصب يتوب عطفا على ليعذب، فقراءة الأعمش أدق معنى وأصح وإيضاحا لذلك نقول:

ما قبل هذه الآية قوله:{ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا* ليعذب الله} (٢٠٩)،... الخ.

المراد بالأمانة الطاعة والانقياد لأمر الله وسنته التي لا تقبل التبديل وفطرته التي فطر الناس عليها، والمراد بحملها عدم أدائها أي عدم الطاعة، ولا يخفى أن هذه المجاز في الكلام فكأن الأمانة عبء على ظهر المؤتمن عليها، وكأنها راكبة له فهو يحملها، فإذا أداهم فكأنه رمى ذلك العبء من على ظهره، فلم تبق هي راكبة له ولم يبق هو حاملا لها. فمعنى قوله فأبين أن يحملنها أنهن أبين إلا أداءها، وأنهن أدينها بالخضوع والطاعة لأمر الله وسنته وفطرته فلم يحملنها، وحملها الإنسان وحده من بين المخلوقات إذ لم يطع أمر الله، أي لم يجر على سنته ولم يتمسك بفطرته التي فطره عليها، بل عصى أمره ونكب على سنته وخالف فطرته، وإذا كان كذلك فهو لم يؤد الأمانة واستمر حاملا لها.

وبعبارة أخرى إن المخلوقات بأجمعها لم تخرج عن الطبع الذي طبعها الله عليه ولم تخالف الفطرة التي فطرها الله، بل هي كلها جرت في جميع أحوالها على فطرة الله، وعلى الطبع الذي طبعها الله عليه، وذلك هو طاعتها لله وانقيادها لأمره. فهي إذن أدت الأمانة الى صاحبها وهو الله فأعطته منها الطاعة والانقياد لأمره ولم تبق حاملة لها.

وليس الإنسان كذلك فإنه شذ عن جميعَ المخلوقات فبقي وحده حاملا للأمانة إذ جرى في أحواله على غير ما تقتضيه الفطرة الإلهية والسنة الربانية. فمثلا إنك لا تجد في المخلوقات مخلوقا يريك أنه جائع وهو شبعان، أو يريك أنه قوي وهو ضعيف، أو يريك أنه جاد وهو هازل، أو يريك أنه محق وهو مبطل، إلا الإنسان. وبعبارة أخرى، إنك لا تجد في المخلوقات مخلوقا يكذبك في أحواله وكينونته التي كونه الله عليها إلا الإنسان، فإنه وحده عصى أمر الله وخالف فطرة الله التي فطره عليها ونكب عن سنته التي هي دائمة ثابتة غير متبدلة. ومعنى هذا أنه وحده لم يؤد أمانة الله أي طاعته كما أدتها سائر المخلوقات، فبقى هو وحده حاملا للأمانة.

إذا علمت هذه فقد تبين لك أن المنافق الذي يظهر خلاف ما يضمر، والمشرك الذي يعبد مخلوقا مثله هما ممن عصى أمر الله وخرج عن فطرته التي فطر الخلق عليها، فهما من الذين يحملون الأمانة، وحمل الأمانة علة للتعذيب المذكور في الآية. فلذا قال:{ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات} (٢١٠)، وليس كذلك المؤمن فإنه منقاد لأمر الله ومطيع له وجار في إيمانه على فطرة الله، ولم يخالفها كما خالفها المنافق والمشرك، فليس هو ممن حملوا الأمانة فلا يستحق التعذيب. فلذا قرأ الأعمش ويتوب بالرفع على أن يكون كلاما مستأنفا لا معطوفا على ليعذب.

فإن قلتَ: هل في القرآن ما يدل على أن المراد بالأمانة الطاعة؟ قلتُ: نعم، وذلك ما جاء قبيل آية الأمانة من قوله:{ من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} (٢١١) إنا فرضنا... الخ.. فإنه لما علق الفوز العظيم بالطاعة أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة ليدل على أنه المراد بالأمانة الطاعة كما صرح به الزمخشري في الكشاف(٢١٢).

فإن قلتَ: قد فهمنا طاعة الإنسان لأمر الله لأنه حيوان عاقل صالح للتكيف، فما معنى طاعة السموات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات حتى الجماد؟
قلتُ: إن هذه المخلوقات كلها قد خلقها الله وجبلها على غرائز ولا تخرج عن طبائعها ولا تتخلق عن خواصها ولا تظهر بغير صفاتها، ولا ريب أن ما جبلت عليه من هذه الأمور لم يكن إلا عن أمر الله، فطاعتها لأمر الله ليست إلا لانقيادها لغرائزها وجريها على طباعها وعدم تخلفها عن خواصها وعدم ظهورها بخلاف صفاتها.

فمثلا خلق الله الماء يلبس جدران محله تماما على أي شكل كان ويكون سطحه مستويا مع التوازن من جميع الجهات، فالماء أينما كان يكون كذلك فهو لا يخالف هذه الطبيعة ولا يخرج عن هذه الخاصة دائما وأبدا، وكذلك أمثاله من المائعات فهذه هي طاعة المائعات لأمر الله.

وأيضا خلق الله الحديد إذا أحمي عليه بالنار لان ومرن وتمطط، فهو دائما وأبدا لا يخرج عن هذه الحالة الطبيعية التي طبعه الله عليها، فهذه هي طاعة الحديد من الجماد لأمر الله ، وأيضا خلق الله الكلب إذا رأى شخصا غير مألوف نبحه ووالى

عليه نبيحه، وهذه غريزة جبلة الله عليها فهو منقاد أليها لا يتخلف عنها دائما وأبدا ، وذلك من طاعة الكلب لأمر الله.

فكل هذه المخلوقات لم تحمل الأمانة بل تؤديها كما هي إلا الإنسان كأنه من دون المخلوقات كلها يؤيد الأمانة، أي لم يؤد طاعة الله بالانقياد الى فطرته التي فطر الناس عليها، فلذا كثيرا ما تراه حائدا عنها ومخالفا لها وكاذبا فيها، وليس في المخلوقات كاذب غيره.

ولا ريب أن أمر الله هو هذه النواميس الطبيعية التي بها قامت الكائنات كلها، فكل كائن طائع لها ومنقاد إليها، وكل من عرف كيف يطيعها من البشر استطاع أن يأتي بالمعجزات كأهل الغرب في زماننا، فإنهم قد أتوا بالمعجزات وما ذلك إلا بطاعتهم لأمر الله ، أي بانقيادهم في جميع الأمور الى نواميس الطبيعة وكشف أسرارها ومعرفة خواصها وإجهاد الفكر العلمي في الوصول إليها أو التقرب منها فهذه منهم هي الطاعة لأمر الله.

ولما كانت الأمانة لازمة الأداء عبر بها عن الطاعة التي هي لازمة الوجود، فمن هنا يصح أن يقال: إن دين الإسلام يدعو الناس الى الرجوع الى الفطرة، وبعبارة أخرى الى الرجوع الى الطبيعة التي أمرالله ، وكل من أطاع أمر الله بلغ ما يريده من السعادة.

وفي سورة النساء:{ أو جاء أحد منكم من الغائط} (٢١٣)، الغائط كما يكون اسم فاعل من غاط فيه يغوط إذا دخل يكون اسما للمحل المطمئن المنخفض من الأرض، وهو في الآية بهذا المعنى كبنى به عن موضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يتبرزون فيما حولهم من الأماكن المنخفضة، فاستعماله هذا من باب الكناية كما كنوا عن موضع قضاء الحاجة بالخلاء وبالمستراح وبالمتوضأ، إلا أن هذا الاستعمال شاع وكثر حتى خرج عن الكناية وصار يستعمل الغائط بمعنى العذرة. والكناية بالشيوع وكثرة الاستعمال تنقلب الى صراحة فمن ذلك الجماعة، فإن معناه في اللغة الاجتماع، يقع بين اثنين وقد كنى به القرآن عن الوطء والمواقعة، إلا أن هذا الاستعمال شاع وكثر حتى صار صريحا في الوطء، فلا يفهم الناس منه إلا هذا حتى مست الحاجة الى الكناية عن الجماع بشئ آخر.

والعادات قاهرات، وقد تعود الناس أن يستقبحوا التصريح في كلامهم بذكر أفعال هم يفعلونها فلا يستقبحون فعلها، فذكر النيك مثلا قبيح عندهم، وهم يعلمون أن النيك من حاجات الإنسان وكل حيوان كالطعام، لا فرق بينهما، ما هنالك أن كلا منهما يجب أن يكون حلالا، فكما أن الطعام يجب أن يكون حلالا غير منهوب ولا مسروق ولا محرم في الشرع، كذلك النيك يجب أن يكون حلالا مشروعا، فلماذا يكون ذكر هذا قبيحا وذكر ذاك حسنا، وهل هذا إلا خروج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وليس الخروج عن الفطرة إلا معصية لأمرالله.

ليس هذا من صدد ما نحن فيه، ولكن العادات القاهرات اقتضت أن نقوله هنا، وقرأ بعضهم في الآية من الغيط، والغيط البستان ذو الحائط ، وكانوا يتبرزون في البساتين.

وفي سورة النساء أيضا:{ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر} (٢١٤)، هكذا جاء إعراب والمقيمين في القراءة الشائعة المشهورة، وقالوا في توجيهها: إنها نصبت على المدح لبيان فضل الصلاة ، وزعم بعضهم أنها وقعت لحناً في خط المصحف، وعنفهم الزمخشري في الكشاف (٢١٥) وشدد عليهم النكير بما لا حاجة الى ذكره، وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو، وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري دعيس الثقفي، وكونها في مصحف عبد الله بالواو يؤيد وقوعها لحنا خطيا في مصحف غير عبد الله، وإن غضب الزمخشري.

وفي سورة المؤمن:{ وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين} ٢١٦)، كاظمين في هذه القراءة حال عن أصحاب القلوب على تقدير أن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين. وقرأ بعضهم كاظمون بالرفع على أن تكون خبرا للمبتدأ. ويقال في توجيه هذه القراءة أنه قال كاظمون بالجمع السالم ولم يقل كاظمات أو كاظمة لأنه وصفها بالكظم وهو من أفعال العقلاء كما قال:{ رأيتهم لي ساجدين} (٢١٧) ، والقراءة الأولى أقرب الى البلاغة من هذه.

وفي سورة الدخان:{ فيها يفرق كل أمر حكيم* أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين* رحمة من ربك إنه هو السميع العليم} (٢١٨)، انتصب أمراً في هذه القراءة على الاختصاص، وقرأ زيد بن علي أمر من عندنا، بالرفع على تقدير هو أمر، وكذلك رحمة انتصبت في القراءة الأولى مفعولا له لقوله في أول السورة إنا أنزلناه، وقرأ الحسن رحمة من ربك بالرفع على تقدير تلك الرحمة.

وفي سورة الحشر:{ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها} (٢١٩)، وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو، وعلى القراءة الأولى الظرف مستقر وخالدين فيها حال.
وفي سورة الصف:{ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار} (٢٢٠). القراءة المشهورة هكذا تؤمنون وتجاهدون بالرفع استئناف كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون. وقرأ زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا بالجزم، وقالوا في توجيهها: إنها على إضمار لام الأمر فأصلها لتؤمنوا ولتجاهدوا كقول الشاعر:

محمد تفد نفسك كل نفس   إذا ما خفت من أمر تبالا

بقي في الآية إشكال آخر وهو أن يغفر لكم ذنوبكم مجزوم في كلتا القراءتين. أما جزمه على قراءة زيد بن علي فظاهر لأنه جواب لام الأمر، أما على القراءة المشهورة فغير ظاهر، وقد قالوا في توجيهه: أما قوله تؤمنون خبر في معنى الأمر، قالوا: وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا.

وفي سورة نوح:{ ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا} (٢٢١) وقرأ الأعمش ولا يغوثا ولا يعوقا بالصرف، قال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف إما التعريف ووزن الفعل وإما التعريف والعجمة. قال: ولعل الأعمش قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما ومنصرفات ودا وسواعا ونسرا (٢٢٢)، اهـ. وإنما ذكرنا هذه القراءة هنا لأنها من قبيل القراءة بتغيير الإعراب فإن صرف الممنوع إعراب.

وفي سورة براءة:{ إن الله بريء من المشركين ورسوله} (٢٢٣). القراءة المشهورة ورسوله بالرفع عطفا على المنوي في بريء أو على محل إن المكسورة واسمها، وقرأ بعضهم ورسوله بالنصب عطفا على اسم إن، أو لأن الواو بمعنى معه فيكون منصوبا على أنه مفعول معه أي بريْ معه منهم، وقرأ بعضهم ورسوله بالجر على الجوار وقيل على القسم. والذي نراه أن قراءة الجر لا تجوز لأن المتجاورين مختلفان في نوع الإعراب، فالأول معرب بالحرف والثاني بالحرمة. أما الجر على القسم فيأباه المعنى المراد في الظاهر لأن المراد أن رسوله بريء من المشركين أيضا: ومهما يكن فسواء كان الجرعلى الجوار أم على القسم لا يتمشى مع البلاغة لما فيه من الإيهام.

(عن كتاب الشخصية المحمدية لمعروف الرصافى).

كتاب مختلف عليه

أ - في جمعه وترتيبه:

جاء في صفحة ١٢٧ من كتاب " الإتقان في علوم القرآن " لجلال الدين السيوطي (الجزء الأول):

حدثنا بشر بن موسى حدثنا هوده بن خليفة حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه.

وجاء في صفحة ١٢٩:

وقد أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وإن آخر سورة برأءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال: اكتبوها فإن رسول الله صلعم جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وإن عمر آتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.

وجاء في صفحة ١٣٢-١٣٣:

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمزي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على ان عمدتم الى الأنفال وهي من المثانى والى براءه وهي من المئين فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلعم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلعم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمان الرحيم ووضعتها في السبع الطول.

وجاء في صفحة ١٣٤:

عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله صلعم ووعيتهما فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها في آخرها.

ب - في كيفية إنزاله:

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

١ - أنه نزل الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أوثلاثة
وعشرين سنة أو في خمسة وعشرين سنة حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة.

٢- أنه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر
الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة.

٣ - أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

ج - في معرفة أول ما نزل من القرآن:

اختلف في أو ما نزل منه:

- ففي صحيح البخاري : { اقرأ باسم ربك }
- وفي صحيح مسلم عن جابر: { يا أيها المدثر قم فأنذر}
- ومن طريق أبي اسحاق عن أبي ميسرة : { الحمد لله رب العالمين }
- ومن إخراج الواحدي بإسناد عن عكرمة والحسن: { بسم الله الرحمن الرحيم }

د - معرفة آخر ما نزل من القرآن:

اختلف في آخر ما نزل منه:

- فروى الشيخان عن البراء بن عازب: **" يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة "**
- وأخرج البخاري عن ابن عباس : **" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا "**
- وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس **: " واتقوا يوما ترجعون فيه "**
- وفي المستدرك عن أبي بن كعب : **" لقد جاءكم رسول من أنفسكم "**
- واخرج مسلم عن ابن عباس : **" إذا جاء نصر الله والفتح "**
- وأخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس : **" من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم "**

- وأخرجه ابن جرير عن معاوية بن ابي سفيان : **" فمن كان يرجو لقاء ربه "**
- وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة : **" فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل "**
- وأخرج ابن جرير عن أنس : **" فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة "**
- وفي البرهان لإمام الحرمين : **" قل لا أحد فيما أوحى الى محرما "**

هـ - الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن:

قال ابن حبان اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا (فمنهم) من قال هي زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

الثاني : حلال وحرام وأمر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن بعد وأمثال.

الثالث: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج.

الرابع : أمر ونهي وبشارة ونذارة وأخبار وأمثال.

الخامس : محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص.

السادس : أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل.

السابع : أمر ونهي وجد وعلم وسر وظهر وبطن.

الثامن : ناسخ ومنسوخ ووعد ووعيد ورغم وتأديب وإنذار.

التاسع : حلال وحرام وافتتاح وأخبار وفضائل وعقوبات.

العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء وعتب ووعظ وقصص.

الحادي عشر : حلال وحرام وأمثال ومنصوص وقصص وإباحات.

الثاني عشر : ظهر وبطن وفرض وندب وخصوص وعموم وأمثال.

الثالث عشر : أمر ونهي ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار.

الرابع عشر : مقدم ومؤخر وفرائض وحدود ومواعظ ومتشابه وأمثال.

الخامس عشر : مقيس ومجمل ومقضى وندب وحتم وأمثال.

السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ونهي حتم ونهي ندب واخبار وإباحات.

السابع عشر : أمر فرض ونهي حتم وأمر ندب ونهي مرشد ووعد ووعيد وقصص.

الثامن عشر : سبع جهات لا يتعداها الكلام لفظ خاص أريد به الخاص ولفظ عام أريد به العام ولفظ عام أريد به الخاص ولفظ خاص اريد به العام ولفظ

يستغني بتنزيله عن تأويله ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون.

التاسع عشر : إظهار الربوبية وإثبات الوحدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله ومجانية الإشراك والترغيب في الثواب والترهيب والعقاب.

العشـرون : سبع لغات منها خمس في هوازن واثنتان لسائر العرب.

الحادي والعشرون : سبع لغات متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيله مشهورة.

الثاني والعشرون: سبع لغات أربع لعجز هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر ابن معاوية وثلاث لقريش.

الثالث والعشرون: سبع لغات لقريش ولغة لليمن ولغة لجرهم ولغة لهوازن ولغة لقضاعة ولغة لتميم ولغة لطي.

الرابع والعشرون : لغة الكعبين كعب بن عمر وكعب بن لؤي ولهما سبع لغات.

الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لإحياء في معنى واحد مثل هلم وهات وتعال وأقبل.

السادس والعشرون : سبع قراءات لسبعة من الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب رضي الله تعالى عنهم.

السابع والعشرون : همز إمالة وفتح وكسر وتفخيم ومد وقصر.

الثامن والعشرون : تصريف ومصادر وعروض وغريب وسجع ولغات مختلفة كلها في شئ واحد.

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تعرب بسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحدا وإن اختلف اللفظ فيها.

الثلاثون : أمهات الهجاء الألف والباء والجيم والدال والراء والسين والعين لأن عليها تدور جوامع كلام العرب.

الحادي والثلاثون : أنها في أسماء الرب مثل الغفور الرحيم السميع البصير العليم الحكيم.

الثاني والثلاثون : هي آية في صفات الذات، وآية تفسيرها في آية أخرى، وآية بيانها في السنة الصحيحة، وآية في قصة الأنبياء والرسل، وآية في خلق الأشياء، وآية في وصف الجنة، وآية في وصف النار.

الثالث والثلاثون : في وصف الصانع، وآية في إثبات الوحدانية له وآية في اثبات صفاته وآية في إثبات رسله، وآية في إثبات كتبه، وآية في إثبات الإسلام، وآية في نفي الكفر.

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف.

الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ومجانبة الشرك وإثبات الأوامر ومجانبة الزواجر والثبات على الإيمان، وتحريم ما حرم الله وطاعة رسوله.

قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا، وكلها محتملة ويحتمل غيرها.

و - في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه:

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، اخرج أبو الشيخ عن أبي زروق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة. واخرج عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة سورتان أم سورة؟ قال: سورتان. ونقل مثل قول ابي زروق عن مجاهد. وأخرجه ابن ابي حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن اشتة عن ابن لهيعة قال: يقولون إن براءة من يسألونك، وإنما لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم لأنها من يسألونك، وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة. ويرده تسمية النبي صلعم كلا منهما. ونقل صاحب الإقناع ان البسملة ثابتة لبراء في مصحف ابن مسعود: قال: ولا يؤخذ بهذا.

وأخرج القشيري: الصحيح ان التسمية لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها. وفي المستدرك عن ابن عباس قال: سألت علي بن أبي طالب: لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟، قال: لأنهم أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

وعن مالك ان أولها لما سقط سقطت معه البسملة فقد ثبت انها كانت تعدل البقرة لطولها. وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين، وفي مصحف ابي ست عشرة أنه كتب في أخره سورتي الحفد والخلع.

واخرج ابو عبيد عن ابن سيرين قال: كتب أبي بن كعب في مصحفة فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود. وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين. وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي عن يحيى بن يعلى الأسلمي عن ابن لهيعة عن أب هبيرة عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك عل حب أبي تراب، إلا أنك اعرابي حاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبوك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله صلعم ما علمتهما أنت ولا أبوك. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، الله إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى نقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق. قال ابن جريج: حكمة البسملة أنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة. واخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن ابي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزي عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعة ونحفد، نخشى عذابك ونرجوا رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي اسحاق، قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك. وأخرج البيهقي وأبو داود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران أن جبريل نزل بذلك على النبي صلعم وهو في الصلاة مع قوله : (ليس لك من الأمر شئ) الآية لما قنت يدعو على مضر.

قال الموصلي: ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلف فيه لا في إجمالي ولا في تفصيلي، وقسم اختلف فيه تفصيلا لا إجمالا، وقسم اختلف فيه إجمالا وتفصيلا. **فالأول**: أربعون سورة، يوسف مائة واحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، النحل مائة وثمانية وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاث وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحجرات والتغابن ثماني عشرة، ق خمس وأربعون، الذاريات ستون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث عشرة، الصف أربع عشرة، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة، التحريم اثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون ، المرسلات خمسون، التكوير تسع وعشرون، الانفطار وسبح تسع عشرة، التطفيف ست وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية ست وعشرون، البلد عشرون، الليل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتين الهاكم ثمان، الهمزة تسع، الفيل والفلق وتبت خمس، الكافرون ست، الكوثر والنصر ثلاث.

والقسم الثاني: أربع سور: القصص: ثمان وثمانون، عد أهل الكوفة طسم، والباقون بدلها أمة من الناس، يسقون. العنكبون: تسع وستون، عد اهل الكوفة ألم والبصرة بدلها مخلصين له الدين والشام وتقطعون السبيل. الجن: ثمان وعشرون عد الملكي لن يجيرني من الله أحد، والباقون بدلها ولن أجد من دونه ملتحدا. والعصر ثلاث، عد المدني الأخير وتواصوا بالحق دون والعصر وعكس الباقون.

والقسم الثالث: سبعون: سورة الفاتحة، الجمهور سبع، فعد الكوفي والمكي البسملة دون أنعمت عليهم وعكس الباقون. وقال الحسن: ثمان فعدهما، وبعضهم ست فلم يعدهما، وآخر تسع فعدهما وإياك نعبد. ويقوي الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدار قطني وغيرهم عن أم سلمة أن النبي صلعم كان يقرأ: { بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين]. فقطعها آية أية وعدها عد الأعراب، وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم.

وأخرج الدار قطني بسند صحيح عن عبد خير قال: سئل علي عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل له إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية. البقرة: مائتان وثمانون وخمس، وقيل ست وقيل سبع. آل عمران مائتان، وقيل إلا آية. النساء: مائة وسبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. المائدة: مائة وعشرون، وقيل واثنتان، وقيل وثلاث. الأنعام: مائة وستون وخمس، وقيل ست. الأنفال: سبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. براءة: مائة وثلاثون، وقيل إلا آية. يونس: مائة وعشرة، وقيل إلا آية. هود: مائة وإحدى وعشرون، وقيل اثنتان، وقيل ثلاث. الرعد: أربعون وثلاث، وقيل أربع، وقيل سبع. ابراهيم: إحدى وخمسون، وقيل اثنتان، وقيل أربع، وقيل خمس. الإسراء: مائة وعشر، وقيل وإحدى عشر. الكهف: مائة وخمس، وقيل ست، وقيل وعشر وقيل وإحدى عشرة. مريم: تسعون وتسع، وقيل ثمان. طه: مائة وثلاثون واثنتان، وقيل اربع، وقيل خمس، وقيل وأربعون، الأنبياء: مائة واحدى عشرة، وقيل واثنتا عشر. الحج: سبعون وأربع، وقيل وخمس، وقيل وست، وقيل وثمان . قد أفلح: مائة وثمان عشرة، وقيل تسع عشرة. النور: ستون واثنتان، وقيل أربع. الشعراء: مائتان وعشرون وست، وقيل سبع. النمل: تسعون واثنتان وقيل أربع، وقيل خمس. الروم: ستون، وقيل إلا آية. سبأ: خمسون وأربع، وقيل خمس. فاطر: أربعون وست، وقيل خمس. يس: ثمانون وثلاث، وقيل اثنتان. الصافات: مائة وثمانون وآية، وقيل أيتان. ص: ثمانون وخمس، وقيل ست، وقيل ثمان. الزمر: سبعون وآيتان، وقيل ثلاث، وقيل خمس. غافر: ثمانون وآيتان، وقيل أربع، وقيل خمس ، وقيل ست. فصلت: خمسون واثنتان، وقيل ثلاث، وقيل أربع. الشوري: خمسون، وقيل ثلاث. الزخرف: ثمانون وتسع، وقيل ثمان. الدخان: خمسون وست، وقيل سبع، وقيل تسع. الجاثية: ثلاثون وست، وقيل سبع. الأحقاف ثلاثون واربع، وقيل خمس. القتال: أربعون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين . الطور: أربعون وسبع وقيل ثمان، وقيل تسع. النجم: إحدى وستون، وقيل اثنتان. الرحمن: سبعون وسبع، وقيل ست، وقيل ثمان. الواقعة: تسعون وتسع، وقيل سبع، وقيل ست. الحديد: ثلاثون وثمان، وقيل تسع. قد سمع اثنتان، وقيل إحدى وعشرون. الطلاق: إحدى عشرة، وقيل اثنتا عشرة. تبارك: ثلاثون، وقيل إحدى وثلاثون بعد قالوا بلى قد جاءنا نذير. قال الوصلي: والصحيح الأول. قال ابن شنبوذ: ولا يسوغ لأحد خلافه للأخبار الواردة في ذلك. أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال: " إن

سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذي بيده الملك". وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلعم: " سورة في القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى ادخلته الجنة وهي سورة تبارك". الحاقة: إحدى وقيل اثنتان وخمسون. المعارج: أربعون وأربع، وقيل ثلاث. نوح: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين. المزمل: عشرون، وقيل إلا آية وقيل إلا آيتين. المدثر: خمسون وخمس وقيل ست. القيامة: أربعون وقيل الا اية. عم: أربعون، وقيل وآية. النازعات: أربعون وخمس، وقيل ست عبس: أربعون، وقيل وآية، وقيل وآيتين. الانشقاق: عشرون وثلاثة، وقيل أربع، وقيل خمس. الطارق: سبع عشرة، وقيل ست عشرة. الفجر: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل اثنتان وثلاثون. الشمس: خمس عشرة، وقيل ست عشرة. اقرأ: عشرون، وقيل إلا آية. القدر: خمس، وقيل ست. لم يكن: ثمان، وقيل تسع. الزلزلة: تسع، وقيل ثمان . القارعة: ثمان، وقيل عشر، وقيل احدى عشرة. قريش: اربع ، وقيل خمس. أرأيت: سبع، وقيل ست. الاخلاص: اربع، وقيل خمس. الناس: سبع، وقيل ست.

ولأن الشئ بالشئ يذكر. وجدنا من المناسب هنا أن نذكر شيئا عن الترجمات الإنجليزية والفرنسية للقرآن وما فيها من مُغالطات:

كتاب يضطر مترجميه للخداع

ترجم القرآن أولا الى اللآتينية بعد ما يقرب من خمسة قرون على نشأت الإسلام ثم ترجم الى الألمانية والفرنسية والإنجليزية في القرون الثلاثة الماضية وبخاصة في القرن العشرين.

وترجم القرآن- كترجمة أي كتاب آخر- لا يتوقع المرء أن تكون متطابقة من مترجم الى آخر. فمثلا نرى تباينا واضحا في الترجمات الإنجليزية لمحمد أسد ومحسن خان وداود وبكثال وعبد الله يوسف علي وزيدان وغيرهما.هذا كله مفهوم ولا غبار عليه.

ولكن الأشكالية تنشأ عندما يتحول المترجم الى مفسر ويلجأ الى إضافة كلمات أو عبارات من عنده لا توجد في النص الأصلي رغبة منه في وضع النص في شكل أكثر قبولا الى القارئ. نعطي هنا مثالين:

أولا: الآية ٣٤ من سورة النساء في الترجمة الإنجليزية لعبد الله يوسف علي:

النص العربي يقول" ... والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن...

الترجمة الإنجليزية تقول:

"As to those women on whose part ye fear disloyalty and ill – conduct admonish them (first), (next) refuse to share their beds (and last) beat them (lightly).

كل الكلمات التي بين الأقواس لا توجد في النص الأصلي وواضح من وضعهم هو مخاطبة عقل القارئ الغربي الذي يزعجه الكلام عن ضرب الزوجات الذي هو جريمة يعاقب عليها القانون في مجتمعه.

ثانيا: الآية ٨٦ من سورة الكهف في الترجمة الإنجليزية لأحمد زيدان:

At sunset he reached a place when he watched the sun setting on the horizon and it seemed to him that was setting into a muddy river bank…."

النص العربي يقول:" حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة..عبارة it seemed to him لا توجد في النص الأصلي واضافها المترجم لكي يتغلب على اشكالية علمية واضحة وهي أن الشمس أكبر من الأرض بعدة مرات فكيف لها أن تغرب في بئر. وهو اعتقاد العرب في القرن السابع الميلادي في حدود ادراكهم لحجم الشمس الذي لا يتعدى حجم كرة السلة.

في ترجمة للقرآن الى الفرنسية يذكر محمد حميد الله أربعة أسباب لتعدد للقراءات وهي ما يلي:

١ - أخطاء في الكتابة (إملائية) اثناء النسخ وهذه يسهل العثور عليها بمقارنة النسخ.

٢ - أخطاء ناتجة عن نقل ملاحظات هامشية الى متن القرآن. هناك المئات من هذا النوع. هذه الملاحظات كان يكتبها الصحابة بعد استيضاح معاني بعض الآيات من النبي وقد نهى عمر بن الخطاب عن إضافة أي تعليق على نسخ القرآن.

هذا الأمر أدى الى تعدد مصاحف الصحابة وهو ما يشار إليه في كتابات الأولين بأن مصحف فلان يحوي كذا بينما مصحف علان لا يحوي كذا.

٣ - اختلافات في القراءة ناتجة عن سماح من النبي لقرآءة القرآن بغير لهجة قريش. تيسيرا على القبائل المختلفة. وفي هذا قال النبي أن جبريل أباح له تعدد القراءات الى سبعة. هذا الأمر أوقفه عثمان بعد ذلك

٤- اختلافات في القراءات ناتجة عن أن القرآن كان ينسخ بدون علامات التنقيط لمدة من ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة بعد الهجرة.

كتاب تختلف نسخه عن بعضها

يدعي البعض بأن اختلاف قراءات القرآن هو نتيجة لاختلاف لهجات القبائل العربية وقت محمد والواقع ان هذا ليس صحيحا كما هو ثابت في كتاب " المصاحف " للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. بالكتاب قائمة باثنين وعشرين مصحفا مخالفا لمصحف عثمان.

سوف نعطي بعض الأمثلة من اختلافات هذه المصاحف عن المصحف الموجود في أيدي أصدقائنا المسلمين اليوم.

ولكن دعونا أولا أن نذكر هنا ما قاله عميد الأدب العربي طه حسين في كتاب (الفتنة الكبرى - عثمان - الطبعة السابعة - دار المعارف بمصر) وهو ما ننقله حرفيا فيما يلي:

جاء في صفحة ١٨٢:

" وقد تظاهرت الروايات أيضا بأن المسلمين اختلفوا في قراءة القرآن أيام النبي نفسه ولم يكن اختلافهم في اللهجات وإنما كان اختلافهم في الألفاظ دون أن تختلف معاني هذه الألفاظ. وقد اختصم المختلفون الي النبي نفسه فأجاز قراءتهم جميعا لأنها لم تختلف في معناها وإنما كانت تختلف في ألفاظها. وقد جمع القرآن أيام أبي بكر وعمر وجاءت الشكوى الي عثمان بأن المسلمين في الأمصار والثغور يختلفون في قراءة القرآن ثم يختصمون حول هذا الاختلاف فيفضل بعضهم قرآنه علي قرآن غيره حتي أوشكوا أن يفترقوا وحتى قال حنيفة بن اليمان لعثمان أدرك أمة محمد قبل أن تتفرق حول القرآن "وجاء في صفحة ١٨٣ :
" وقد يمكن أن يعترض عليه في أنه كلف كتابة المصحف نفرا قليلا من أصحاب النبي وترك جماعة من القراء الذين سمعوا من النبي وحفظوا عنه وعلموا الناس في الأمصار وكان خليقا أن يجمع هؤلاء القراء جميعا ويجعل إليهم كتابة المصحف. ومن هذا نفهم غضب ابن مسعود. فقد كان ابن مسعود من أحفظ الناس للقرآن وهو فيما كان يقول قد أخذ من فم النبي نفسه سبعين سورة من القرآن ولم يكن زيد بن ثابت قد بلغ الحلم بعد. فإيثار عثمان لزيد بن ثابت وأصحابه وتركه لإبن مسعود وغيره الذين سبقوا إلي استماع القرآن من النبي وحفظه عنه قد أثار عليه بعض الاعتراض. وهذا يفهم من غير مشقة ولا عسر ".

والآن إلي تعدد المصاحف:

مصحف عمر بن الخطاب

١) سورة الفاتحة آية ٧ { صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين } وهي في المصحف العثماني { صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين }.

مصحف علي بن أبي طالب:

١) سورة البقرة آية ٢٨٥ { آمن الرسول بما أنزل إليه وآمن المؤمنون وهي في المصحف العثماني { آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون }.

- مصحف عبد الله بن مسعود:3

١) سورة النساء آية ٤٠ (إن الله لا يظلم مثقال نملة)
وهي في المصحف العثماني (أن الله لا يظلم مثقال ذرة)

٢) سورة آل عمران آية ٤٣ { واركعي واسجدي في الساجدين }
وهي في المصحف العثماني { واسجدي واركعي مع الراكعين }

٣) سورة البقرة آية ١٩٧ { وتزودوا وخير الزاد التقوى }
وهي في المصحف العثماني { وتزودوا فإن خير الزاد التقوى }

٤) سورة البقرة آية ١٩٦ { وأقيموا الحج والعمرة للبيت }
وهي في المصحف العثماني { وأتموا الحج والعمرة لله }

٥) سورة البقرة آية ١٩٨ { لا جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج فإذا أفضتم }.
وهي في المصحف العثماني { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم }.

٦) سورة البقرة آية ١٤٨ { لكل جعلنا قبلة يرضونها }
وهي في العثماني { ولكل وجهه هو موليها }

٧) سورة البقرة آية ١٤٤ { حيث ما كنتم فولوا وجوهكم قبلة }
وهي في العثماني { وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرة }

٨) سورة الإسراء آية ١١٠ { ولا تخافت بصوتك ولا تعال به }
وهي في العثماني { ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها }

٩) سورة البقرة آية ٨٥ { وإن يؤخذوا تفدوهم }
وهي في العثماني { وإن يأتوكم أسري تفدوهم }

١٠) سورة البقرة آية ١٢٧ { وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل يقولان ربنا }
وهي في العثماني { وإذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا}

١١) سورة البقرة آية ١٧٧ { لا تحسبن أن البر }
وهي في العثماني { ليس البر }

١٢) سورة البقرة آية ٢١٠ { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام }
وهي في العثماني { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام و الملائكة}

١٣) سورة البقرة آية ٢٢٩ { إلا أن يخافوا }
وهي في العثماني { إلا أن يخافا }

١٤) سورة البقرة آية ٢٣٧ { من قبل أن تجامعوهن }
وهي في العثماني { من قبل أن تمسوهن }

١٥) سورة البقرة آية ١٠٦ { ما ننسك من آية أو ننسخها }
وهي في العثماني { ما ننسخ من آية أو ننسها }

١٦) سورة البقرة آية ٢٣٣ { لمن أراد أن يكمل الرضاعة }
وهي في العثماني { لمن أراد أن يتم الرضاعة }

١٧) سورة آل عمران ٧ { وإن حقيقة تأويله إلا عند الله }
وهي في العثماني { وما يعلم تأويله إلا الله }

١٨) سورة آل عمرن آية ١٩ { إن الدين عند الله الحنيفية }
وهي في العثماني { إن الدين عند الله الإسلام }

١٩) سورة آل عمران آية ٣٩ { وناداه الملائكة يا زكريا إن الله }
وهي في العثماني { فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله

٢٠) سورة آل عمران آية ٧٥ { بقنطار يوفه إليك }
وهي في العثماني { بقنطار يؤده إليك }

٢١) سورة آل عمران آية ١٥٦ { والله بصير بما تعلمون }
وهي في العثماني { والله بما تعلمون بصير }

٢٢) سورة آل عمران آية ١٨١ { وقتلهم الأنبياء بغير حق ويقال لهم ذوقوا عذاب الحريق }
وهي في العثماني { وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق }

٢٣) سورة النساء آية ١٠ { ومن يأكل أموال اليتامى ظلما فإنما يأكل في بطنه نارا وسوف يصلي سعيرا }
وهي في العثماني {أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فإنما يأكلون في بطونهم نار وسيصلون سعيرا }

٢٤) سورة النساء آية ١٤٦ { وسيؤتي الله المؤمنين }
وهي في العثماني { وسوف يؤت الله المؤمنين }

سورة النساء آية ٨١ { بيت مبيت منهم } ٢٥)
وهي في العثماني { بيت طائفة منهم }

٢٦) سورة المائدة آية ١١٥ { قال سأنزلها عليكم }
وهي في العثماني { قال الله إني منزلها عليكم }

٢٧) سورة المائدة آية ١١٨ { إن تعذبهم فعبادك }
وهي في العثماني { إن تعذبهم فإنهم عبادك }

٢٨) سورة الأنعام آية ٢٣ { ما كان فتنتم }
وهي في العثماني { ثم لم تكن فتنتم }

٢٩) سورة الأنعام آية ٧١ { كالذي استهواه الشيطان }
وهي في العثماني { كالذي استهوته الشياطين }

٣٠) سورة الأنعام آية ٩٤ { لقد تقطع بينكم }
وهي في العثماني { لقد تقطع ما بينكم }

٣١) سورة الأعراف آية ١٢٧ { وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك }
وهي في العثماني { ويذرك وإلهتك }

٣٢) سورة الأعراف آية ٢٣ قالوا ربنا ألا تغفر لنا وترحمنا }
وهي في العثماني { قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا }

٣٣) سورة التوبة آية ٦١ { وقل إذن خير ورحمة لكم }
وهي في العثماني { وقل إذن خير لكم }

٣٤) سورة التوبة آية ١١٠ { ولو قطعت قلوبهم }
وهي في العثماني { ألا أن تنقطع قلوبهم }

٣٥) سورة التوبة آية ١١٧ { من بعد ما زاغت قلوب طائفة }
وهي في العثماني { من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق }

٣٦) سورة يونس آية ٢٢ { جرين بكم }
وهي في العثماني{ جرين بهم }

٣٧) سورة هود آية ٢٥ { ولقد أرسلنا نوحا إلي قومه فقال يا قوم إني لكم نذير مبين }
وهي في العثماني { ولقد أرسلنا نوحا إلي قومه إني لكم نذير مبين }

٣٨) سورة هود آية ٢٨ { من ربي وعميت عليكم }
وهي في العثماني { من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم }

٣٩) سورة هود آية ٥٧ { ولا تنقصوه شيئا }
وهي في العثماني { ولا تضرونه شيئا }

٤٠) سورة هود آية ٨١ { فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك }
وهي في العثماني { فأثر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت معكم أحد إلا امرأتك }

٤١) سورة النحل آية ١٢ { والشمس والقمر والنجوم مسخرات والرياح بأمره }
وهي في العثماني { والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره }

٤٢) سورة النحل آية ٩٦ { وليوفين الذين صبروا أجرهم }
وهي في العثماني { ولنجزين الذين صبروا أجرهم }

٤٣) سورة النحل آية ٨٠ { حين ظعنكم }
وهي في العثماني { يوم ظعنكم }

٤٤) سورة الإسراء آية ٢٣ { إما يبلغان عندك الكبر إما واحد وإما كلاهما}
وهي في العثماني { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما }

٤٥) سورة الإسراء آية ٤٤ { سبحت له الأرض وسبحت له السموات }
وهي في العثماني { تسبح له السموات السبع والأرض }

٤٦) سورة الكهف آية ٥٢ { ويوم يقول لهم نادوا }
وهي في العثماني { ويوم يقول نادوا}

٤٧) سورة الكهف آية ١٠٩ { قبل أن تقضي كلمات ربي }
وهي في العثماني { قبل أن تنفذ كلمات ربي }

٤٨) سورة مريم آية ٩٠ { تكاد السموات لتتصدع منه }
وهي في العثماني { تكاد السموات يتفطرن منه }

٤٩) سورة الأنبياء آية ٨٢ { ومن الشياطين من يغوص له ويعمل وكنا لهم حافظين }
وهي في العثماني { ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين }

٥٠) سورة النور آية ٥٧ { احسب الذين كفروا معجزين في الأرض }
وهي في العثماني { لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض }

٥١) سورة الفرقان آية ٦٠ { أنسجد لما تأمرنا به }
وهي في العثماني { أنسجد لما تأمرنا }

٥٢) سورة العنكبوت آية ٢٥ { إنما اتخذتم من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا انما مودة بينكم }
وهي في العثماني { وإنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم }

٥٣) سورة لقمان آية ٣ { هدي وبشري للمحسنين }
وهي في العثماني { هدي ورحمة للمحسنين }

٥٤) سورة الأحزاب آية ٦٨ { لعنا كثيرا }
وهي في العثماني { لعنا كبيرا }

٥٥) سورة سبأ آية ٤٨ { تقذف بالحق وهو علام الغيوب }
وهي في العثماني { يقذف بالحق علام الغيوب }

٥٦) سورة الزخرف آية ٨٥ { وإنه عليم للساعة }
وهي في العثماني { وعنده علم الساعة}

٥٧) سورة الفتح آية ١٠ { فسيؤتيه الله أجرا عظيما }
وهي في العثماني { فسيؤتيه أجرا عظيما }

٥٨) سورة الفتح آية ١١ { أو أراد بكم رحمة }
وهي في العثماني { أو أراد بكم نفعا}

٥٩) سورة الحجرات آية ١٣ { وخياركم عند الله أتقاكم }
وهي في العثماني { إن أكرمكم عند الله أتقاكم}

<u>مصحف عبد الله بن عباس:</u>

١) سورة البقرة آية ١٩٨ { لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج فإذا أفضتم }
وهي في العثماني { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم }

٢) سورة البقرة آية ١٩٦ { وأقيموا الحج والعمرة للبيت }
وهي في العثماني { وأتموا الحج والعمرة للبيت }

٣) سورة البقرة آية ٢٢٧ { وإن عزموا السراح }
وهي في العثماني { وإن عزموا الطلاق }

٤) سورة آل عمران آية ٧ { وما يعلم تأويله ويقول الراسخون آمنا به}
وهي في العثماني { وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به }

٥) سورة البقرة آية ٢٣٨ { حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطي وصلاة العصر }
وهي في العثماني { حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطي وقوموا لله قانتين }

٦) سورة النساء آية ٢٤ { فما استمتعتم به منهن إلي أجل مسمي فأتوهن }
وهي في العثماني { فما استمتعتم به منهن فأتوهن}

٧) سورة النصر آية ١{ إذا جاء فتح الله والنصر }
وهي في العثماني { إذا جاء نصر الله والفتح }

مصحف عبد الله بن الزبير:

١) سورة المدثر آية ٤٠-٤٢{ في جنات يتساءلون يا فلان ما سلك فى سفر}
وهي في العثماني{ في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سفر}

٢) سورة آل عمران آية ١٠٤ { وينهون عن المنكر ويستعينون بالله علي ما أصابهم } وهي في العثماني { وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون }

مصحف عائشة:

١) سورة البقرة آية ٢٣٨ { حافظوا علي الصلوات والصلوة الوسطي وصلوة العصر وقوموا لله قانتين }
وهي في العثماني { حافظوا علي الصلوات والصلوة الوسطي وقوموا لله قانتين }

٢) سورة الأحزاب آية ٥٦ { إن الله وملائكته يصلون علي النبي والذين يصلون الصفوف الأولي يا أيها الذين}
وهي في العثماني { إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين }

مصحف عبيد بن عمير الليثي

١) سورة الأعلى آية ١ { سبح اسم ربك الذي خلقك }
وهي في العثماني { سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق }

مصحف مجاهد

١) سورة البقرة آية ١٥٨ { فلا جناح عليه ألا يطوف بهما }
وهي في العثماني { فلا جناح عليه أن يطوف بهما }

مصحف سيد بن جبير

١) سورة المائدة آية ٥{ أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتوا الكتاب من قبلكم}
وهي في العثماني { أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم }

مصحف محمد بن أبي موسى شامي

١) سورة المائدة آية ١٠٣ { وأكثرهم لا يفقهون }
وهي في العثماني { وأكثرهم لا يعقلون }

- مصحف سليمان بن مهران الأعمش

١) سورة النعام آية ١٣٨ { أنعام وحرث حرج}

وهي في العثماني { أنعام وحرث حجر }

لعله من المناسب هنا أن نذكر واقعة خطيرة يسجلها كتاب " المصاحف " تحت " باب من كتب الوحي لرسول الله ": باب من كتب الوحي لرسول الله.

حدثنا عبد الله قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد قال حدثنا المقرئ قال حدثنا الليث بن سعد بهذا . حدثنا عبد الله قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حماد بن سلمه عن ثابت عن أنس بن مالك أن رجلا كان يكتب لرسول لله (ص) فكان إذا أملي عليه سميعا بصيرا كتب سميعا عليما وإذا أملي عليه سميعا عليما كتب سميعا بصيرا . وكان قد قرأ البقرة وآل عمران وكان من قرأهما قرأ قرآنا كثيرا فتنصر وقال إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد.

وللدلالة علي تعدد المصاحف نورد هنا قائمة بأسماء الاثنين وعشرين مصحفا الوارد ذكرهم في كتاب المصاحف :

١- مصحف عمر بن الخطاب
٢ - مصحف علي بن أبي طالب
٣ - مصحف أبي بن كعب
٤ - مصحف عبد الله بن مسعود
٥ - مصحف عبد الله بن عباس
٦ - مصحف عبد الله بن الزبير
٧ - مصحف عبد الله بن عمر
٨ - مصحف عائشة زوجة النبي
٩ - مصحف حفصة زوجة النبي
١٠ - مصحف أم سلمة زوجة النبي
١١ - مصحف عبيد بن عمير الليثي
١٢ - مصحف عطاء بن أبي رباح
١٣ - مصحف عكرمة
١٤ - مصحف مجاهد
١٥ - مصحف سعيد بن جبير
١٦ - مصحف الأسود بن زيد
١٧ - مصحف محمد بن أبي موسى
١٨ - مصحف قحطان بن عبد الله الرقاشى
١٩ - مصحف صالح بن كيسان
٢٠ - مصحف طلحة بن مصرف
٢١ - مصحف الأعمش
٢٢ - مصحف بن قيس

ما غير الحجاج في القرآن:

باب : ما غير الحجاج في مصحف عثمان

جاء في كتاب المصاحف صفحة ١١٧ - ١١٨ : قال أبو بكر كان في كتاب أبي حدثنا رجل فسألت أبي من هو ؟ فقال حدثنا عباد بن صهيب عن عوف بن أبي جميلة أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفا، قال :

. كانت في البقرة (س ٢ آ ٢٥٩) { لم يتسن وانظر) فغيرها { لم يتسنه } بالهاء

وكانت في المائدة (س ٥ آ ٤٨) { شريعة ومنهاجا } فغيرها { شرعة ومنهاجا } .

وكانت فى يونس (س ١٠ آ ٢٢) { هو الذي ينشركم } فغيرها { يسيركم }

وكانت في يوسف (س ١٢ آ ٤٥) { أنا آتيكم بتأويله } فغيرها { أنا أنبئكم بتأويله }.

وكانت في المؤمنين (س ٢٣ آ ٨٥ - ٨٩) { سيقولون لله لله } لله ثلاثتهن فجعل الأخريين { لله الله } .

وكانت في الشعراء في قصة نوح (س ٢٦ آ ١١٦) { من المخرجين } وفي قصة لوط (آ ١٦٧) { من المرجومين } فغير قصة نوح { من المرجومين وقصة لوط { من المخرجين }.

وكانت في الزخرف (س ٤٣ آ ٣٢) { نحن قسمنا بينهم معائشهم} فغيرها { معيشتهم} .

وكانت في محمد (س ٤٧ آ ١٥) { من ماء غير يسن } فغيرها { من ماء غير آسن }

وكانت في الحديد (س ٥٧ آ ٧) { فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير } فغيرها { منكم وأنفقوا } . وكانت في التكوين (٨١ :٢٤). { وما هو على الغيب بظنين}. فغيرها { ضنين}. ضنين }.

كتاب ضاع منه الكثير

لا نريد هنا أن نتكلم مفصلا عن كيفية جمع القرآن بعد وفاة رسول الاسلام سوى أن نقول: إن أبا بكر كان أول من جمعه بمشورة من عمر بن الخطاب، ولم يجعله أبو بكر في مصحف كما فعل بعده عثمان، بل جعله في صحف جمعها وضم بعضها الى بعض وأبقاها حفظا للقرآن من الضياع، وذلك عندما رأى في حروب الردة كثرة القتلى من القراء الذين هم حفظة القرآن. وبعد وفاة أبي بكر انتقلت هذه الصحف الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

ولما ولي عثمان كانت هذه الصحف التي جمعها ابو بكر عند حفصة أم المؤمنين بنت عمر أمير المؤمنين. ولما بلغ عثمان ما وقع بين المسلمين من الاختلاف في القراءات أراد أن يزيل من بينهم هذا الاختلاف بأن يجمعهم كلهم على مصحف واحد يقرأونه كلهم على سواء.

ففي الإتقان مما أخرجه الحاكم من رواية البخاري عن أنس قال روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت (وهذا أنصاري)، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (وهؤلاء الثلاثة من قريش) فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، الحديث (١).

إن الظاهر من عبارة الحديث الأخيرة أن الذين نسخوا الصحف في المصاحف قد تركوا شيئا مما كان في تلك الصحف فلم ينسخوه في المصاحف، كما هو ظاهر من قوله: " وأمر بما سواه" أي سوى المصحف الذي نسخه، ومن قوله: في كل صحيفة" أي من تلك الصحف التي أرسلت بها حفصة.

فإن قلتَ: أن المراد بالصحيفة في قوله:" في كل صحيفة" هو كل صحيفة لم تكن من الصحف التي ارسلت بها حفصة، قلتُ: ليس هناك صحيفة أو صحف غير الصحف التي كانت عند حفصة، فإن الرواة كلهم يقولون: إن أبا بكر لما أمر بجمع القرآن جمعوه من العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم والأكتاف والأخلاف والأقتاب ومن صدور الرجال، ولم يقولوا: جمعوه من الصحف، فليس هناك صحيفة أو صحف غير التي كانت عند حفصة وهي التي جمعت في أيام أبي بكر. وإليك بعض ما ذكره الرواة في هذا الباب، ففي الإتقان: قال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنة: ان كتابة القرآن ليست بمحدثة، فالنبي كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخه من مكان الى مكان مجتمعا (٢). قال: وفي موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس (٣)، وقال: وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر وخاف

أن يذهب من قراء القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف (٤). فهذا كله صريح في أنه لم تكن هناك صحف غير الصحف التي كانت عند حفصة، وهي الصحف التي جمعها ابو بكر. فأي صحيفة يعني بقوله" وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة" غير الصحف الى – كانت عند حفصة، ولو فرضنا أن هناك صحفا غير الصحف التي كانت عند حفصة لما كان ينبغي أن تحرق أيضا، بل كان الواجب ان تحفظ من الضياع بل تجعل في صوان لتبقى على الدهر أثرا من آثار النهضة الاسلامية يتوارثها المسلمون خلفا عن سلف، فإذا قلت: إن ما جاء في متن الحديث من قوله: " حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة" صريح في أنه ردها الى حفصة ولم يحرق منها شيئا: قلت: إن رد الصحف الى حفصة واقع، ولكنه لا يستلزم أنه ردها بأجمعها، بل يجوز أنه أخذ منها ما أخذ فأدخله في المصاحف وترك ما ترك فلم يدخله فيها، ثم أمر بإحراق ما لم يدخله ورد الباقي الى حفصة، خصوصا وأن ما جاء في عبارة الحديث من قوله: " وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة" يقتضي ذلك ويدل عليه.

بقى هنا قوله: " أو مصحف" الوارد في الحديث (وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)، فيفهم من هذا أن هناك مصاحف كانت موجودة قبل أن يأمر عثمان بنسخ المصاحف. نعم، إن الرواة فيما رووه قد ذكروا مصحفا لابن مسعود، ومصحفا لأبي بن كعب، ومصحفا لابن عباس، وقد مرّ ذكر ذلك في أول البحث، ولعل هؤلاء كانوا يكتبون لأنفسهم مصاحفهم في حياة رسول الله، أو أنهم كتبوها بعد وفاة الرسول، فإن بين استنساخ المصاحف في زمن عثمان وبين وفاة الرسول ثلاثا وعشرين سنة، فيجوز في هذه المدة أن بعض الصحابة كتبوا لأنفسهم مصاحف، وينبغي أن يقال لهذه المصاحف إنها مصاحف خصوصية كما تقول الناس اليوم. وظاهر عبارة الحديث يقتضي أن عثمان قد أحرق من هذه المصاحف الخصوصية ما لم يدخله من القرآن في المصاحف التي نسخها. ولا غرابة في ذلك فإنه كان الخليفة المطاع، فيجوز أنه أمر أصحاب هذه المصاحف أن يأتوه منها بالقرآن الذي لم يكتبه في مصاحفه فأتوه به فأحرقه.

والخلاصة هي أن ظاهر عبارة الحديث بدل بصراحة على أن عثمان لما استنسخ المصاحف من صحف حفصة قد ترك شيئا من القرآن فلم يكتبه في المصاحف، وأنه أمر بإحراقه. ويؤيد هذا روايات أخرى جاءت في كتب السيرة وغيرها من كتب القوم، ولنذكر لك بعضها مما يصح به ما قلناه ويؤيد ما استنتجناه.

في الإتقان عند الكلام على الناسخ والمنسوخ قال أبو عبيدة اسمعيل بن ابراهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولن قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله، قد ذهب قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر(٥).

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا اسماعيل بن جعفر، عن المبارك بن فضالة بن كعب، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش قال لي أبي بن كعب: كأين، وفي بعض الروايات: كم تعد سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإنا كنا لنقرأ فيها آية الرجم، قال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم (٦).

ملاحظة:

إن أبي بن كعب من كتاب الوحي وكان ممن عنوا بالقرآن كتابة وقراءة وحفظا، فلا غرابة في أنه يعرف آية الرجم ولا يعرفها زر بن حبيش، والظاهر من قوله: " كنا نقرأ آية الرجم" أنه كان يقرأها قبل أن يأمر عثمان بنسخ المصاحف، وأنه ترك قراءتها بعد نسخ المصاحف، كما أن كلامه لزر بن حبيش كان بعد ذلك أيضا، فيفهم من هذا أن عثمان لم يكتف بإحراق ما اسقطه من القرآن بل منع من قراءته أيضا كما يدل عليه الحديث الآتي:

في الإتقان أيضا قال: حدثنا ابن أبي مريم عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن(٧).

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا حجاج عن ابن جريح، أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس، قالت: قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} (٨)، وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى، قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف(٩).

وفي الإتقان أيضا: أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين} (١٠)، قال: ومن بقيتها " لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه سأل ثانيا وان سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية والنصرانية، ومن يعمل خيرا فلن يكفره" (١١). أقول: إن كان ما أسقطه عثمان من المصاحف كله من هذا القبيل، فقد أحسن الى الإسلام وإن كان أساء من جهة أخرى.

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها " إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب". (١٢)

وفيه أيضا: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقول سورة تشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها غير أن حفظت منها "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة" (١٣).

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عبد بن عدي قال: قال عمر: كنا نقرأ:" لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم " ثم قال عمر لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم. أقول: وهذا الحديث يدل على أن بعض القرآن قد تركت قراءته قبل أن ينسخ عثمان المصاحف.

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي، قال: حدثني ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا " أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة" فإنا لا نجدها، قال: (أي عبد الرحمن) : أسقطت فيما أسقطت من القرآن (١٤). أقول: وهذا لحديث يدل أيضا على أن بعض القرآن قد اسقط قبل أن ينسخ عثمان المصاحف. ولا منافاة بين هذا وبين ما قلناه آنفا من أن عثمان أسقط بعض القرآن لما أمر بنسخ المصاحف، لأن عثمان يكون على هذا قد جدد الإسقاط، أو يكون قد أسقط شيئا آخر أيضا عدا الذي تم إسقاطه من قبل.

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا ابن أبي مريم: عن أبي لهيعة، عن نزيد بن عمر والمفاخري، عن أبي سفيان الكلاعي، ان مسلمة بن مخلوف الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم ابو الكنود سعد بن مالك، فقال: أين مسلم؟ " ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا ابشروا أنتم المفلحون، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" (١٥).

وفيه أيضا: أخرج الطبراني في الكبير، عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما إياها رسول الله، فكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف، فأصبحا غاديين على رسول الله فذكرا ذلك له، فقال لهما: إنها مما نسخ فالهوا عنها (١٦).

وفيه أيضا: أخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرا على هذه الآية (يعني آية الرجم) فقال زيد: سمعت رسول الله يقول: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"، فقال عمر: لما نزلت أتيت النبي فقلت: أكتبها؟ فكأنه كره ذلك (١٧).

وفيه أيضا: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن علي بن حكيم، عن زيد بن أسلم، أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت ابي بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا أستقرئها رسول الله، فدفعت في صدري وقلت: أتستقرئه آية الرجم، وهم يتسافدون تسافد الحمر، قال ابن حجر: وفي هذا الخبر إشارة الى بيان السبب في رفع تلاوتها (١٨)

وفي الأتقان أيضا عند الكلام على عدد السور: قال في المستدرك عن مالك : إن أول براءة لما سقط معه البسملة قال: فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها (١٩).
فمن هذه الرواية نعلم أن القرآن قد أسقط منه شئ لا يستهان بكثرته كما تقدم في حديث ابن عمر" قد ذهب منه قرآن كثير". ونعلم أيضا أن الذي أسقط منه لم يكن كله مسقطا بعد وفاة النبي عندما أمر عثمان باستنتساخ المصاحف، بل منه ما أسقط وهو حي يوحى اليه.

ومن الغريب أن علماء الإسلام جعلوا هذا الذي أسقط من القرآن من المنسوخ تلاوة لا حكما، قالوا ذلك وهم يعلمون أن النسخ لا يكون إلا في الأمر والنهي أو ما تضمن معناهما. أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يقع فيه النسخ، وليس في هذا الذي قالوا أنه منسوخ ما يتضمن حكما يصح نسخة إلا آية الرجم.

والظاهر أن محمدا كان يصوغ في بعض الآحيان آيات فيجعلها قرآنا، ثم يبدو له أنها لم ترصف الرصف الذي يريده للقرآن فيهملها حتى تُنسي، ولم يأمر كتاب الوحي بكتابتها كآية الرجم وآية " يتوب الله على من تاب"، ولا ريب أن القرآن فيه عدا النسخ الإنساء، كما يدل عليه قوله " ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها.." فآية " ويتوب الله على من تاب" هي من قسم المنسي لا من قسم المنسوخ، ومن ذلك أي من المنسي ما قاله أصحاب بئر معونة الذين قتلوا . فإنهم لما أحاط بهم العدو قالوا " اللهم بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا" (٢٠). فجعل النبي قولهم هذا قرآنا يتلى، ثم أنسيت تلاوته، وفي رواية أن النبي لما جاءه خبرهم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن إخوتكم قد لقوا المشركين وقتلوهم، وإنهم قالوا:" ربنا بلغ قومنا إنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه فرضي عنا وأرضانا"، فأنا رسولهم إليكم إنهم قد رضوا عنه ورضى عنهم. وقد ذكروا عن أنس أن ذلك كان قرآنا يتلى، ثم نسخت تلاوته كما في السيرة الحلبية (٢١)، والصحيح أن يقال ثم أنسى لأن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم لا معنى له وأن هذه ليس مما يقع فيه النسخ. وقد وقع في الوحي المنزل

ما هو على العكس من هذا، أي ما لم يكن في أول الأمر قرآنا ثم جعل قرآنا، وذلك أن النبي أرسل دحية الكلبي بكتاب منه الى قيصر ملك الروم بالشام، وهذا نصا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهُدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٢٢).

إن قوله، يا أهل الكتاب الخ.... كلام كتبه في كتابه الى قيصر يخاطب به قيصر وأتباعه من أهل الكتاب وذلك في السنة السادسة للهجرة. ولم يكن هذا الكلام قرآنا يتلى. وفي السنة التاسعة، لما وفد الى النبي وفد نجران، وهم نصارى، أنزل الوحي بهذه الكلام وزيد في أوله " قل" فجعل قرآنا يتلى، فهو أية من الآيات القرآنية في سورة آل عمران كما في السيرة الحلبية (٢٣). فإن قلت لماذا لم يجعله قرآنا في أول الأمر، قلتُ لأنه لم يكن عند كتابته الكتاب الى قيصر من داع الى إنزال وحي بقرآن، وإنما هو كلام أملاه على الكاتب يدعو به أهل الكتاب الى الإسلام، ثم إنه رأى بعد ذلك أنه كلام منطبق على أسلوب القرآن كل الإنطباق، وقد حصل الداعي الى إنزال وحي بقرآن، فأنزله وحيا وجعله قرآنا، بخلاف تلك الآيات التي مر ذكرها، فإنها أنزلت بالوحي لتكون قرآنا، ولكنها لما تبين بعد ذلك ابتعادها عن الأسلوب القرآني، لا سيما آية الرجم، أنسيت أو نسخت تلاوتها كما يقولون.

عن نفس الموضوع " سقوط شئ من القرآن" يثير الأستاذ محمود عبد العزيز البدري اثنتى عشر نقطة في كتابه " الإفتراء على الشيعة لمصلحة من؟" نسردها فيما يلي:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال:" كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية، قال: لقد قرأتها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر منها، وإن فيها آية الرجم" (٢٤).

وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص أكثر من مئتي آية من ضمنها آية تسمى أية الرجم!

أما قول أبي بن كعب:" كنتُ أقرأها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر" - وهو من أشهر القراء الذين كانوا يحفظون القرآن على عهد النبي (ص) وهو الذي اختاره عمر (٢٥) ليُصلى بالناس صلاة التراويح - فهو يبعث الى الشك والحيرة كما لا يخفى.

٢- أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال:" إن الله بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله.

ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله:" أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم" أو " إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم" (٢٦).

وأخرج أيضا عنه قوله:" إن الله بعث محمدا... فالرجم في كتاب الله حق على من إذا أُحصن من الرجال والنساء اذا قامت عليه البيّنة" (٢٧).

٣- قال الحافظ السيوطي: وقد أخرج ابن أشتة في (المصاحف) عن الليث بن سعد، قال:" أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد... وأنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده" (٢٨). هذا كله من عمر، والمستفاد من الأحاديث أنه كان يعلم بكون آية الرجم من القرآن، إلا أنه لم يكتبها لكونه وحده، فلو شهد بها معه أحد من الصحابة لكتب، وبذلك صرح المحدثون.

٤- أخرج ابن ماجة عن عائشة، قال:" نزلت آية الرجم ورضاعة الكبيرعشرا، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) وتشاغله بموته دخل داجن فأكلها" (٢٩).

٥- وأورد الحافظ جلال الدين عن أبي عبيد بسنده عن أبي امامة بن سهل:" أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله آية الرجم: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة" (٣٠).

٦- وروى الحافظ السيوطي أيضا عن جماعة من المحدثين الحفاظ عن أبي بن كعب: أنه كان يعتقد بأن آية الرجم من القرآن حقيقة (٣١).

فأية الرجم اذن أصر عليها عمر بن الخطاب، ورواها غيره: أبي بن كعب، عائشة بن أبي بكر، خالة أبي أمامة بن سهل.

بل المفهوم من حديث عائشة: أن الآية كانت من القرآن حتى بعد وفاة الرسول (ص) أما كتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث هي:

صحيح البخاري.
صحيح مسلم.
مسند أحمد.
الموطأ لمالك.
السنن لابن ماجة.
الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي.

أقول: ومن حقنا هنا أن نطالب – الأخ عبد الله بن سعيد الجنيد – والذي طالبنا بالتبريء من كتاب الكافي وغيره من الكتب الشيعية التى حوت بعض الروايات التي يشم منها رائحة التحريف، بل طالبنا بحرق هذه الكتب التي حوت على روايات التحريف، أن يبادر هو واخوتنا من أهل السنة بالتبريء من الكتب السنية المذكورة آنفا وحرقها، وعلى رأسها صحيح البخاري، لما حوته من روايات صريحة في التحريف، وبالتالي سيجدنا ان شاء الله على آثارهم مقتدون.

٧- أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله (ص) قال:" إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقال: فقرأ: **{ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب}** فقرأ فيها:" ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانية، فلو سأل ثانية فأعطيه لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيرا فلن يكفره" (٣٢).

٨- أخرج مسلم في صحيحة عن أبي الأسود، عن أبيه، قال: بعث أبو موسى الأشعري الى قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاءهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة فأُنسيتها، غير اني قد حفظت منها " لو كان لابن آدم واديان من مال لأبتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" (٣٣).

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأُنسيتها غير اني حفظت منها:" يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، فتُكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة" (٣٤).

وهاتان السورتان – اللتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تُشبه براءة يعني ١٢٩، والثانية تُشبه إحدى المسبحات يعني ٢٠ آية لا وجود لهما إلا في خيال أبي موسى، فاقرأ واعجب فإني أترك لك الخيار أيها الباحث المنصف.

٩- قال الحافظ السيوطي: أخرج أبو عبيد وأحمد، والطبراني في " الأوسط" والبيهقي في "شعب الإيمان"، عن أبي واقد الليثي، قال: كان رسول الله اذا أوحي إليه أتيناه فعلّمنا مّما أوحي اليه قال: فجئت ذات يوم، فقال: إن الله يقول" إنّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون إليه الثاني، ولو كان الثاني لأحبّ أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" (٣٥).
وروى هذا الحديث أيضا ابن الأثير عن الترمذي (٣٦).

١٠- روى الحافظ السيوطي عن المسوّر بن مخرمة ما نصه: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد ففيما أنزل علينا: " أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة " فأنا لا أجدها؟
قال: أُسقطت فيما أُسقط من القرآن (٣٧).

فنلاحظ في هذا الحديث: أن اثنين من كبار الصحابة وهما:

أ - عمر بن الخطاب.
ب- عبد الرحمن بن عوف.

كانا يعتقدان: الآية كانت مما أُنزل من قبل الله تعالى من القرآن الكريم. ثمّ إنّ معنى قوله: " أُسقطت....." أنهما كانا يعتقدان بكونها من القرآن بعد وفاة الرسول (ص) أيضا.

١١- أخرج البخاري في صحيحة (٣٨) في باب مناقب عمّار وحذيفة (رضي الله عنهما) عن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس الى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، قلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسرك لي، قال ممّن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، قال: أوَليس عندكم ابن ام عبدٍ صاحبُ النعلين والوساد والمطهرة؟ وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسانِ نبيه (ص) أوليس فيكم صاحب سرّ النبي الذي لا يعلم أحد غيره؟ ثم قال: كيف يقرأ عبد الله { وَالَّيلِ إذا يَغشى}؟ فقرأت عليه " والَّليلِ إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى" قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله (ص) من فيه الى فيَّ.

ثم زاد في رواية أُخرى قال: ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستنزلوني عن شيء سمعته من رسول الله.(ص) (٣٩).

١٢- أخرج الطبراني والبيهقي أن من القرآن سورتين إحداهما هي: بسم الله الرحمن الرحيم إنا نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك الخير كله ولا نكفُرك، ونخلعُ ونتركُ من يفجرك.

والسورة الثانية هي: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبدُ، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك الجدّ، إنّ عذابكَ بالكافرين ملحق.

وهاتان السورتان سماهما الراغب في المحاضرات سورتي " القنوت" وهما مما كان يقنت بهما سيدنا عمر بن الخطاب ، وهما موجودتان في مصحف ابن عباس ومصحف زيد بن ثابت (٤٠).

وقد ذكر السيوطي هاتين السورتين في كتابه الاتقان والدر المنثور,

وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السورتين الثابتتين في مصحف ابن عباس ومصحف زيد، كما يدل أيضا بأن هناك مصاحف اخرى غير التي عندنا!

١٣- روى الحافظ السيوطي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه قال:" لا يقولن أحدكم قد أخذت من القرآن كله، وما يدريه ما كله؟! قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر (٤١).

وروى الحافظ المذكور أيضا عن الطبراني عن عمر بن الخطاب أنه قال: " القرآن ألف ألف (وسبعة وعشرون ألف) حرف" (٤٢).

فالمستفاد من هذين الحديثين هو ضياع أضعاف هذا القرآن الموجود بين الناس.

وللإطلاع أكثر من أمثال هذه الروايات انظر : صحيح مسلم (٢:٧٢٦)، الدر المنثور (٢:١٣٩ وج٥:١٨٣، وج ٦:٧٩)، المستدرك على الصحيحين (٢:٣٠٥)، التفسير الكبير (١٠:٥١)، الكشاف(١:٥١٩)، فتح الباري في شرح البخاري (٨:١٥٨)، الموطأ (١:١٣٨/٢٥)، سنن ابن ماجة (١:٦٢٥).

هذا غيض من فيض من الروايات التي تحدثت عن التحريف في القرآن والتي ملأت كتب أهل السنة والجماعة، وهم غافلون عنها ويشنعون على الشيعة الذين لا يوجد عندهم عُشر هذا.

ولرب قائل يقول (٤٣): إن ما نقله السيوطي وأشباهه لا يجعل مساغا للتشكيك في دينهم، وان كنا لا نوافق على سرد الأقوال ذلك السرد الذي سلكه السيوطي في كتابه من غير تمحيص لها.

وإذا كان السيوطي مع انه دون هذه الأحاديث في كتابه من غير تمحيص لها لا يصح التشكيك في دينه - كما يدّعي البعض أمثال أبو زهرة - ، فبماذا يعتذر (هذا البعض) عن البخاري الذي اختار جامعه من ستمائة ألف حديث، ولا بد وأن يكون قد محصّها تمحيصا دقيقا حتى انتهى الى العدد المختار في صحيحة الذي بلغ نحوا من سبعة الاف وستمائة حديث تقريبا، ومع هذا التمحيص فقد روى أحاديث النقص وما يشبهها غرابة واستهجانا كحديث سحر النبي، ووضع الرب رجله في جهنم، وحديث موسى مع الحجر، ونحو ذلك من الأحاديث.

فإذا كانت كتب أهل السنة والجماعة ومسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل هذه الروايات ، فلماذا هذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الإدعاء؟!

وكيف يشنّع أهل السنة والجماعة على الشيعة من أجل روايات ساقطة عندهم، ويبرؤون أنفسهم، بينما صحاحهم تثبت صحة تلك الروايات؟!

الهـوامـش

(١) الإتقان، ٥٩/١.
(٢) الإتقان، ٥٨/١.
(٣) الإتقان، ٥٩/٢.
(٤) ن . م.
(٥) الإتقان، ٢٥/٢.
(٦) الإتقان، ٢٥,/٢
٧ الإتقان، ٢٥/٢.
(٨) سورة الأحزاب، الآية:٥٦
٩ الإتقان، ٢٥/٢
(١٠) سورة البينة، الآية: ١.
(١١) الإتقان، ٢٥/٢.
(١٢) الإتقان، ٢٥/٢.
(١٣) ن . م.
(١٤) ن . م.
(١٥) الإتقان، ٢ /٢٦.
(١٦) الإتقان، ٢٦/٢
(١٧) الإتقان، ٢٦/٢
(١٨) الإتقان، ٢ /٢٧.
(١٩) الإتقان، ١/ ٦٥
(٢٠) الإتقان ٢٦/٢.
(٢١) السيرة الحلبية، ١٧٢/٣.
(٢٢) السيرة الحلبية، ٢٤٤/٣.
(٢٣) السيرة الحلبية، ٢٤٤/٣.
(٢٤) مسند أحمد، ١٣٢:٥.
(٢٥) صحيح البخاري ٧:٠٧:٢ ح ١٩٠٦ كتاب صلاة التراويح.
(٢٦) صحيح البخاري ٢٥٠٤:٦ ح ٦٤٤٢ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.
(٢٧) صحيح البخاري ٢٠٨:٨ وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣١٧:٣ وأحمد بن حنبل في مسنده ٤٠:١ و٥٥ وروى مالك بن أنس في الموطأ ٨٢٤:٢/١٠
وزاد فيه (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة)
(٢٨) الإتقان في علوم القرآن ٢٠٦:١
(٢٩) سنن ابن ماجة ٦٢٥:١/١٩٤٤
(٣٠) الإتقان في علوم القرآن ٨٢:٣
(٣١) الإتقان في علوم القرآن ٨٢:٣
(٣٢) مسند أحمد ١٣١:٥
(٣٣) صحيح مسلم ٧٢٦:٢ / ١٠٥٠ في باب لأن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثا.
(٣٤) صحيح مسلم ٤١٨:١.
(٣٥) الدر المنثور ٣٧٨:٦
(٣٦) جامع الأصول ٥٠٠:٢/٩٧٢
(٣٧) الإتقان في علوم القرآن ٨٤:٣
(٣٨) صحيح البخاري ١٣٦٨:٣ح ٣٥٣٢كتاب فضائل الصحابة.
(٣٩) صحيح البخاري ١٣٦٩:٣ ح ٣٥٣٣ كتاب فضائل الصحابة، وانظر رواية اخرى في ص ١٣٧٣ ح ٣٥٥٠.
(٤٠) محاضرات الإدباء للراغب الأصفهاني ٤٣٣:٢

(٤١) الاتقان في علوم القرآن ٨١:٣
(٤٢) الاتقان في علوم القرآن ١: ٢٤٢.
(٤٣) كالشيخ أبو زهر في كتابيه (الامام الصادق، والإمام زيد بن علي).

الباب الثالث

اله الاسلام ليس هو الاله الحقيقى

١- ليست له صفات الاله الحقيقى

المضل والمضلل

"فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء" ابراهيم ٤ .
"ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء " النحل ٩٣ .
"..قل ان الله يضل من يشاء" الرعد ٢٧ .
" فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء " فاطر ٨ .
"كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء" المدثر ٣١ .
" ان الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية" يونس ٩٦ – ٩٧ .
"من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم" الأنعام ٦ .
" من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون" الأعراف ٧ .
"من يضلل الله فلا هادى له" الأعراف ١٨٦ .
"من يضلل الله فما له من هاد" الرعد ٣٣ .
"من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلم تجد له وليا مرشدا " الكهف ١٧ .
"من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون" الأعراف ١٧٨ .
"ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله" الأنعام ١١١ .
"ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها" السجدة ١٣ .
"ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا" الرعد ٣١ .
"ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا " يونس ٩٩ .
" أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم" محمد ٢٣ .
"وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا" الأنعام ١١٦ .
" واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا , وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا" الاسراء ٤٥ – ٤٦ .
"واذا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا , وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا " الكهف ٥٧ .
" ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء" الأعراف ١٥٥ .
" قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب" الرعد ٢٧ .

"ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء" ابراهيم ٢٧ .
"كذلك الله يضل كل مسرف مرتاب" غافر ٣٤ .
"كذلك يضل الله الكافرين" غافر ٧٤ .
"ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا " النساء ٨٨ .

"ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا " النساء ١٤٣ .
"ومن يضلل الله فما له من هاد " الزمر ٢٣ .
"ومن يضلل الله فما له من هاد" غافر ٣٣ .
"ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده" الشورى ٤٢ .
"ومن يضلل الله فما له من سبيل " الشورى ٤٦ .
"ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقا حرجا " الأنعام ١٢٥ .

المخادع

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . النساء ١٤٢ .

المتكبر

"السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر " الحشر ٢٣ .

خير الماكرين

"ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين" آل عمران ٥٤ .
"ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " الأنفال ٣٠ .
"وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا " الرعد ٤٢ .
"ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون" النمل ٥٠ .
"قل الله أسرع مكرا " يونس ٢١ .

ملهم الفجور

"ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " الشمس ٨ .

يأمر بالفسق ليهلك الناس

"واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنها تدميرا" الاسراء ١٦
"وكذلك جعلنا فى كل قرية أكبر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون" الأنعام ١٣٣

ليس وحده الخالق

"فتبارك الله أحسن الخالقين" المؤمنون ١٤

يقسم بمخلوقاته

عندما يقسم شخص فانه يقسم بما هو أعظم منه . ولهذا يقول الكتاب المقدس عن الله :
"فانه لما وعد الله ابراهيم , اذ لم يكن له أعظم يقسم به , أقسم بنفسه قائلا " انى لأباركك بركة وأكثرك تكثيرا" (عبرانيين ٦ : ١٣ .
ولكن الغريب أن اله القرآن يقسم بمخلوقاته كما هو واضح فى الآيات التالية :
"والليل وما وسق والقمر اذا اتسق " الانشقاق ١٧ – ١٨
"والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها" الشمس ١ – ٦ .
"والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى " الضحى ١ – ٣ .
"والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين" التين ١ – ٣ .
"والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب,ان كل نفس لما عليها حافظ" الطارق ١ – ٤ .

يبيح انكاره

"ومن كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم " النحل ١٠٦

يبيح الحنث فى القسم

ولا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم" البقرة ٢٢٥

يتقى شر الناس بأن يؤلف قلوبهم بالمال

"انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم..." التوبة ٦٠

يحرض على قتل الناس ليتبعوا دينه

"يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال" الأنفال ٦٥ .
"ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير" البقرة ٢١٧
" أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله .." التوبة ٩ : ٤١
"يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير " التوبة ٩: ٧٣
" فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق.." محمد ٤

" فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون..." محمد ٣٥
" كتب عليكم القتال وهو كره لكم" البقرة ٢١٦
"وقاتلوا فى سبيل الله وأعلموا أن الله سميع عليم" البقرة ٢٤٤
"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" الأنفال ٦٠
" ألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بنان " الأنفال ١٢
"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.." الأنفال ٣٩
" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" التوبة ٢٩
" ..ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون" التوبة ١١١
" ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم" الأنفال ٦٧ .

يحلل النهب

"وأغنموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول واليتامى والمساكين وابن السبيل ..فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم " الأنفال ٤١ و٦٩

يبيح ملك اليمين (الرقيق الأبيض)

"فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا" النساء ٣ .

يلبى طلبات الذى لا ينطق عن الهوى

"يا أيها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ..." الأحزاب ٥٠ .

يتحسر

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ . يس ٣٠ .

ينفخ فى الفروج

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ. التحريم ١٢.

يقترض من عبيده

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ .الحديد ١١ .
إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ .الحديد ١٨ .
إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ .التغابن ١٧ .
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ البقرة ٢٤٥ .

ملائكته تعرف الغيب وتعترض على قراراته

"واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى أعلم ما لا تعلمون" البقرة ٣٠ .

يبيح السجود لغيره

" ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس .." الأعراف ١١ .

يتستر على ما أوحى به الشيطان الى نبيه (الآيات الشيطانية)

"أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى"
النجم ١٩-٢٢
"أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلى ان شفاعتهن لترتجى" .
النجم ١٩- ٢٢
القراءة الثانية هى الأصلية والقراءة الأولى هى الناسخة .القرآن نفسه يشرح هذا .
ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم الحج ٥٣"
"وإن كادُوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيرهُ وإذا لأتخذوك خليلا، ولولا ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا " الإسراء ٧٣،٧٤
"وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته" .(الحج ٥٢).

اله عنده مشاغل

سنفرغ لكم أيها الثقلان. سورة الرحمن ٣١.
الله هنا يتوعد الأنس والجن بأنه بعد أن تنتهي مشاغله سوف ينتقم منهما. هل هذا كلام يليق باله حقيقى؟!

لا يفهم ايمان المسيحيين

"أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ..." التوبة ٤٠ .

"أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى ألهين من دون الله .." المائدة ١١٦ .

له ناقة

هذه ناقة الله آية لكم. سور الأعراف ٧٣.

يردح لانسان

تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد" . سورة المسد

جنته ماخور

" متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور العين " الطور ٢٠ .
" حور مقصورات فى الخيام لم يطمثهن انس ولا جان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان " الرحمن ٧٢-٧٤

يفترى على يوسف كذبا

" ولقد همت به وهم بها لولا أن رءا برهان ربه .." يوسف ٢٤ .
لا تذكر التوراة مطلقا أن يوسف هام بها بل انه قال " كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ الى الله ".

يكره البشر الذين خلقهم

"قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين" آل عمران ٣١ .
"..فان الله عدو للكافرين" البقرة ٨٩ .

يأمر نبيه بقتل اسراه

"ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض " الأنفال ٦٧ .

محتاج الى العبادة

"وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات ٥٦ .

ليس لديه مشكلة فى أن ينكر المؤمنون الايمان به

" من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ..". الأنبياء ١٠٦ .

يفترى على اليهود

" وقالت اليهود عزير ابن الله ...." التوبة ٣٠ .

يغير كلامه

" ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها..." البقرة ١٠٦ .

" واذا بدلنا آية مكان آية ...." النحل ١٠١ .

يسمح بطلاق النساء لأى سبب

" عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خير منكن..." التحريم ٥ .

يأمر بضرب النساء

" والاتى تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع وأضربوهن" النساء ٣٤ .

يظلم النساء فى الميراث

"يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .." النساء ١١ .

يميز ضد النساء

"أم له البنت ولكم البنون" الطور ٣٩

"ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون " النحل ٥٧

"الكم الذكر وله الأنثى , تلك اذا قسمة ضيزى " النجم ٢١

اله ينسى

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (الأعراف ٥١).

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (طه ١٢٦).

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (الجاثية ٣٤).

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (التوبة ٦٧).

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (السجدة ١٤

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (التغابن ١٧)

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (البقرة ٢٤٥)

الـه يزين الشهوات لمخلوقاته

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (آل عمران ١٤)

يوحى بالخرافات

"قالت نملة يا ايها النمل أدخلوا مسكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " النمل ١٨ .

" فقال (الهدهد) أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين" النمل ٢٢ .

تتعارض صفاته مع صفات الاله المعلن فى الكتب السماوية

فيما يلى مقارنة بين عدة آيات قرآنية مع ما يقابلها فى الكتاب المقدس تبين هذا الأمر:

ا - ‘‘ المتكبر ‘‘ واحد من أسماء الله الحسنى فى القرآن (الحشر ٢٣).

بينما يقول لنا الوحي فى الرسالة إلى أهل فيلبى والإصحاح الثانى:

‘‘ فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان أطاع حتى الموت موت الصليب (فيلبى ٢ : ٥ – ٨)

الكتاب المقدس يحدثنا عن إله متضع بل انه أيضا يقول " يقاوم الله المستكبرين

(١بطرس٥ : ٥، يعقوب٤ : ٦) بينما يتحدث القرآن عن إله متكبر.

ب - الله فى القرآن يدعو المؤمنين به أن يردوا الإساءة بالإساءة فهو يقول: ,, النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ،، (المائدة ٥ : ٤٥).

أما إله الكتاب المقدس فيقول ,, احبوا أعدائكم .. باركوا لاعنيكم .. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم ,, (متى ٥ :٤٤).

الكتاب المقدس يحدثنا عن إله محب بينما يتحدث القرآن عن إله منتقم. بل أن واحدا من أسماءه الحسنى فى القرآن هو "المنتقم".

ت - إله الكتاب المقدس يقول ,,لا تحلفوا البتة ‘‘ (متى ٥ :٣٤).

بينما يقول نبي الإسلام ,, من يحلف فليحلف بالله ‘‘.

(عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي (ص) قال : من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت (صحيح مسلم ٥ : ٨٠).

ث- المرة الوحيدة التى اقسم فيها الرب في كل الكتاب المقدس كانت فى سفر التكوين إصحاح ٢٢ إذ يقول الكتاب ,, بذاتى أقسمت يقول الرب إنى من أجل انك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ،، (تكوين ٢٢ : ١٦).

بينما يذكر القرآن أن الله يقسم بمخلوقاته ..ولهذا نراه يقسم بالليل والدجى والقمر والقلم والريح والتين والزيتون وغيرها.
الكتاب المقدس يحدثنا عن أله يقسم بذاته بينما يحدثنا القرآن عن إله يقسم بمخلوقاته ماذا تساوى خليقة الله حتى يقسم بها جل جلاله ؟!
ج - الله في القرآن يأمر بقطع يد السارق بينما يحدثنا الكتاب المقدس بعكس ذلك كما نقرأ في الرسالة إلي أفسس:

,,لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحرى يتعب عاملا الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج ،، (أفسس ٤ : ٢٨).

يقول إله القرآن ,, السارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبانه نكالا من الله والله عزيز حكيم (مائدة ٥ : ٤١).

إله القرآن يقطع يد السارق وإله الكتاب المقدس يغفر له ويدعوه لأن يتعب عاملا الصالح بيديه.

ح - إله القرآن يدعو الرجال أن يهجروا نساءهم في الفراش ويضربوهن إذا استدعى الأمر بينما يدعو إله الكتاب المقدس الرجال إلي أن يحبوا نساءهم.

,, واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع وأضربوهن فان اطعنكن فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ،، (النساء ٤ :٣٤).

,, أيها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح أيضا الكنيسة واسلم نفسه لأجلها ،،

(أفسس ٥ :٢٥).

,, أيها الرجال احبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن ،، (كولوسى ٣ : ١٩).

,, كذلك أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضا معكم نعمة الحياة ،، (١ بطرس ٣ : ٧).

يحدثنا القرآن عن جنة يتزوج فيها الرجل باثنين وسبعين حورية بينما يقول لنا إنجيل المسيح انه في السماء لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء .

,, متكئين على سرر مصفوفة وزوجنهم بحور عين ،, (الطور٥٢ :٢٠).

,, ويطوف عليهم غلمان كأنهم لؤلؤ مكنون ،، (الطور ٥٢ : ٢٤),, لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء ،، (متى ٢٢: ٣٠) .

د- يفرق اله القرآن بين الرجل والمرأة فى الميراث والشهادة ولذلك فان نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة وشهادة الرجل بشهادة امرأتين .

,, يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثتين ،، (النساء ٤ : ١١).

أكثر من هذا فان اله القرآن يميز بين الرجل والمرأة فى الآخرة أيضا فانه يعد الرجال باثنين وسبعين حورية فى الجنة بينما لا نراه يعد المرأة بمجرد رجل رجلين.

علي العكس من هذا فإن إنجيل المسيح لا يفرق بين الرجل والمرآة في الميراث أو الشهادة إذ يقول أنه لا فرق.

,, ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى لأنكم واحد فى المسيح يسوع ،، (غلاطية ٣ : ٢٨).

ذ - إله القرآن يسمح للمؤمنين به يتزوجوا مثني وثلاث ورباع وما ملكت أيمانهم ولكن إنجيل المسيح يحدثنا عن رجل واحد وزوجة واحدة. لا تعدد للزوجات في إنجيل المسيح.

,, فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،، (النساء ٤ : ٣).

,, فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق منذ البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان ،، (متى ١٩ ٤- ٦).

ر - إله القرآن يسمح بالطلاق لأي سبب (مع أنه ابغض الحلال عنده) ولكن السبب الوحيد للطلاق للمؤمنين بالمسيح هو علة الزنى .

,, عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن..،،(الواقعة ٦٦: ٥).

,, كل من طلق امرأته لغير علة الزنى وتزوج بأخرى فانه يزنى ،(متى ١٩: ٩).

ز - يحدثنا القرآن عن إله هو ,, خير الماكرين ،، بينما يحدثنا إنجيل المسيح عن إله قدوس السماء ليست بطاهرة أمامه.

,, ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ،، (آل عمران ٣ : ٥٤).

,, ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ..،، (النساء ٤ : ١٤٢).

,, والسموات غير طاهرة بعينيه ،، (أيوب ١٥ : ١٥).

س - يحدثنا القرآن عن إله ‘‘ أن أراد أن يهلك قرية أمر مترفها أن يفسقوا بينما يحدثنا الكتاب المقدس عن اله ,, يريد أن الجميع يخلصون وإلي معرفة الحق يقبلون ‘‘.

,, وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنها تدميرا ،، (الإسراء ١٧ : ١٦).

,, لأنه حسن ومقبول عند مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون ،، (١ تيموثاوس ٢ : ٤).

ش - يقول الكتاب المقدس أن الله روح (يوحنا ٤ : ٢٤) بينما لا يقول القرآن على الإطلاق أن الله روح.

ص - يقول الكتاب المقدس أن الله محبة (١ يوحنا ٤ : ١٦) بينما لا نجد في القرآن كله أي إشارة إلي أن الله محبة.

ض - جبريل ملاك الرب يقول لمريم ,, الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعي أبن الله ". (لوقا ١ : ٣٥).

جبريل القرآن يقول لمحمد ,, لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح أبن مريم" (المائدة ٥ : ١٧ ، ٥ : ٧٢).

ط - يقول إله القرآن أن اليهود قالوا أن عزرا أبن الله.(يسميه القرآن عزير)

,, وقالت اليهود عزير أبن الله ... ‘‘ (التوبة ٩ : ٣٠).

والواقع أن اليهود بطول تاريخهم كله لم يدعو أن إنسانا أيا كان هو الله بما في ذلك إبراهيم وأسحق ويعقوب.

ظ - يقول إله القرآن أن إبراهيم لم يكن يهوديا.

,, ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما،،(آل عمران ٣ :٦٧).

بينما يقول إله التوراة أن ابر أهيم (إبرام) عبراني .

,, فأتي من نجا وأخبر إبرام العبراني ،، (تكوين ١٤ : ١٣).

ع- جنة إله القرآن فيها الأكل والشرب بل والخمر كما نقرأ في سورة الطور

(٥٢ : ٢٢) وسورة الواقعة (٥٦ : ٢١) وسورة محمد (٤٧ : ١٥) بينما يحدثنا اله الكتاب المقدس عن عكس ذلك تماما:

" لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" (رومية ١٤ : ١٧).

غ - اله الكتاب المقدس يقول " أن السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول " (متى ٢٤ : ٢٥) .

بينما اله القرآن يقول : " ما ننسخ من آية أو ننسها نأتى بخير منها أو مثلها " (البقرة ١٠٦).

ف- اله الكتاب المقدس ينهى عن الكذب. بل إن إحدى وصاياه العشرة " لا تكذب ". ويقول أيضا فى موضع آخر على سبيل المثال:

" لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تحلفوا بإسمى للكذب فتدنس اسم إلهك. أنا الرب " (لاويين ١٩ : ١١ - ١٢).

بينما نقرأ في صحيح مسلم مايلي:

باب : ما يجوز فيه الكذب:

١٨١٠ - عن أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط رضي الله عنها - وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي (ص) - أنها سمعت رسول الله (ص) وهو يقول: ,, ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمى خيرا ,, قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شئ مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث : الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل إمرأته وحديث المرأة زوجها. وفي رواية قالت: ولم أسمعه يرخص في شئ مما يقول الناس إلا في ثلاث. (صحيح مسلم ٨ / ٢٨).

إله محمد في وحيه المنطوق (وهذه هي نظرة الإسلام إلي الحديث الصحيح)

يرخص الكذب بينما إله الكتاب المقدس ينهي عنه.

ق- إله القرآن يشجع المؤمنين به علي إنكار إيمانهم بينما يحذر إله الكتاب المقدس أتباعه من فعل ذلك.

" فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذي في السموات " (متي ١٠ : ٣٢ - ٣٣).

" من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن "(النحل ١٦ : ١٠٦).

وهذا ما يؤكده حديث محمد لعمار بن ياسر:
" أخذ المشركون عمار بن ياسر ولم يتركوه حتى سب النبي وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما آتى رسول الله قال : ما ورائك ؟ قال : شر، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد. فنزلت " إلا من اكره وقلبه مطمئن

بالإيمان. (أخرجه عبد الرازق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وصححه الحاكم فى المستدرك والبهيقى فى الدلائل) .

ك- يعلمنا إله الكتاب المقدس : " إن كل من ينظر إلي إمرأة ليشتهيها فقد زني بها قي قلبه " (متي ٥ : ٢٨).

بينما يصادق إله القرآن علي اشتهاء نبي الإسلام لزوجة ابنه بالتبني (زيد بن حارثة) لما رآها حاسرة فتمنى أن يطلقها زيد لكى يتزوجها هو (.." وتخفى فى نفسك ما الله مبديه .." - الأحزاب ٣٧). وهذا ما يبينه الطبرى فى تفسيره للآية كما نقرأ فيما يلى:

,, فالقي في نفسه كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع وذلك أن زينب بنت جحش قيما ذكر رآها رسول الله (ص) فأعجبته وهي في حبال مولاه ‘‘

[أقرأ جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر أبن جرير الطبري - المجلد العاشر في تفسير الآية ٣٧ من سورة الأحزاب].

ل- يقول إله الكتاب المقدس: ,, إن جاع عدوك فأطعمه خبزا وإن عطش فأسقه ماء‘‘. (أمثال ٢٥ : ٢١).

بينما يعلم إله القرآن الانتقام إذ يقول:

" ومن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم " (البقرة ٢: ١٩٤).

" ولكم في القصاص حياه يا أولي الألباب لعلكم تتقون " (البقرة ٢: ١٧٩).

بل أننا نقرأ تطبيقا عمليا لهذا الانتقام في السيرة النبوية لأبن هشام:

" (قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم):

فلما صحوا وانطوت بطونهم عدوا علي راعي رسول الله (ص) يسار فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله في آثارهم كرز بن جابر فلحقهم ، فأتي بهم رسول الله (ص) مرجعه من غزوة ذى قرد فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ." (السيرة النبوية)

م- الصليب هو محور الكتاب المقدس من أول أسفاره سفر التكوين وحتى آخر أسفاره سفر الرؤيا . إذ يحدثنا عن الذبيحة التي أخذ الرب جلدها وستر عورة آدم وحواء في تكوين ٣ وهي ترمز للذبيح الأعظم الذي ستر خطية العالم كله.

صليب المسيح هو محور الإنجيل حسب متي ومرقس ولوقا ويوحنا وقصة الصلب وحدها تشغل أكثر من ٢٥ % من البشائر الأربعة .

صليب المسيح هذا ينكره إله القرآن إذ يقول في سورة النساء :

" وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. (النساء ٤:١٥٧).

ن- وحدانية إله القرآن وحدانية مجردة بسيطة بينما وحدانية إله الكتاب المقدس وحدانية جامعة . وحدانية من ثلاث اقانيم متحدة دون امتزاج ومتميزة دون انفصال:

فالآب هو الله

والإبن هو الله

والروح القدس هو الله

والثلاثة إله واحد وليسوا ثلاثة آلهة.

كما أن الإنسان جسد ونفس وروح وهو في نفس الوقت إنسان واحد.

لا يقول الكتاب المقدس أن الله أتخذ لنفسه صاحبة أو أن المسيح قال اتخذوني وأمي الهين من دون الله فهذا الكلام لا وجود له علي الإطلاق في الكتاب المقدس.

كما يصعب علي عقولنا فهم الكثير من الأمور المتعلقة بالله .. كأبديته وأزليته ووجوده في كل مكان .. كذلك يصعب علينا فهم وحدانيته الجامعة.

الصعوبة لا تعني .. أنها ضد العقل ولكن أنها فوق العقل.

الكتاب المقدس يعلم بكل وضوح ان الله واحد:

4:6اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد. تثنية

.9 حسنا تفعل . يعقوب ٢:١,انت تؤمن ان الله واحد

الكتاب المقدس يعلم ايضا بوضوح أن الإبن (الكلمة المتجسد) هو الله.
(يوحنا١:١، يوحنا ١ : ٧).

وهو أيضا يعلم بوضوح أن الروح القدس هو الله (أعمال ٥ :٣-٤).

إذا فأن النتيجة المنطقية هي أن الآب والابن والروح القدس إله واحد وهذا يتناقض مع إله القرآن .

ن- الكتاب المقدس يتحدث عن الله الابن الذي هو المسيح بأنه كلمة الله أو فكر الله المتجسد كما نقرأ في (يوحنا ١:١، عبرانيين ١: ٢ ، يوحنا ١: ١٨) وابن الله في المسيحية تعبر عن

أن المسيح نائب الله على الأرض. كما تعبر عن أننا في المسيح رأينا صفات الله.

ليست هناك أبوة تناسلية في اللاهوت المسيحي. وهذا ما لم يعرفه إله القرآن إذ يقول:

." بديع السموات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة "(الأنعام٦: ١٠١)

وهذا يفيد بأن كل ما يمنع الله من ان يكون له ولدا هو انه بلا صاحبة **!!**

ه- إله الكتاب المقدس هو أب لكل المؤمنين به وهم أولاده وهذا يتنافى تماما مع تعاليم إله القرآن. يقول الكتاب المقدس:

. ,, وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ،، (يوحنا ١: ١٢)

,, فصلوا انتم هكذا أبانا الذي في السموات ،، (متى ٦:٩).

" فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه (متى ٧:١١).

و- اله الاسلام ارسل ملاكا اسمه جبريل الى نبيه محمد أفزعه وطلب منه أن يقرأ.فى هذا اللقاء تمكن الرعب من محمد وكاد يموت, وفى هذا قال ثلاث مرات "غتنى فظننت انه الموت" كما جاء فى السيرة النبوية لابن هشام.

ولكن اله الكتاب المقدس أرسل ملاكه جبرائيل (وليس جبريل) الى المطوبة العذراء مريم الذى فى لقائه بها طمأنها وقال لها " سلام لك ايتها المنعم عليها" و " لا تخافى يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله".

ي- حتى غاية خلق الله للانسان يختلف فيها القرآن عن الكتاب المقدس. فبينما يقر القرآن بأن الله خلق الانسان لكى يعبده (وكأن الله بحاجة الى عبيد وغير مكتف بالملائكة التى تسبحه فى كل حين).

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" (الذاريات ٥٦).

فى حين يخبرنا الكتاب المقدس ان الله خلق الانسان لكى يظهر فيه مجده ولكى يدعوه الى حياة مجيدة معه .

" ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته" (اشعياء ٤٣ : ٧) .

لا يضمن الجنة لمن يتبعه

في ٣ إبريل ١٩٩١ نشرت مجلة آخر ساعة في عدد ٢٩٤٥ مقالا بعنوان ,, حوار ساخن بين الشيخ النمر وأربع صحفيات ،، خلال الحوار سألت إحدى الصحفيات الشيخ النمر:

هل الحجاب هو فرض بحيث إن لم التزم به ادخل النار بصرف النظر عن أعمالي الأخرى؟ وأنا هنا أتكلم عن المرأة المحتشمة ولكنها ليست متحجبة؟

وأجاب الشيخ الدكتور النمر:

الفرائض يا بنيتي كثيرة والله يحاسبنا بالقطاعي .. بمعني انك إن أديت الفرض لك نقطة .. أن أهملت فيه عليك نقطة . كل يحسب لك أو عليك .. اقمت الصلاة هي لك .. لم تصومي هي عليك وهكذا.

واستطرد الشيخ النمر قائلا:

أنا لم آت بجديد .. لكل إنسان كتاب يقيد فيه حسناته وسيئات .. وهذه هى معاملاتنا مع أطفالنا.

قالت الصحفية: يعني لن يكون هذا سببا في دخولي النار دون محاسبتي علي حياتي؟

أجاب الشيخ النمر : يابنيتي .. لا أحد يعلم من سيدخلها .. ربما أكون أنا أول الداخلين فيها! أي والله .. وكما قال أبو بكر الصديق: ,, لا آمن مكر الله حتى لو كانت إحدى قدمي في الجنة ،، من الذي يستطيع أن يقول أي الأعمال ستقبل أم لا ؟ آنت تعملين كل الذي تستطيعينه والحساب عند الله وتسألينه القبول.

(مجلة آخر ساعة العدد ٢٩٤٥)

الشيخ عبد المنعم النمر وهو أستاذ كبير درس القرآن وتعاليم الإسلام .. لا يعلم إن كان سيدخل النار أم الجنة .. ويقول انه ربما يكون أول الداخلين النار .. وآبو بكر الصديق خليفة النبي محمد (وأحد العشرة التى بشرهم محمد بالجنة !) قال: ,, لا آمن مكر الله حتى ولو كانت إحدى قدمي في الجنة ،،.

لا يقين عند المسلم من جهة مصيره بعد الموت.

حتى نبي الإسلام نفسه لا يضمن دخول الجنة . كما نقرأ في صحيح مسلم: باب: لن ينجى أحدا من عمله.

عن عائشة أنها كانت تقول: قال رسول الله (ص): ,, سددوا وقاربوا وأبشروا فانه لن يدخل الجنة أحدا عمله،، قالوا: ,, ولا أنت يا رسول الله ؟،، قال: ,, ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة. وأعلموا أن أحب العمل إلي الله أدومه وإن قل ،،.
(صحيح مسلم ٨ / ١41).

أكثر من هذا القرآن نفسه يقول أن كل المسلمين سوف يوردون على النار .
,, وإن منكم إلا واردها كان علي ربك حتما مقضيا ،، (مريم ١٩ : ٧١).

ويزداد المرء عجبا إذ يؤكد القرآن في آيات عديدة أن الله يضل الناس ويدخلهم النار بل ويخلق بعضهم خصيصا لكي تكون نهايتهم النار. وفى هذا يورد القرآن آيات عديدة: " ولو شاء الله لجعلكم

أمه واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن مما كنتم تعملون " (النحل ١٦ : ٩٣). "
ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب "
(الرعد ١٣ : ٢٧).

" فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا . أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا " (النساء ٤ : ٨٨).
" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليدين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ". (إبراهيم ١٤ : ٤).

".. كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء". (المدثر ٧٤ : ٣١).

" ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " (الأعراف ٧ : ١٧٩).

هذا هو اله القرآن يضل من يشاء ويخلق للنار ناسا بل وجنا ليخلدون فيها .
هذا الإله ليس هو إله الكتاب المقدس الذي:

- لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلي التوبة. (٢ بطرس ٣ : ٩).

- هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. (يوحنا ٣ : ١٦).

إذا لا شئ من الدينونة الآن علي الذين هم في المسيح يسوع. (رومية ٨ :١).-

- من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة. (يوحنا ٥ : ١٢).

- وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح أبن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة بإسمه. (يوحنا ٢٠ : ٣١).

- خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد. (يوحنا ١٠ : ٢٧).

- الذي يؤمن بالإبن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالإبن لن يري حياة بل يمكث عليه غضب الله. (يوحنا ٣ : ٣٦).

اذا فى الايمان بالابن يقين الحياة الأبدية .

ما أبأسها حياة اذا كان الانسان فى شك من مصيره الأبدى.

وما أبأسه موقف انتظار الموت والورود على جهنم الذى هو حتما مقضيا .

رسالته تنتشر بالسيف وليس بتأثير قوتها

يحرض صاحب القرآن اتباعه قائلا :

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . الأنفال ٣٩
ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون . الفتح ١٦ .

ولهذا جاء فى صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما: إن النبي (ص) قال إن الله أمره أن يُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا فقد عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحق الشهادتين، أى بما يستحق بناءا على هاتين الشهادتين من تكاليف. والنص كالتالي :

" أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدُوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهُم على الله"!.

اذا فالقتال فى الاسلام هو لنشر دين الاسلام . وهذا عين ما أفصحت عنه كلمات سعد بن عبادة الى الانصار فى سقيفة بنى ساعدة ليلة موت نبى الاسلام , اذ قال لهم " انه بأسيافكم دان بهذا الدين من لم يكن يدن به " .

الفتوحات الاسلامية دليل دامغ آخر على نشر الاسلام بالسيف كما يتضح من طبيعتها الهجومية .

طارق بن ذياد لم يقل لجنوده على شاطئ الأندلس " البحر ورائكم والناس الذين سوف ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة أمامكم" بل قال " والعدو امامكم ".

<u>أمثلة من الفتوحات الإسلامية كما وردت في كتاب" الفن العسكري الإسلامي":</u>

الكتاب من تأليف العميد الركن ياسين سويد (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٩٠).

<u>١ - حروب الردة</u>

بعد موت النبي مباشرة ارتدت عن الإسلام قبائل عديدة في مختلف أنحاء الجزيرة كطي وأسد وغطفان وسليم وهوزان وبني عامر وبني ثعلبة بن بربوع وبني حنيفة وغيرها. وكانت حركة الإرتداد هذه من الخطورة بحيث أنها هددت الى حد كبير وبجدية متناهية مصير الإسلام والمسلمين وكان تحرك الخليفة أبي بكر تجاه هذه الحركة في مستوى الحدث الخطير فجيش كل قوات المسلمين وعلى رأسها قادة من أمثال خالد وعكرمة بن جهل والمهاجر بن أمية وشرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد وحذيفة بن محسن وعرمجة بن هرثمة وسويد بن مقرن والعلاء بن الحضرمي ومعن بن حاجز وعمرو بن العاص.

٢ ـ غزو العراق

بعد آن فرغ أبو بكر من قتال المرتدين في الجزيرة العربية عام ١٢ هجرية (٦٣٣م) قرر أن يسير جيوشا لفتح العراق فجيش لفتح العراق جيشين: جيش بقيادة خالد بن الوليد غزي العراق عن طريق " الإبلة" وهي في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرى.

والجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم الذي غزي العراق من ناحية الشمال الشرقي وهي ناحية المصيخ على حدود الشام.

٣ ـ غزو الشام

في أواخر عام ١٢ هجرية وتنفيذا لرغبة سابقة أبداها نبي الإسلام عندما بدأ بتجهيز حملة بقيادة أسامة بن زيد لإنفاذها الى الشام (إلا أنه توفي قبل ذلك) حشد أبو بكر الصديق جيشا بلغ عديدة نحو عشرين آلف مقاتل نظمه في خمس فرق تم توزيعها وتسييرها الى الشام على الشكل التالي:

الفرقة الأولى:

القائد	يزيد بن أبى سفيان
الهدف	دمشق
العديد	٣ ـ ٤ الآف مقاتل
المهمة	احتلال دمشق ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الثانية:

القائد	شرحبيل بن حسنة
الهدف	بصري عاصمة حوران
العديد	٣ ـ ٤ الآف مقاتل
المهمة	احتلال بصري ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الثالثة:

القائد	أبو عبيدة الجراح
الهدف	حمص
العديد	٣ ـ ٤ الآف مقاتل
المهمة	احتلال حمص ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الرابعة:

القائد	عمرو بن العاص
الهدف	فلسطين
العديد	٦ ـ ٧ الآف مقاتل
المهمة	احتلال فلسطين

الفرقة الخامسة

القائد	عكرمة بن أبي جهل
العديد	٦ الآف مقاتل
المهمة	احتياط في المدينة

٤ ـ فتح مصر والعبور الى شمال أفريقيا

ما أن فرغ عمرو بن العاص من فتح قيصارية في فلسطين عام ١٩ هجرية (٦٤٠م) حتى انطلق بمن معه وكانوا نحو أربعة الآف مقاتل مجتازا حدود فلسطين غربا باتجاه مصر لفتحها. وكان عليها حاكم روماني اسمه المقوقس فنزل أول ما نزل بالعريش في سيناء من ارض مصر ثم تابع سيره الى الفرماء وكانت مدينة محصنة ومنيعة تسيطر على الطريق الرئيسي الممتد من العريش الى مصر فحاصرها شهرا وقاتل حاميتها فأنتصر عليها وفتح المدينة ثم تابع تقدمه باتجاه الجنوب العربي سالكا طريقا هي الحد الفاصل بين الصحراء والري حتى وصل الى بلبيس فقاتل حاميتها وكانت بقيادة أرطبون فأنتصر عليه وامتلك المدينة ثم استمر في تقدمه جنوبا بغرب حتى أطل على مدينة " هليوبوليس" التي تعرف اليوم بعين شمس وكان عمرو قد طلب من الخليفة إمداد فأمده بعشرة آلاف رجل بقيادة الزبير بن العوام. بعد سقوط حصن بابليون في يد عمرو بن العاص سقط حصن كريون أيضا. بعدها اتجه عمرو الى الإسكندرية عاصمة مصر في هذا الوقت فوجد أهلها معدين لقتاله فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وحاصروهم ثلاثة أشهر انتهت بأن فتحها عمرو بالسيف سنة ٢٠ هجرية.

٥ ـ فتح ليبيا

بعد فتح الإسكندرية بفترة وجيزة غزا جيش المسلمين ليبيا بقيادة عقبة بن نافع الذي وقف على شاطئ البحر الأبيض على فرسه شاهرا سيفه وقائلا " والله لو علمت أن وراء هذا البحر يابسة لخضته بغرس هذا".

٦ ـ غزو البحر

ركب المسلمون البحر غازيين في عهد الخليفة عثمان بن عفان فغزوا قبرص وفتحوها عام ٢٨ هجرية (٦٤٨م) ثم غزوا رودس وصقلية ثم خاضوا ضد الروم عام ٣٤ هجرية (٦٥٥م) أهم معركة بحرية في تاريخ الفتوح الإسلامية وهي معركة " ذات الصواري" (وكانت الحملة بقيادة عبد الله بن أبي سرح والي مصر).

٧ ـ غزو الأندلس

غزت جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد الليثي الأندلس سنة ٩٢ هجرية (٧١١م) بعد أن عبرت بحر الزقاق (مضيق جبل طارق حاليا) بين المغرب وأسبانيا ليلا في واقعة شهيرة في التاريخ الإسلامي تم فيها حرق السفن التي نقلت الجيوش حتى لا يكون هناك مفر من القتال الذي ألهب ناره القائد الهمام بخطبته الشهيرة التي بدأها بالقول:" البحر ورائكم والعدو أمامكم". (تعليق من جانبنا: لاحظ أنه لا يقول: البحر ورائكم والناس اللذين سوف ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة أمامكم**!**).

يختتم المؤلف كتابه بخلاصة يحاول فيها تجميل الصورة وإضافة صبغة من التقديس والتبجيل عليها ورغم هذا فأنها تبقي اعترافا صريحا واضحا لا تخطئه العين بأن السيف كان له القول الفيصل في انتشار الإسلام في سنوات التأسيس الأولى وما بعدها:

جاء في صفحات ٣٦٣ ـ ٣٦٦ ما يلي:

١ ـ لم يكن النبي محمد نبيا مرسلا للعرب فقط، وإنما كان صاحب رسالة إنسانية كونية حملها لينشرها على الناس أجمعين، لذا، كان لا بد أن ينطلق، هو وخلفاؤه من بعده، حاملين رسالة الإسلام الى العالم وخارج حدود الجزيرة العربية، وذلك أمر يتطلب ولا شك، اقتحاما وإيجابية ومبادأة وتوسعا لفرض السيادة، وهذه كلها مواقف هجومية بطبيعتها.

٢ ـ لم يكن للعقيدة الإسلامية أن تحقق ما حققته من توسع وفتوح في جميع أقطار الدنيا لو لم تكن تتميز بعقيدة عسكرية هجومية، فالجهاد في الإسلام لم يكن لرد الإعتداء بقدر ما كان لنشر مبادئ الدين الحنيف، لذا لم يعتبر المسلمون جهادهم في سبيل نشر الإسلام اعتداء وإنما هو قتال في سبيل إعلاء كلمة الله بإعتبار أن الدين عند الله الإسلام، كما أنه، أي القتال، دفاع عن عقيدة الإسلام في وجه المشركين.

٣ ـ لم يكن للدعوة الإسلامية أن تنتشر إلا بالجهاد الذي هو في صلب الحياة الإسلامية ومن أهم الشعائر اللازمة لممارسة عقيدة الإسلام قولا وعملا، ورغم أنه " لا إكراه في الدين " يظل الجهاد في الإسلام أحد أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية التي حددت لغير المسلمين من أهل الكتاب ثلاث منافذ للخلاص لا رابع لها وهي: الإسلام أو الجزية أو المنابذة، أي القتال، ولم تحدد للكافرين والمشركين أكثر من منقذين هما الإسلام أو القتال. وإذا كان الإسلام قد فرض الجزية على أهل الكتاب، في دولته، وحيث يبسط سيادته، فذلك لأمر يتعلق بالنظام العام للدولة، حيث يكون أهل الكتاب رعايا، ولا تكون الجزية أكثر من " بدل " عن الحماية أو الخدمة العسكرية. وإذا كانت العقيدة الإسلامية قد فرضت على الكفار والمشركين، فذلك لأمر يتعلق أيضا بالنظام العام للدولة الإسلامية، حيث يجب أن تسود دعوى الإسلام، مظهرا من مظاهر الإقرار بسلطة الدولة الإسلامية وسيادتها، ويكون الإسلام، بالنسبة الى من دخل فيه من الكفار والمشركين، مظهرا من مظاهر الإيمان بعقيدة الإسلام.

٤ ـ لا ينتقص من سمو الدين الإسلامي وأخلاقياته أن تكون العقيدة العسكرية المنبثقة عنه هجومية في الأساس، فما أرسل الله نبيه إلا رسولا للعالمين، وما كانت الدعوة الإسلامية لتتقوقع داخل حدود الجزيرة العربية، طالما أنها أتت لتكون دعوة إنسانية وشمولية، ولكن المسلمين حافظوا، في جميع مراحل فتوحهم، على أخلاقية في السلوك العسكري في ممارسة الحرب ندر أن عرفها سواهم من الفاتحين.

٥ ـ لم يكن المسلمون ليتحملون هزيمة واحدة داخل حدود الجزيرة العربية إذا ما حُوصروا من أعدائهم الرابضين على حدودهم (الروم والفرس)، لذا كان عليهم أن ينقلوا الحرب الى ديار الإعداء، وبالفعل، لم يخض للحرب من مبرر، أما إذا لم تؤد هذه العلاقات الى غايتها المرجوة أصبح القتال أمرا لازما، بل واجبا دينيا على المسلمين. وإذا كان المسلمون قد لجئوا الى أسلوب الهجوم في القتال، في سعيهم لحماية الدعوة الإسلامية والذود عنها ونشرها، فذلك لأنهم كانوا ملزمين بالدفاع عنها ضد مختلف صفوف الأعداء الذين واجهوها، منذ بدئها، سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، كما كانوا ملزمين بتنفيذ أوامر الله عز وجل في أن يؤدوا المهمة التي انتدبهم الله لها وهي: الجهاد في سبيله ونشر دينه في أصقاع الأرض قاطبة وفي الأمم كافة، ولم يكن ذلك ممكنا إلا بالوسائل الهجومية، سلما كانت هذه الوسائل أو حربا. من كل ما تقدم، نرى أن العقيدة

العسكرية الإسلامية هي عقيدة ذات طابع هجومي، وقد جمع الإسلام، في القرآن والحديث والسنة، بين النظرية والتطبيق، في تحديد هذه العقيدة العسكرية وفي ممارستها، ولم يتوان الخلفاء، بعد النبي والقادة العسكريون في مختلف معارك الفتوح، عن الإستمرار في تطبيق هذه العقيدة القتالية، حتى تمكنوا، بفضلها، من تحقيق أعظم الإنتصارات في تاريخ الأمم. (انتهى).

يتضح مما سبق بما لا يدع مجالا للشك بأن الإسلام انتشر عن طريق السيف وليس عن طريق الجدال بالموعظة الحسنة وعدم الإكراه في الدين كما يتشدق مروجوه .. أكثر من هذا إن كل الآيات الداعية الى التسامح وخلافه قد نزلت أثناء الحقبة المكية وهي التي كان المسلمون فيها مستضعفين لا حول لهم ولا قوة. أما بعد الهجرة الى المدينة واللجوء الى السيف اشتد بأس المسلمين ونزلت الآيات الناسخة وأشهرها آية السيف في سورة التوبة التي نسخت كل الآيات الداعية للتسامح من أمثال لا إكراه في الدين وغيرها.

اله له صورة خرافية فى الأحاديث النبوية

هذا ما تقوله الأحاديث النبوية عن اله الاسلام :

- الله ليس بأعور

- خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراع

- اذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه فأن الله خلق آدم على صورته

- يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة

- أحب الأيام عند الله يوم الجمعة

- خلق الله المكروه يوم الثلاثاء

- ان الله يغضب على من لا يدعوه

- ان الله قسم بين الناس اخلاقهم كما قسم ارزاقهم

- من أهان قريش أهانه الله

- من أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله

- خلق الله فرعون فى بطن امه كافرا

- من حلف فليحلف برب الكعبة

- ان الله اذا استودع شئ حفظه

-ان أوصى النبى بالسواك لأنه مطيبة للفم ومرضاة للرب

- ان الله يلعن الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات

- لو اراد الله الا يعصى ما خلق ابليس

- لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله عز وجل خلقا يذنبون ثم يغفر لهم

- ان الله عز وجل لما خلق الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال : مه.

- خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنها الحمم فقال للذى فى يمينه : الى الجنة ولا أبالى . وقال للذى فى كتفه اليسرى : الى النار ولا أبالى .

- أخذ الله الخلق من ظهر آدم وقال هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى

- ان أول شئ خلقه الله تعالى القلم وأمره أن يكتب كل شئ يكون .

- ان الله حين خلق الخلق كتب على نفسه : ان رحمتى تغلب غضبى

- كتب محمد نبيا وآدم بين الروح والجسد

- ان الله اذن للنبى أن يتحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه منثن تحت العرش.

- أحد حملة عرش الله من الملائكة ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة

- قال الله عز وجل : لا يقولن أحدكم " يا خيبة الدهر" فانى انا الدهر

- يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا

- الله يصلى ويسلم على من يصلى ويسلم على النبى عشرة أضعاف

- أحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن والحارث

- ان الله حرم على الأرض أن تأكل اجساد الأنبياء

- خلق آدم من ثلاث تربات سوداء وبيضاء وخضراء

- اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ من ضحك الله عز وجل .

- لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرق على صخرة لأخرج الله عز وجل منه ولد .

- لله دواب يبثهن فى الأرض بعد هدأة الرجل

- الله يمسخ الساهون اللا هون قردة وخنازير

- الحياة مسخ من الجن كما مسخت القردة والخنازير من بنى اسرائيل

- انزلت صحف ابراهيم فى أول رمضان والتوراة فى ٦ رمضان والزابور فى ١٠ رمضان والانجيل فى ١٣ رمضان والقرآن فى ٢٤ رمضان

- خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق من آخر ساعة الجمعة فيما بين العصر الى الليل .

- ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض . جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب .

- ان الله وملائكته يصلون على المتسحرين.

- صدقة السر تطفئ غضب الله

- ضحك الله عز وجل من قنوط عباده

- لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغون الرسول عن امته السلام .

- لو قلت "بسم الله" لطارت بك الملائكة والناس تنظر اليك.

- الله عز وجل قال ان الكبرياء ردائى

- يطلع الله تبارك وتعالى الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن

- ان الله نهى عن قتل الجراد لأنه من جنود الله الأعظم

ان الرعد ملاك أوكله الله بالسحاب ..

ان لله يدين كلتاهما يمين .

ان الله عندما خلق آدم نفخ فيه الروح وعندما بلغ الروح رأسه عطس فقال له الله: يرحمك الله.

ان الله عز وجل لما خلق الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال : مه.

ان الله قد خلق ديكا قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه منثن تحت عرش الله.

أن ربنا ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الأخير .
ان الله انزل من السماء حجرا اشد بياضا من الثلج ولكنه قد اسود من خطايا البشر.

ان الشمس تسجد تحت عرش الرحمن.
أن رجلا ستبلغ به الجرأة يوم القيامة فيقول لله " أتستهزئ منى وأنت رب العالمين ؟! ".
وانه اذا جاء يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والأرضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على اصبع ثم يهزهن ويقول انا الملك أنا الملك .
- يأتى نبيه فى أحسن صورة ويضع يديه على كفه.
- يأتى المؤمنين فى غير صورته تارة وفى صورته التى يعرفون تارة أخرى.
- الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذرية خلقت للجنة ثم مسحه مرة أخرى فأخرج منه ذرية للنار.
- قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن
- يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر وكلاهما يدخلان الجنة .
- يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون .
- يمسك الله السموات على اصبع والأرضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والخلائق على اصبع .
- يقبض الله الأرض يوم القيامة وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك .
- منذ خلق الله السموات والأرض فانه لم يغض ما فى يده وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع .
- يكشف الحجاب عن الله فى الجنة فلا يكون أحب اليهم من النظر الى ربهم
- اذا كان يوم القيامة ينزل الله الى العباد ليقضى بينهم
- لا يمل الله حتى يمل البشر .
- لا يسأم الله حتى يسأم البشر .
- ان الله بين المصلى والقبلة فلا يجب عليه أن يبزق أمامه
- النبى رأى الله مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده
- ينزل الله بين الآذان والاقامة يوم الجمعة عليه رداء مكتوب عليه اننى انا الله لا اله الا أنا
- النبى رأى الله فى عرفات على جمل أحمر عليه ازار
- يوم القيامة يهبط الله من عليين على كرسيه المحفوف بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر ثم يأتى

النبيون حتى يجلسوا عليها
- رأى النبى الله كأن قدميه على خضرة دونه ستر من لؤلؤ
- ينزل الله فى الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض .
- تدلى رب العزة فكان من النبى قاب قوسين أو أدنى .
- رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
- يتبشبش الله كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم اذا قدم عليهم
- اذا أبغض الله عبدا يقول للملائكة ان يبغضوه ثم توضع له البغضاء فى الأرض
- الله يشير بأصبعيه ويضع طرف ابهامه على انملة الخنصر
- ما تردد الله عن شئ هو فاعله تردده عن مؤمن يكره الموت
- عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى سلاسل
- التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل
- عرش الله معلقة به قناديل بها ارواح المؤمنين
- النبى سأل جبريل : يا جبريا أيصلى ربك ؟ قال : نعم ويقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتى غضبى .
- الله يصلى وصلاته تطفئ غضبه
- تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الله بيده كما يكفأ المرء خبزته فى السفر .
-

اله يستعير شعائر تعبده من عبدة الأوثان

في كتابه القيم " الجذورالتاريخية للشريعة الاسلامية" يرصد الراحل الشيخ خليل عبد الكريم جملة من شعائر عدة اخذها الاسلام مما هو قائم في شبه الجزيرة العربية بعضها شعائر تعبدية وبعضها شعائر اجتماعية كالرقي والتعاويذ والعناية بالأنعام وتعدد الزوجات والتفرقة بين العرب والعجم والتمييز بين العرب والأعراب والنظرة الى الزراعة واهلها والتعشير والاستخارة وحرمة النسب والاسترقاق. وبعضها شعائر جزائية كالعاقلة والقسامة وبعضها شعائر حربية كتخميس الغنائم والسلب والصفى وبعضها شعائر سياسية كالخلافة والشورى. بلإيجاز ننقل منها هنا فقط الشعائر التعبدية التي اخذها عن القبائل العربية وتلك التي اخذها عن الحنيفية.

الشعائر التعبدية الموروثة من القبائل العربية

ونبدأ بـ [الناحية التعبدية] أو [الشعائر التعبدية]:

١) تعظيم البيت الحرام [الكعبة] والبلد الحرام:

على الرغم من وجود احدى وعشرين كعبة - قبل الاسلام - في جزيرة العرب فان القبائل العربية قاطبة اجمعت على تقديس [كعبة مكة] وحرصت اشد الحرص على الحج اليها، يستوى في ذلك من القبائل من كانت لدية كعبة خاصة مثل غطفان أم لأ.

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم (١)

بل ان الاخبار وردت ان عددا من القبائل انتشرت بين ابنائها اليهودية والنصرانية ومع ذلك كانت تشارك في موسم الحج، ومن شدة تقديسهم للكعبة ان الرجل منهم كان يرى قاتل ابيه في البيت الحرام فلا يمسه بسوء، وقال ابن الكلبي في كتابه [الاصنام] كان العرب يعظمون الكعبة ومكة ويسيرون على إرث أبيهم اسماعيل من تعظيم الكعبة والحج والإعتمار.

وكان العرب يجلون أهل مكة [قريشا] ويكبرونهم ويسمونهم [أهل الحرام] وكان الإصهار إليهم يعتبر شرفا لا يتطاول اليه الا بعض شيوخ القبائل وأهل الرفعة فيهم. وجاء الاسلام فأبقى على تقديس الكعبة ومكة واطلق عليهما القرآن الكريم العديد من ألقاب التشريف المعروفة والتي لانرى موجبا لذكرها وجعلها كما كانت أمنا وأمانا {ومن دخله كان آمنا} (٢) كذلك إعتبر الانتساب الى قريش هو الذؤابة العليا في المكانة والشرف حتى ان بعض المذاهب الفقهية تبيح طلاق القرشية وخاصة الهاشمية اذا تزوجت من غير قرشي [هاشمي] لعدم الكفاءة.

[ولا تكون العرب كفؤا لقريش والموالي لا يكونون كفؤا للعرب كما قال صلى الله عليه وسلم] (٣) و[خطب سلمان بنت عمر رضي الله عنه فهم ان يزوجها منه ثم لم يتفق ذلك] (٤) وسلمان المذكور هو سلمان الفارسي (رضي الله عنه) أحد كبار الصحابة وموضع رضى الرسول(صلى الله عليه وسلم) وكان يقول: [سلمان منا آل البيت] ولكن ذلك كله لم يشفع له و[لم يتفق] له أن تزوج بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لانه ليس عربيا وليس قرشيا.

٢) الحج والعمرة:

كان العرب – قبل الاسلام – يحجون في شهر ذي الحجة من كل عام [يرحلون اليها الى مكة من كل مكان من الجزيرة في موسم الحج من كل عام لتأدية فريضة الحج] (٥).
وكانوا يقومون بالمناسك عينها التي يقوم بها المسلمون حتى اليوم: التلبية [مع وجود بعض عبارات فيها شرك بالله تبارك وتعالى] والإحرام ، وملابس الإحرام وسوق الهدى وإشعاره والوقوف بعرفه والدفع الى مزدلفة والتوجه الى منى لرمي الجمرات ونحر الهدى والطواف حول الكعبة [ايضا] سبعة أشواط [لم تزد أو تنقص في الاسلام] وتقبيل الحجر الأسود [تعظيما له] والسعي بين الصفا والمروة، وكانوا أيضا يسمون اليوم الثامن من ذي الحجة [يوم التروية] ويقفون بعرفات في التاسع وتبدأ من العاشر أيام منى ورمي الجمرات وكانوا [ايضا] يسمونها [أيام التشريق] كما كانوا يعتمرون في غير أشهر الحج. وجاء الاسلام وورث من العرب [قبله] هذه الفريضة بالمناسك عينها والتسميات نفسها، ولكنه طهرها من مظاهر الشرك مثل العبارات التي كانت تتضمنها التلبية عندهم – ونهى [الاسلام] عن طواف العرايا وكان بعض العرب يفعل ذلك لا من باب الانحلال الخلقي كما يحاول أن يوهم بعض [الدعاة]، ولكنهم لشدة تقديسهم للكعبة ولحجرها الاسود يهابون أن يطوفوا بها [بالكعبة] أو يقبلوه [الحجر الاسود] بالثياب التي قارفوا فيها ذنوبا أو أفعالا لا تناسب مقامهما وكان بعضهم يشتري من القرشيين ثيابا يطوف بها بإعتبار أنهم [أبناء قريش] من [الحُمْس]- بضم الحاء وسكون الميم أي المتطهرين والمتشددين في العبادة.

٣) تقديس شهر رمضان:

آيات الذكر الحكيم التي ترفع من شأن شهر رمضان وتعلي من قدره مشهورة ومعروفة { شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدى للناس (٦) وفيه { ليلة القدر خير من ألف شهر} (٧)- وتقديس هذا الشهر[الفضيل] مما ورثه الاسلام عن العرب - معدن الاسلام ومادته- فقد كان المتحنفون – سوف نتحدث عنهم فيما بعد – يفعلون ذلك ومنهم عبد المطلب جد النبي العربي محمد(صلى الله عليه وسلم) إذ نقل الينا الإخباريون أنه إذا جاء رمضان شد مئزره وطلع الى [غار حراء] وتحنث فيه وأمر بإطعام المساكين طوال الشهر وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل (عم الفاروق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه) وهو أيضا أحد الحنفاء (٨).

٤) تحريم الأشهر الحرام:

كانت العرب قاطبة تعتبر أشهر ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب أشهرا حرما لأنها الأشهر التي يقع فيها موسم الحج الى أكبر الكعبات وأقدسها كعبة مكة وهي [ذو القعدة وذوالحجة والمحرم] أما رجب فهو شهر العمرة فهي ثلاثة سرد وواحد فرد وقيل ان سبب التسمية ان العرب كانت لا تستحل القتال فيها إلا حيَّان خثعم وطيئ فإنهما كانا يستحلانه في الشهور كلها.

وكان القتال كثيرا ما ينشب بين القبائل لأسباب عديدة منها إعتباره كمورد رزق وكان يسمى الغزو أو الغارة وهو من العلامات المميزة للحياة القبلية- فإتخذت الأشهر الأربعة المذكورة فرصة لوقف القتال ولأداء الحج والعمرة - ولما جاء الاسلام أبقى على شعيرة تحريم هذه الأشهر بذاتها وحرم القتال فيها { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير} (٩) و { يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام} (١٠) ومازلنا حتى الآن نسمع عن { الرجبية} وهي العمرة التي تتم في شهر رجب، الذي كان يسميه العرب [الفرد] وهذه التسمية أيضا ما زالت معروفة.

٥) تعظيم ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام):

يحكي العرب ان أول من تكلم بالعربية من ولد ابراهيم هو اسماعيل حين أتى مكة ونزل بجرهم فانطقه الله بكلامهم وكان كلامهم العربية و[قال هشام وسمت العرب اسماعيل "عرق الثرى" يريدون أنه راسخ ممتد وقال قوم سُمى بذلك لأن أباه لم تضره النار كما لا تضر الثرى] (١١). لما جاء الاسلام أقر تعظيم اسماعيل(عليه السلام)، ففي سنن إبن ماجة في كتاب الجهاد[رميا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا]، وفي القرآن الكريم. { واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد} (١٢).

كذلك كان العرب الأقدمون يعتقدون أن ابراهيم واسماعيل - عليهما السلام- هما اللذان أقاما بناء الكعبة في مكة المكرمة وفرضا لهم الحج [وهم بعد يعظمون الكعبة ويسيرون على إرث ابراهيم واسماعيل] (١٣) أي العرب الأقدمون السابقون على ظهور الاسلام، وسبق أن ذكرنا أن الكلبى في كتابه [الأصنام] أخبر أنهم كانو يعظمون الكعبة ويحجون ويعتمرون على إرث أبيهم اسماعيل (عليه السلام) فلما جاء الاسلام تبنى اعتقاد بناء ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) لكعبة مكة { واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل} (١٤) بل ان مقام ابراهيم الذي يحتوي على قدم ابراهيم التي إنطبعت في الحجر أثناء بناء الكعبة - هذا المقام – موضع تقديس من المسلمين إذ يسن للحاج أن يصلي عنده ركعتين بعد فراغه من طواف القدوم { وإتخذوا من مقام ابراهيم مصلى} (١٥). وهذه الآية إحدى آيات ثلاث نزلت بموافقة [أي باقتراح] من عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) [عن أنس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث، قلت يا رسول الله " لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى " فأنزل الله " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى" (١٦) والذي لا نشك فيه ان إقتراح [يسميه الامام أبو الفرج الجوزي موافقة] عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نابع مما ورثه قبل الاسلام من العرب من تعظيم الجد ابراهيم (عليه السلام) ومن تقديس البيت الحرام والكعبة.

٦) الإجتماع العام.....يوم الجمعة:

[قال أبو سلمة: أول من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة: جمعة، وكان يقال لـ(يوم الجمعة). (يوم العروبة)] (١٧) ولما جاء الاسلام اخذ الأنصار في يثرب – المدينة فيما بعد- بهذا التقليد، وقيل ان أول من جمَّع بالمسلمين في المدينة هو أسعد بن زرارة (رضي الله عنه) وقيل انه مصعب بن عمير (رضي الله عنه) ولما هاجر الرسول(صلى الله عليه وسلم) من مكة أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم إتخذوا في موضع منه مسجدا فجمَّع به الرسول(صلى الله عليه وسلم) وخطب أول خطبة له بالمدينة (١٨) ثم نزل قول الله تبارك وتعالى { يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ان كنتم تعلمون} (١٩). هذه بعض الشعائر [الدينية] أو [التعبدية] التى استعارها الاسلام من القبائل العربية وسوف نذكر في فصل قادم خصصناه لـ[الحنيفية] شعائر دينية أخرى انتقلت من المتحنفين [معتنفي الحنيفية] الى الاسلام أو اذا شئت قلت ان الاسلام وافق عرب ما قبله ووافق [الحنفاء] في تلك الشعائر كما وافق الله جل شأنه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في ثلاثة مواضع أنزل فيها ثلاث آيات، وفي بعض الشعائر عدَّل الاسلام من الشعائر[الدينية] التي كانت سائدة لدى العرب سابقيه حتى تتواءم وعقيدة التوحيد لا يطمس المعالم الرئيسية لتلك الشعائر ولا يمحو فضل من جاءوا بها.

ويبين بيسر وسهولة أن الإسلام تبنى تلك السنن والعقائد والشعائر أو بتعيير الإمام الحافظ أبي الفرج الجوزي وافقهم [الإسلام] عليها فيما بعد وبشر بها ودعا إليها من بين ما بشر به ودعا إليه.

الهوامش

(٢) "القرآن الكريم" (١) زهير بن أبي سلمى في معلقته، توفى سنة ٥٤ ق.هـ (قبل الهجرة).
سورة آل عمران الآية/٩٧.
(٣) شمس الدين السرخي (أحد أئمة الفقه الحنفي)، في "المبسوط" المجلد الثالث "باب النكاح البكر، باب الأكفاء" ص٢٤، طبعة٤٠٦ هـ/١٩٨٦م دار المعرفة بيروت.
(٤) المرجع نفسه ص٢٢.
(٥) د. علي حسني الخربوطلي "الكعبة على مر العصور" ص٢٤، عدد إقرأ٢٩١ مارس١٩٦٧ دار المعارف بمصر.
(٧) "القرآن الكريم" ، سورة القدر الآية/٣. (٦) "القرآن الكريم" ، سورة البقرة الآية/١٨٥.
(٨) د. سيد محمود القمني "دور الحزب الهاشمي والعقيدة الحينفية في التمهيد لقيام دولة العرب الاسلامية" ص٦٦، الطبعة الاولى١٩٩٠م، دار سينا للنشر.

٩) " القرآن الكريم"، سورة البقرة الآية/١٩٤.
(١٠) " القرآن الكريم"، سورة المائدة الآية/٥.
(١١) "البلاذري في " أنساب الأشراف"- الجزء الأول ص٦، تحقيق د/ محمد حميد الله، طبع دار المعارف بمصر١٩٥٩م.
(١٢) "القرآن الكريم"، سورة مريم الآية/٥٤.
(١٣) د. محمد ابراهيم الفيومي "الفكر الديني الجاهلي" ص٢٢، الطبعة الاولى ١٩٨٣ دار المعارف بمصر.
(١٤) "القرآن الكريم"، سورة البقرة الآية/١٢٧.
(١٥) "القرآن الكريم"، سورة البقرة الآية/١٢٥.
(١٦) الحافظ الامام أبو الفرج الجوزي ت٥٩٧ هـ "تاريخ عمر بن الخطاب"، قدم له وعلق عليه أسامه عبد الكريم الرفاعي ص٣٢، بدون تاريخ، الناشر . مكتبة السلام العالمية، الفلكي- القاهرة.
(١٨) المرجع السابق. (١٧) القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" في تفسير سورة الجمعة.
(١٩) "القرآن الكريم"، سورة الجمعة الآية/٩.

اله يصلي على نبيه

الصلاة تكون من العابد للمعبود ولكن العجب العُجاب أن إله الإسلام يصلي والسؤال هنا هو: لمن يصلي الله؟!

جاء في السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون .. باب ذكر الإسراء والمعراج:

هذا وفي حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل عليه السلام رويدا أي قف قليلا فإن ربك يصلي قلت أهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ آخر قلت يا جبريل أيصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرار وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية وما بعدها. وورد أن بني إسرائيل سألوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال أخبرهم أني أصلي وأن صلاتي تطفئ غضبي والله أعلم.

وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ حرف الفاء:

عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني أن النبي (ص) لما أسري به كان كلما مر بسماء سلمت عليه الملائكة، حتى إذا جاء السماء السادسة قال له جبريل: هذا ملك فسلم عليه، فبدره (فبدره: بدر الى الشيء: اسرع. المختار ٣٢ ب) الملك فبداه بالسلام عليه، فقال النبي: وددت أني سلمت عليه قبل أن يسلم عليّ، فلما جاء السماء السابعة قال له جبريل: إن الله عز وجل يصلي، فقال النبي: أهو يصلي؟ قال: نعم، قال: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي.

وفي تفسير ابن كثير:

قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مُرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح:" إن الله وملائكته يصلون على النبي" قال صلاته تبارك وتعالى سُبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي.

<u>ومن كتب الشيعة:</u>

في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٠٦:

عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم ابن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله؟ صلى الله عليه وآله فقال: مرتين، فأوقفه جبريل موقفا فقال له: مكانك يا محمد ـ فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط ولا نبي ـ إن ربك يصلي، فقال: يا جبريل كيف يصلي؟ قال: يقول: سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي.

وفي أصول الكافي ـ الجزء الأول ص ٤٤٣:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله (ص)؟ فقال: مرتين فأوقفه جبريل موقفا فقال له: مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط ولا نبي، إن ربك يصلي فقال: يا جبريل وكيف يصلي؟ قال: يقول: سبوح قدوس أنا رب الملائكة

والروح، سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللهم عفوك عفوك، قال: وكان كما قال الله " قاب قوسين أو آدنى" فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو آدنى: قال: ما بين سيتها.

وفي كتاب تفسير الكافي ص ٨٧:

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل كم عرج برسول الله وآله فقال مرتين فأوقفه جبرئيل عليه السلام موقفا فقال له مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك ولا نبي إن ربك يصلي فقال يا جبرئيل وكيف يصلي قال يقول سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي.

والقرآن يقول أن الله يصلي على محمد: { إن الله وملائكته يُصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما } (الأحزاب: ٥٦).

بل ويصلي على المؤمنين: { يا أيها الذين أمنوا اذكرُوا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يُصلي عليكم وملائكته ليُخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمُؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونهُ سلام واعد لهم أجرا كريما } (الأحزاب: ٤٣)

كما قلنا فإن الصلاة تكون من العابد للمعبود ولكن في الآيتين السابقتين يقول المفسرون أن الصلاة هنا بمعنى طلب الرحمة للنبي والمؤمنين. وهنا نسأل: ممن يطلب الله الرحمة؟!.

اله يوحى لنبيه بالأفكار ويترك له صياغتها

عن كتاب " المأزق فى الفكر الدينى"

للدكتور نضال عبد القادر الصالح

اتفق الفقهاء وعلماء الدين على أن النص القرآني قد نزل منجما على النبي محمد، واختلفوا في قدم أو حداثة النص كما اختلفوا في مدة النزول وفي معنى الإنزال وكيفيته. ففي مدة النزول هناك ثلاثة أقوال، فمنهم من قال نزل في عشرين سنة ومنهم من قال في ثلاث وعشرين سنة ومنهم من قال في خمس وعشرين سنة على حسب الخلاف في مدة إقامة النبي محمد بمكة بعد البعثة (١). أما في قدم أو حداثة النص، فلقد انقسم المسلمون الى فريقين: الأول وهم المعتزلة قالوا بخلق القرآن وإنه محدث، والفريق الثاني وهم أهل السُنة والجماعة قالوا بقدم القرآن وبأنه كان محفوظا في السماء العليا في اللوح المحفوظ، ولقد اختلف هؤلاء في الطريقة التي نزل فيها النص القرآني من اللوح المحفوظ حتى وصل الى النبي محمد.

لقد وقع المفسرون في مأزق التعارض بين قول الآيات القرآنية:" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" و " إنا أنزلناه في ليلة القدر" مع كون القرآن نزل على النبي محمد منجما في مدة بين العشرين والخمس وعشرين سنة. لذلك حاولوا الخروج من هذا المأزق بعدة أقوال:

- القول الأول: أن النص القرآني نزل من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما على الرسول.

- القول الثاني: أنه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة قدر، وكان ينزل بعد ذلك طوال السنة منجما على رسول الله.

- القول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة.

- القول الرابع: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي محمد في عشرين سنة (٢).

ولقد اختلفوا كذلك في الشكل اللغوي الذي حُفظ فيه القرآن في اللوح المحفوظ واللغة التي نزل بها وكيفية الإنزال، فقيل إنه حُفظ باللفظ والمعنى في اللوح المحفوظ. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ، كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله. وقال البعض الآخر إن الله ألهم كلامه لجبريل وهو في السماء وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان. وقال أناس إن جبريل تلقفه تلقفا روحيا ومن ثم نزل به على الرسول، وهذا قول ينسب النص اللغوي الى الملاك جبريل حيث إنه تلقاه من الله روحيا وليس لغويا. وقيل أيضا **إن جبريل نزل على الرسول محمد بالمعاني وإن النبي محمد عبر عنها بلغة العرب**، وهذا قول ينسب النص اللغوي القرآني الى الرسول محمد حيث إنه قول يدعي تلقي الرسول المعاني القرآنية ومن ثم صاغها الرسول بالنص اللغوي العربي. وفي قول آخر إن جبريل ألقى عليه المعنى واللفظ بلغة العرب لأن أهل السماء يقرأونه بالعربية (٣).

هنا يجب أن نقف قليلا عند القول السابق وفيه " أن جبريل نزل على الرسول محمد بالمعاني وأن النبي محمد عبر عنها بلغة العرب"، ونمعن التفكير في ما يعنيه هذا الكلام والذي يسمح لقارئه بإعادة التفكير في ما اعتاد أن يقرأه ويسمعه، خاصة وأن هذا القول ورد في مراجع مُعترف بها عند أمة الإسلام قام على تأليفها رجال يوصفون بـ " شيوخ الإسلام" ويُعاد طبعها عاما بعد عام من دون أن يتهمهم أحد بالكفر ولا بالزندقة والخروج على الدين، وهم بدورهم ينقلون هذا القول عن مصادر

إسلامية سابقة لم يشكك أحد بصلاحها. يخرج القارئ من هذا القول بأن الفكر الإسلامي سمح بإمكانية أن يكون النص اللغوي القرآني الذي بين يدينا هو من صياغة النبي محمد، وبشكل أوضح أن النبي محمد صاغ النص القرآني لغويا بلغة العرب بناء على معانٍ إلهية ألهمت إليه، وهو قول ما كان ليخطر على بال مسلم ولا يجرؤ اليوم أن ينطقه مسلم من دون التعرض للإتهام بالكفر والخروج عن أمة محمد.

أما في طريقة التنزيل فقال البعض إن النبي محمد انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل، وقال البعض الآخر إن جبريل انخلع الى صورة البشرية حتى يأخذ النبي النص القرآني منه (٤). ومن كل ما سبق نجد أن الفقهاء والمفسرين لم يتفقوا يوما على ماهية النص القرآني وطريقة إيحائه والأسلوب اللغوي الذي تلقاه به الرسول محمد. فمنهم من قال إن جبريل تلقاه من الله لغة ومعنى، ومنهم من قال بل معنى وجبريل صاغه باللفظ العربي. كما أن البعض قال إن الرسول محمد تلقاه من جبريل معنى والرسول بدوره صاغه بالنص العربي، وهذا يعني أن النص القرآني الذي بين أيدينا هو من نتاج صياغة الرسول اللغوية، والبعض الآخر قال بل الرسول محمد تلقاه من جبريل نصا ومعنى. يُجمع علماء أهل السُنة والجماعة على أن النص القرآني قديم قدم الله، بإعتبار القرآن كلام الله تعالى وكلام الله صفة لذاته وأنه قائم به ومختص بذاته. النص القرآني، في رأيهم، كان محفوظا في ما أسموه اللوح المحفوظ. ولا ندري ما هو هذا اللوح المحفوظ وما هو شكله وحجمه ومِم يتركب، وكل ما يحدثنا به علماء السنة والجماعة أنه موجود في السماء العليا، " وهو مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق من جميع الحيوانات وغيرها" (٥).

كما يصرون على أن حروف القرآن في اللوح المحفوظ كبيرة كبر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيطها إلا الله. كما نفهم منهم أن النص القرآني نزل ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى مكان اسمه بيت العزة في السماء الدُنيا (٦)، ولا نعلم ما يعنون بالسماء العليا والسماء الدنيا وما هو بيت العزة هذا.

والسؤال هنا إذا كان القرآن بصفته كلام الله قديما قدم الله ذاته، وكلام الله كما يقولون قائم به ومختص بذاته، وفي نفس الوقت هو موجود منذ القدم في اللوح المحفوظ في السماء العليا، ألا يعني قولهم هذا أن اللوح المحفوظ كذلك قديم قدم الله وأنه قائم بالله تعالى ومختص بذاته؟ ألا يعني هذا الخروج عن صلب العقيدة الإسلامية الداعية لوحدانية الله؟

هنا يتحرك الخيال وإسقاطاته على ظاهر النصوص القرآنية من أجل محاولة الخروج من مأزق تعارض النص القرآني [" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" و " إنا أنزلناه في ليلة القدر"] مع كون القرآن نزل على النبي محمد منجما في مدة تتراوح بين العشرين والخمس وعشرين سنة. هذا بالإضافة الى محاولة الإجابة على تساؤلات اليهود الذين قالوا للرسول:" يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى"! فكان لا بد من إنزال متخيل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى بيت العزة في السماء الدُنيا. كما كان من الضروري زرع قدم النص القرآني في الفكر الإسلامي حتى يُستغل في تثبيت سلطة الحكم السياسي الديني المثبتة حسب رأيهم منذ القديم في اللوح المحفوظ. ولكن من أجل الخروج من مأزق واحد، أسقط هذا التأويل الفكر الإسلامي في مآزق أخرى كان لا بد من محاولة الخروج منها. من أجل تعليل القول بنزول القرآن من السماء العليا الى السماء الدُنيا، قيل إن السر في ذلك تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لنزوله عليهم، وإن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما حسب الوقائع وبحسب الحاجة. وفي قول آخر إن القرآن لم ينزل من السماء الدنيا جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ولا يأتي

ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ومنه جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فُعل. وعن ابن عباس أنه قال: ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم (٧).

وهنا نجد التناقض واضحا بين القول بقدم النص القرآني ووجوده منذ الأزل في اللوح المحفوظ وبين الإعتراف بأنه نزل منجما حسب الوقائع الأرضية وبجواب على كلام العباد وأفعالهم، والتي دعاها المفسرون والفقهاء أسباب نزول القرآن، مع أن البعض يرفض هذه التسمية ويصر على أن القرآن نزل في مناسبات وليس لأسباب دعت الى نزوله من اللوح المحفوظ. لأننا إذا أخذنا بقدم النص القرآني وبوجوده منذ القدم في اللوح المحفوظ، فإن ذلك يعني أن أعمال العبادة وأقوالهم كانت أيضا مبرمجة مسبقا ولا إرادة للعباد في ما يفعلون أو يقولون. فما معنى التهديد إذن بالعقاب والوعد بالثواب على أعمال وأقوال خارجة عن قدرة الإرادة البشرية؟ وفي حديث نسب الى النبي محمد أن موسى تحاج مع آدم، فقال موسى لآدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار، فقال آدم يا موسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأنزل عليك التوراة أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني (٨).

أليست هذه إشارة واضحة الى أن كل أفعال البشر من خير وشر مبرمجة مقدما من قبل القدرة الإلهية؟ أليست هذه ومثيلاتها إشارات لدعم الجبرية في التفكير، وأن كل أعمال العباد بمن فيهم حكامهم مبرمجة لهم مسبقا في لوح محفوظ منذ الأزل ولا دخل للبشرفي ردها أو قبولها؟ حاول علماء المعتزلة الخروج من هذا التناقض بناء على إيمانهم بوحدانية الله وعدله في حكمه وقضائه ورحمته في خلقه ورفضهم لوجود أي صفة قديمة خارجة عن الذات الإلهية، فقالوا بحرية الإرادة الإنسانية وبمسؤلية الإنسان عن أفعاله، ورفضوا فكرة قِدم القرآن وقالوا إن القرآن محدث أي مخلوق. لا نريد الخوض في الجدل الكلامي بين المعتزلة وخصومهم حول العلاقة بين الدلالة اللغوية وشرط المواضعة، وهل أن كلام الله صفة من صفات فعل الله وهو محدث بوجود من يخاطبه من الملائكة أو البشر، ووجودهم محدث لا ريب فيه كما قال المعتزلة، أم أنه صفة من صفات ذاته سبحانه وهو قديم كما قال خصومهم من الأشاعرة وأهل السُنة والجماعة. ولكن نزول النص القرآني منجما في عشرين سنة أو أكثر، في جواب على سؤال أو إنكار لقول أو فعل، أو في جواب على كلام العباد وفعلهم، وأن فيه الناسخ والمنسوخ حسب تغير الوقائع الأرضية، حسب ما ورد في المصادر الإسلامية المُعترف بها من قبل المسلمين، ليؤكد العلاقة الوثيقة والجدلية بين النص القرآني والواقع الذي نزل من أجله وخاطبه ويرفض فكرة أزلية النص القرآني ويؤكد على أنه مُحدث حسب الأحداث الواقعة على الأرض والتي كانت سببا في نزوله. ولكن ممثلي المؤسسة الدينية الذين سموا أنفسهم علماء السُنة والجماعة، استنكروا هذا القول ورفضوه جملة وتفصيلا وأخرجوا قائليه من أمة محمد. وكان لا بد من استعمال السلاح القديم ـ الحديث، وهو سلاح التكفير ومخلفاته، فوُسم كل من يقول بخلق القرآن بالزنديق والكافر من يجب أن يُحبس حتى يعلن توبته وإلا يتوجب ضرب عنقه (٩). هكذا سمح ممثلوا السلطة الدينية لأنفسهم بالغوص في إسقاطات تخيُّلية عن لوح محفوظ مُعلق في السماء العُليا من دون أي برهان عقلي أو نصي واضح وإنما بناء على أحاديث نُسبت الى النبي ونقلت على ألسنة بشر عن بشر. والبشر كما أكدت لنا الوقائع التاريخية ولا تزال تؤكد، لهم أهواء وأخطاء ومآرب ولا يمكن الإعتماد على نقلهم في الأمور التي تتعلق بالمواقف العقيدية التي يُبنى على أساسها فكر أمة على مدى العصور. وفي الوقت الذي سمحت السلطة الدينية لنفسها بكل ذلك، رفضت وألغت فكر جماعة حاولت أن تُعمِل عقلها وتجتهد، فوُصمت بالكفر وأحِل دمها وقطعت رؤوس أصحابها، وما أسهل ضرب الأعناق وقطع الرؤوس عند ممثلي السلطة السياسو ـ دينية.

ولقد كان ولا يزال لمقولة قدم القرآن في اللوح المحفوظ ولمقولة الجبر الناتجة عن ذلك بعد سياسي لبرمجة العقل الإسلامي بأن الله قد حكم أزلا أن تصل هذه الأسرة أو تلك، أو هذا الرجل أو ذاك (الأمويون أولا ومن بعدهم العباسيون ومن بعدهم تلك أو ذاك الى يومنا هذا) الى الحكم والسلطة وأن ما يعملون به من تسلط وقهر وقتل للعباد وسلب أموالهم وأملاكهم ما هو إلا نتيجة لقدر إلهي مبرمج منذ الأزل. ولذلك وقف خلفاء بني أمية ومن بعدهم بني العباس، إلا ما ندر، موقفا صارما في غاية العنف من المفكرين الذين قالوا بحرية الإرادة الإنسانية وبمسؤولية الإنسان عن أفعاله. لقد حاولوا الخروج من مأزق ظاهر التناقض بين النص والوقائع فأوقعوا الإسلام والمسلمين في مأزق أكثر تعقيدا لم تستطع أن تخرج منه الأمة حتى يومنا هذا.

الهوامش

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٧٣،(وفي هامشه **إعجاز القرآن** لأبي بكر

الباقلاني)، الجزء الأول، ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، **البيان في تفسير القرآن**، ج١، ص ١٩١، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي، في طنطا، ١٩٩٢.

(٦) المصدر السابق

(٧) السيوطى. الاتقان . مصر سابق ص٤٢ .

الخاتمة

السؤال الأخطر فى الحياة : اين الخلود ؟

ليس هناك سؤال فى الوجود أعظم من هذا : أين ستقضى أبديتك ؟

ربما يستطيع أى انسان أن يصحح اجابته الخطأ على أى سؤال الا هذا السؤال.

ليس هناك ملحق أو اعادة.

دعنى أراجع معك المنهج الذى أثق انك تعرفه .

١- لم يستشيرنا أحد اذا كنا نريد أن نأتى الى هذه الحياة أم لا .

٢- نحن هنا

٣- المخرج من هذه الحياة هو الموت

٤- فى الموت يتحلل الجسد وتبقى الروح خالدة

٥- خلود الروح اما فى السماء أو فى جهنم ليس هناك احتمال ثالث

٦- الذى يحدد جهة الخلود هو الايمان الحقيقى بالاله الواحد الحق والحياة معه وله على الأرض

٧- الانسان حر فى خيار الايمان بالله والحياة معه وله

بعد دراسة متأنية للاسلام أرى نفسى متيقنا انه ليس الطريق الى الاله الواحد الحق الحقيقى.

بعد أكثر من ٢٤٠ صفحة من الأدلة والبراهين الموثقة أعتقد ان أى انسان عاقل قارئ لهذا الكتاب قد وصل حتما الى نفس النتيجة .

ماذا بعد ؟

انا لا أجبرك على شئ ولكنى أشاركك بما أؤمن به.

أنا أثق فى شخص المسيح وأتبع أقواله . ومن هذه الأقوال : "أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى ولو مات فسيحيا ". ومنها أيضا " أنا هو الطريق والحق والحياة" .

لقد وجدت الحياة فى المسيح. الشخص الذى قسم دخوله الى هذا العالم التاريخ : قبل وبعد ميلاده.

صلاتى هى أن تستثمر كل وقت وجهد متاح لك لكى تدرس حياة المسيح وأقواله وتعاليمه كما دونت فى الكتاب المقدس لأنه هو وحده الطريق الى السماء .

أدعوك أن تكون حكيما والا تقامر بأبديتك .

لقد اشتهى نبى الاسلام زينب بنت جحش زوجة ابنه بالتبنى زيد بن حارثة عندما رآها حاسرة .

وعليه ينطبق قول المسيح " ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه" .

دعنى أسألك سؤالا بسيطا .
تخيل أنك تقود سيارتك فى منتصف الليل وسط غابة كثيفة الاشجار وكان معك فى العربة ابنتك ذات الأربعة عشر عاما والمسيح ومحمد . وفجأة انحرفت السيارة عن الطريق واصطدمت بشجرة ادت الى اصابة شديدة فى رأسك وأصبحت وشيكا على الموت.
والسؤال هنا هو : لمن سوف تستأمن ابنتك ؟ لمحمد أم للمسيح ؟ ولماذا ؟

هل لازلت تكابر ؟!

لقد قال المسيح " ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه " .

أرجوك. ان المصير الأبدى ليس لعبة. نفسك غالية جدا فلا تهدرها .